الآداب العربيَّة

في

القرن التاسع عشر

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي
مدير مجلَّة المشرق

الجزء الثاني

من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

طبعة ثانية مصحَّحة مع زيادات شتَّى

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩٢٦

الآداب العربيَّة

في

القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

الفصل الاول

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

نظر اجمالي

جرينا شوطاً اول في عدَّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٧٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدَّةً ريثما نجمع قوانا فنواصل الجري في هذا الميدان. وهو لعمري مجال جديد يتَّسع امامنا فتتوفَّر ركبانهُ وتنمو فتفوت الاحصاء فرسانهُ. ولولا ثقتنا بلطف القرَّاء واملنا بغضّهم النظر عن قصورنا لكففنا القلم واوقفنا اليراع لئلّا يشرد بنا عن سواء السبيل. فنستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يمدّ الينا الادباء يد الاسعاف وينبّهوا فكرنا الى ما نسهو عن ذكرهِ ويصلحوا ما يرونهُ مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام ان شاء الله

كانت السنة ١٨٧٠ مفتتح طور جديد في تاريخ نهضة الآداب العربيَّة فانَّ في تلك السنة جرت امورٌ خطيرة قلبت بطناً لظهر احوال الدول الاوربيَّة فكان لها فعل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سِنَتها فانَّ دويَّ الحرب السبعينيَّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادَتها مسامعهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سدّاً لخللهم ومنجاةً من خمولهم وكان السلام سائداً والامن متوطداً في الدولة التركيَّة لا شيء يعوق رعاياها عن ترويج الآداب وانفاق سوقها لاسيما سورية ولبنان فان الدعة والسكينة كانت قد

مدّت عليها رواقها بعد نكبة السنة ١٨٦٠ واخذت الشبيبة تترعرع وهمُّها الاعظم الترقي في معارج التمدُّن

وعُقد في ذلك العام المجمع الواتيكاني وفيهِ رأى ارباب الدين الشرقيّون رقيّ اخوتهم الغربيين في العلوم فاحبّوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف . وقد ساعدهم في تحقيق امانيهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذهِ البلاد فاخذوا يجدُّون ويسعون بما عُرفوا بهِ من علوّ الهمم ليبعثوا في الاحداث الغيرة على احراز المعارف . وكذلك المرسلون الاميركان فانّهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبّان بذور المعارف والعلوم المستجدَّة . ويا حبّذا لو اقتصروا على هذه الغاية الشريفة ولم يتّخذوا العلم وسيلةً لنشر المزاعم البروتستانيّة ومناوأة الدين القويم

ومما خُصّ بهِ هذا الطور الذي نحن في صددهِ انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها مثيل في الزمن السابق اخصُّها الكليَّة الاميركيَّة التي خرجت في ذلك الوقت من قاطات مهدها فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور ڤان ديك في تأليف او تعريب قسم كبير من الكتب العلميَّة قدوةً بالشيخ الطهطاوي بمصر ففتحت ترجمتها باباً جديداً طرقهُ الشرقيون لاحراز العلوم العصريَّة . وكانت المطبعة الاميركيَّة تذلّل لهم الصعاب في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عهداً طويلاً كاساس التعليم في الكليَّة الاميركيَّة وبعض المدارس الوطنيَّة حتى بعد قصورها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنةً بعد سنة فبقيت على نقصها حتى اضطرّت عمدة المدرسة الاميركيَّة الى استئناف التدريس باللغة الانكليزيَّة

وكان النجاح الذي فاز بهِ اصحاب الكليَّة الاميركيَّة باعثاً للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا ابناء مللهم من الاضاليل البروتستانيَّة . وكان اليسوعيون اوّل من تحفّز لمناهضتهم فعزّزوا مدارسهم الثانويَّة في غزير وبيروت وصيدا . ثم جعلوا يطلبون ما هو انجع وسيلة لبلوغ اربهم بانشاء كليَّة في بيروت تباري كلية الاميركان وتقدم لابناء الشرق مناهل العلوم صافية من كل رَنق يكدّرها . فما لبثت بعد اربع سنوات ان تشيَّدت ابنية كليتنا الكاثوليكية ونُقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧٥ فنالت من كرم الكرسي الرسولي كل انعامات الكليَّات بمنح شهادات العلوم الدينيَّة

لمستحقيها كما انّ الدولة الفرنسويّة اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسة لذويها

وفي غرّة سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيُّون جريدتهم المجمع الفاتيكاني لنقل اخبار ذلك المجمع المسكوني. ثمّ اعقبوهُ بعد فراغ المجمع في ايلول بجريدة البشير لمناضلة النشرة الاسبوعيّة فصار لها رواج كبير ولم تزل تكبر وتتحسن حيناً تِلو حين. وها قد مرّ عليها اليوم ٥٠ سنة بنيّف وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكية باسرهم

وفي هذه المدّة ايضاً ترقّت المطبعة الكاثوليكيّة بهمّة رئيسها الهمام الاب امبرواز مونو الذي لم يشأ ان تتخلّف عن المطبعة الاميركيّة في شيء. فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانهِ الطيب الذكر الاخ ماري الياس الى عواصم اوربّة ليدرس فنّ الطباعة على احذق الطبّاعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقيّة في مطبعتنا ومطابع البلدة. وكذلك تعلّم غيره من رهباننا كالمرحوم الاخ انطون عبدالله فنّ الحفر وسبك الحروف واستحضار سنابكها وأمهاتها فأغنوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربية والسريانيّة وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينيّة والعلميّة التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتنا وكان اجودها حرفاً واتقنها طبعاً الكتاب المقدّس (١٨٧٦—١٨٨٢) في ثلاثة مجلّدات مزيناً بالتصاوير والنقوش . وكان الآباء المرسلون لم يدّخروا وسعاً في تعريبهِ عن اللغتين الاصليتين العبرانيّة واليونانيّة ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ . وقد صدّق على هذه الترجمة الجديدة غبطة السيد منصور براكو بطريرك اورشليم اللاتينيّ واثنى عليها سائر بطاركة ومطارنة واساقفة الطوائف الكاثوليكية في الشرق

ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكيّة يهتمون بالكتب المدرسيّة وكانت قبلهم عزيزة جدًا لا يصل اليها الاحداث الّا بعد شقّ النفس فتوفّرت الكتب التعليميّة وزادت بذلك مدارس الشرق ترقياً ونجاحاً

وكانت بقيّة الرسالات اللاتينيّة تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فاللعازريون

كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا . ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة . وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتحوا مدرسة ثانويّة في حلب علّموا فيها اللغات واصول الآداب

ولم تتأخر الطوائف الشرقيَّة في هــذه الحلبة . فانهُ تعيَّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على الموارنة بعد الطيّب الذكر طوبياً عون احد رجــال العلم والعمل السيّد المبرور يوسف الدبس فافرغ الوسع في ترقية ابناء رعيّتهِ في معارج التمدُّن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٥ مدرسة الحكمة الشهيرة التي نمت فروعها وبسقت افنانها وينعت ثمارها الى يومنا هــذا . فتقلّد كثير من المتخرّجين فيها المناصب الجليلة وخدموا وطنهم بنشاط عظيم . ومن مساعيهِ الطيبة لتوسيع نطــاق الآداب مطبعتهُ العموميَّة الكاثوليكيَّة التي اشتراها من يوسف الشلفون شركةً مع رزق الله خضرا فنشر فيها مجموعاً واسعاً من المطبوعات الدينيَّة والادبيَّة والمدرسيَّة منها قسم كبير من قلمهِ

وفي هذه المدَّة ثبت قــدم جمعيَّة المرسلين اللبنانيّين التي أسسها المطران يوحنــا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت تزداد عددًا وفضلًا بهمَّة منشئها الفاضل

امَّا الروم الكاثوليك فانَّ مدرستهم البطريركيَّة بلغت في هــذه الآونة اوج عزّها بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها . وكان جلُّ اهتمامها اتقان اللغة العربيَّة بفروعها . وُعني السيد البطريرك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أُخرى لابناء طائفتهِ في دمشق سلّم ادارتها الى كهنة افاضل احكموا تدبيرها

وفي هذا الطور أُنشئت مطابع جديــدة كالمطبعة السليميَّة لسليم افندي مدوَّر ومطبعة القديس جاورجيوس للروم ومطبعة جمعيَّة الفنون للمسلمين . وقد ظهرت في كل هــذه المطابع تآليف متعدّدة نشرنا في المشرق اسماءها . وكذلك الجرائــد والمجلّات فقد أُنشئ منها ما راجت سوقهُ . وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حرّيتهم لا يعيقهم في نشر المطبوعات عائق المراقبة . والجرائد تروي الاخبار كما تشاء لا يُعترَضُ عليها الّا اذا خرجت عن طورها وتعدَّت حدودها . وقد سبق لنــا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلّم بطرس البستاني وعهدَ بتحريرها الى ابنهِ سليم سنة ١٨٧٠ وفيها باشر بجريدتين الواحدة اسبوعيَّة وهي الجنَّة والثانية يوميَّة دعاها الجنينة وهذه الاخيرة لم تطُل مدَّتهــا . امَّا الأُوليان فاشتغلتا خمس عشرة سنة فاكسبتا الاسرة

البستانيَّة شهرة بفصولهما. وقد أُنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القبّاني فخدمت مصالح الأمَّة الاسلاميَّة بلا ملل الى ايّام الدستور. وبعدها بسنتين شرع الادباء شاهين ابكاريوس ويعقوب صرُّوف وفارس نمر من تلامذة الكليَّة الاميركيَّة ينشرون مجلَّة علميَّة صناعيَّة زراعيَّة دعوها المقتطف واودعوها كثيرًا من المقالات العلميَّة وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان نُزعت عن الجرائد حرّيتها فانتقل محرّروها الى مصر وجروا فيها على خطَّتهم الحرَّة الى هذه السنة وهي الخمسون من عمرها. وفي هذه المجلَّة من المنافع ما لا يُنكر لولا ان كتبتها صوَّبوا غير مرَّة سهامهم للتعاليم الدينيَّة وناصبوا القضايا الفلسفيَّة الراهنة ونسبوا الى العلم ما هو بريءٌ منهُ كما بيَّنَّا لهم الامر احيانًا عديدة في جريدة البشير ومجلة المشرق

أمَّا في بلاد الشرق خارجًا عن الشام فانَّ الآداب العربية فيها لم تَخطُ خطوةً كبيرة في هذه السنين العشر فلا نرى لها من المنشآت ما يستحقُّ الذكر. وانَّما كانت المطابع المصريَّة وخصوصًا مطبعة بولاق تواصل اشغالها فتنشر من التآليف القديمة ما كان يحبّب الى الادباء درس اللغة واحراز فوائدها لولا سُقم طبعها وقلَّة العناية في تصحيحها. وكذلك الاستانة العلية فان صاحب الجوائب الذي مرَّ لنا ذكرهُ نشر في مطبعته قسمًا حسنًا من التآليف العربية القديمة كديوان البحتريّ وادب الدنيا والدين وبعض مصنَّفات الثعالبي. ومثلهُ الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الموصل (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٤٢٣) فانهُ نشر هناك فضلًا عن الكتب الدينيَّة عدَّة تآليف حسنة عزَّزت في الناشئة محبة الآثار العربيَّة

وفي هذا الطور أُصيبت الآداب العربية ببعض التأخر في الاصقاع الاوربيَّة لما حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية. لكن هذه الحال لم تَدُم مدَّةً طويلة لان الامور بعد زمن اخذت في السكون والهدوّ وعاد العلماء الى دروسهم بل اتَّسع نطاقها فامتدَّت في المانية وانكلترَّة وأُنشئت كليات جديدة كان للغة العربية فيها الحصَّة المشكورة. وقد شُكّلت جمعيات شرقيَّة في ايطالية والنمسة بعثت همم اهلهما على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية. وكانت المطابع الاوربية تغني كل يوم لغتنا بنشر تآليف يخرجها المستشرقون من دفائن المكاتب ويحيونها بعد

موتها نخص منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندة التي ابرزت قسماً كبيراً من اجود تآليف قدماء العرب وخصوصاً في التاريخ ووصف البلدان

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارقى شأناً عند النصارى منها عند المسلمين وانما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد تعاطوا الفنون الادبيـة من شعر ونثر وخلفوا منها آثاراً طيّبة وها نحن نذكرهم على سياق سني وفاتهم تنويهاً بفضلهم

(رفاعة بك الطهطاوي) كان رفاعة بك من اشراف طهطا احدى مدن الصعيد ويرتقي نسبهُ الى فاطمة الزهراء. ولما وُلد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان الدهر اخنى على اسرتهِ فذاق في حداثتهِ مرائر العيش ثم انتقل بعد وفاة والدهِ الى القاهرة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر وطلب العلوم برغبة حتى روي منها واحبَّهُ اساتذته لاجتهادهِ وقدَّموهُ. ونما خبرُهُ الى محمد علي باشا إمام الدولة الخديويَّة فأرسلهُ مع غيرهِ من الشبان الى فرنسة ليتلقَّوا فيها العلوم الاوربية فدرس اللغـة الفرنسويَّة حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف الغربية ما استلفت اليهِ الانظار ونقل كتاباً افرنسياً وسمهُ «بقلائد المفاخر في غرائب عوائـد الاوائل والاواخر» فكان ذلك داعياً لترقيتهِ في المناصب. فقلَّده محمد علي وظيفة الترجمـان في المكتب الطبي الذي انشأهُ في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فنقل الى العربية عـدَّة تآليف افرنجيَّة مستحدثة. ثم عرَّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسيَّة وغيرها. وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندبهُ صاحب مصر الى رئاسة مدرسة الالسن الاجنبية التي عُرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تدبيرها حتى بلغ عدد تلامذتها ٢٥٠. فجازاهُ الخديوي بمنحهِ رتبـة قائمقام ثم رتبة اميرآلاي وأرسل مـدَّةً الى الخرطوم لنظارة مدرستهـا وتولَّى نظارة المـدرسة الحربية في مصر. ولم يزل يتقلَّب في المناصب وادارة المـدارس والتعليم والكتابة. وكان رفاعة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة. وهو الـذي باشر اوَّل جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢). ثم تولَّى في آخر حياتهِ ادارة جريدة روضة المدارس. ولرفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضها من تأليفهِ كرحلتهِ الى باريس ومباهج الالباب المصرية وكتـاب تاريخ مصر الحـديث

واكثرها من ترجمتهِ كجغرافية مَلطبرون واخبار تلماك وهندسة ساسير ورسائل طبيَّة وله غير ذلك من التآليف والمقالات والمنظومات التي لم يُطبع منها الَّا القليل. وقد رأيناه كثير التصرُّف في ترجمة كتبهِ الَّا انهُ سبق اهل وطنهِ بتعريب التآليف الغربية فنال فضلًا بتقدُّمهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرثاهُ الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها :

ألا ما لِطَرْفِ المجد دامٍ ودامعُ على وجنة العَلياء هامٍ وهامعُ

الى ان قال مشيرًا الى فهمي افندي نجل المتوفَّى :

وكادت تميدُ الارضُ لو لم يكن جا لهُ خلفٌ يحيي المآثرَ بارعُ

(عبد الغفَّار الاخرس) هو السيد عبد الغفَّار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير شعراء العراق كان مولده في الموصل السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثمَّ انشأ في بغداد واتخذها موطنًا وسكن جانب الكوخ وقرأ على الشيخ الالوسيّ كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازةً. ثمَّ درس العلوم العقليَّة والفنون العربيَّة فاتقنها وتعاطى فنَّ الشعر فاجاد بهِ كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب المسك الاذفر قال عنهُ انَّ اليهِ كانت النهاية في دقَّة الشعر ولطافتهِ وحلاوتهِ وعذوبتهِ. وكان مع ذلك في لسانهِ تلعثُم وثقَل فدُعي بالاخرس لسببهِ. قيل انهُ في شبابهِ كتب الى داود باشا والي العراق ابياتًا يسألهُ فيها ان يأمر بمعالجة لسانهِ قائلًا :

انَّ اياديك منك سابقةٌ عليَّ قدمًا في سالفِ الحُقُبِ
هذا لساني بعوقهُ ثِقَلٌ وذاك عندي من اعظم النُوَبِ
فلو تسبَّبتَ في معالجتي لنلتَ اجرًا بذلك السببِ
وليس لي حرفةٌ سوى ادبٍ جمٍّ ونظم القريض والخطبِ
من بعد داودَ لا حُرِمتُ مُنًى فقلت قد مضت دولةُ الادبِ

فارسلهُ الوالي الى بعض اطباء الهند فقال لهُ : انا أُعالج لسانك بدواء إمَّا ان ينطلق وامَّا ان يُلحقك بمن مضى من سالف الجدود. فأبى ولم يرضَ بدوائهِ وقال: لا ابيع كلّي ببعضي وكرَّ راجعاً الى بغداد. وكان يتردَّد الى البصرة لِما عرف في اهلها من السخاء ومحبة الغرباء. ولهُ مدائح في اكثر اعيانها وفضلائها وبها كانت وفاتهُ سنة

١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانهِ وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي . وكان لهُ شعر كثير متفرّق جمعهُ احمد عزّت باشا العُمَري بعد وفاة صاحبهِ وسمّاه «الطراز الانفس في شعر الاخرس» وقد طُبع هذا الديوان في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م) . فمن شعره قولهُ يصف سفرهُ من البصرة الى بغداد على سفينة بخاريَّة :

قد ركبنا بمركب الدُّخانِ وبلغنا بهِ اقاصي الاماني
حيث دارت افلاكهُ واستدارت فهي مثلُ الافلاك بالدوَرانِ
ثمَّ سرنا والطيرُ يحسدنا بالامس لإسراعنا على الطيرانِ
يخفق البحرُ رهبةً حين يجري والذي فيهِ كائنٌ في امانِ
كلَّما أبعد البخارُ بمسرًى قرَّب السيرُ بُعْدَ كلّ مكانِ
أتقنَتْ صُنْعَهُ فطانةُ قومٍ وصفوهم بدقّة الاذهانِ
ما اراها بالفكر الَّا اناساً بَقيتْ من بقيَّة اليونانِ
ابرزوا بالعقول كل عجيبٍ ما وجدناهُ في قديم الزمانِ
وبنوا للعُلى مباني علاءٍ عاجزٌ عنها صاحب الايوانِ
فلهم (١ في الزمان علمٌ وفخرٌ ومقامٌ يعلو على كيوانِ

وقد نظم السيد الاخرس قصائد عديدة في مدح اديب العراق عبد الباقي الفاروقي . ورثاه بعد موتهِ بقصيدة اوَّلها :

مالي اودِّع كل يومٍ صاحباً اذ لا تَلاقي بعد طول فِراقِ
وأُصارم الاحبابَ لا عن جفوةٍ مني ولا متعرِّضاً لشقاقِ
فارقتُهم ومدامعي منهلَّةٌ وجوانحي للبَين في إحراقِ

الى ان قال :

فارقتُ اذكى العالمينَ قريحةً واجلَّها فضلًا على الاطلاقِ
وفقدتُ مستنَدَ الرجال اذا روتْ عنهُ الثقاتُ مكارمَ الاخلاقِ
قد كان منتجعي ومشرعةُ منهلي ومناطُ فخري وارتيادُ نياقي

١) وفي الاصل : فهموا وهو تصحيف . وكذلك قد تصحَّف البيت الخامس فاصلحناه

كانت لهُ الايدي يطوّقني بها   مننًا هي الاطواقُ في الاعناقِ

وختمها بقولهِ :

رزءٌ أصيب بهِ العراق فأرِّخوا   رزءُ العراقِ بموتِ عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودّعاً بعضَ الكرام اسمهُ يوسف :

مولاي قد حان الوداعُ   وقد عزمتُ على المسيرِ
كم زرتُ حضرتك التي   ما زلتُ منها في حبورِ
ورجعتُ عنك بنائلٍ   غمرٍ وبالخبر الكثيرِ
واللهُ يعلمُ انني   من شكر فضلك في قصورِ
يا مفردًا في عصرهِ   بالفضل معدومَ النظيرِ
يا يوسفُ البدرُ الذي   يسمو على البدر المنيرِ
ما لي بغيرك حاجةٌ   كغنى الخطير عن الحقيرِ
وسواك يا مولاي لا   واللهُ يخطرُ في ضميري
ما كلُّ ورّادٍ يفو   زُ بموردِ العذب النميرِ
لا زلتَ اهلًا للجميـل مدى الليالي والشهورِ

ومما لم نجدهُ في ديوانهِ تخميسٌ لابيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائرٍ :

ألا قطع الرحمٰن كلَّ مُقاطعٍ   مضرٍّ بما يقضي بهِ غير نافعِ
وراضٍ بظلمٍ طامعٍ غير قانعٍ   وقاضٍ يجورِ ما لهُ من مضارِعِ
على انهُ بالعسفِ اقطعُ من ماضِ

فكم قد جنى في حكمهِ من جنايةٍ   وقد راح في غيٍّ لهُ وغوايةٍ
فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ   قضى ومضى لكن الى كل غايةٍ
من الخزي لا يحظى بها ابدًا قاضِ

بُلينا بقاضٍ جائرٍ غير عادلٍ   يجورُ بحكمٍ قاصرٍ غير طائلِ
ومن اعظم البلوى بلاءٌ بجاهلٍ   يقولونَ يقضي قلتُ لكن بباطلِ
وقالوا يقصُّ الحقَّ قلتُ بمقراضِ

(السيّد صالح القزويني) هو ايضاً احد شعراء العراق المُجيدين ولـد في النَّجف

في ١٧ رجب ١٢٠٨ هـ ١٩ شباط ١٧٩٣ م وتوفي في بغداد في ٥ ربيع الأول ١٣٠١ (٤ ك ٢ ١٨٨٣) تخرج في وطنه على علمائه واتقن العلوم المذهبية ثم تفرغ للآداب ولنظم الشعر فنبغ فيه. فكان مواطنوه ينتابون مجلسهُ ويتجاذبون اطراف الأدب ويتناشدون الاشعار فلا يكاد احد يبلغ شأوهُ. وقد اشتهر خصوصاً بالوصف والمدح وقد خلَّف ديوانين في كلّ معاني الشعر لم يُمثَّلا للطبع حتى اليوم

(الحاج عمر الانسي) ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويّها والعراق بأخرسها كانت بيروت تأنس بأُنسيّها الحاج عمر سليل اسرة شريفة اشتهر لقبها بالصقعان. وُلد الانسي سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢م) في بيروت واخذ العلوم عن الشيخين محمَّد الحوت وعبد الله خالد وقد قلَّدتهُ الحكومة السنيَّة عدَّة مناصب كنظارة النفوس في لبنان وعضويَّة مجلس ادارة بيروت ومديريَّة حيفاء ونيابة صور وبقاع العزيز تقلَّب فيها كلها واظهر فيها درايةً وعفَّة نفس وعلوَّ همَّة. وكانت وفاتهُ في وطنهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦م). وقد وصفهُ من عرفهُ بحسن المعشر وأُنس المحضر والصدق والاستقامة. وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم ولهُ مصنَّفات منها ديوان شعرهِ الموسوم بالمورد العذب طُبع في بيروت سنة ١٣١٠ (١٨٩٥م) بهمَّة نجلهِ السيد عبد الرحمن. وقد كان بينهُ وبين الشيخ ناصيف اليازجي مكاتبات. ومما مدحهُ بهِ الشيخ قولهُ من ابياتٍ:

واذا اردتَ قصيدةً نبِّهْ لها عُمَرًا ونَمْ
الشاعرُ العربيُّ ذو الـغُرَرِ التي سَبَتِ العجمْ
في المكرُمات لهُ يدٌ والى الصوابِ لهُ قدَمْ
ولهُ مناقبُ لا تُنا لُ كأخاصيدُ الحرَمْ

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر. قال في التقى:

عليكَ بتقوى الله والصدقِ انَّما نجاةُ الفتى يا صاحِ بالصدقِ والتُقى
وقِسْ حالَ ابناء الزمان بضدّهِ ترَ الفرق ما بين السعادةِ والشقا

وقال في الزهد:

رغبتُ عن الدنيا وزُخرفِ اهلها وقلتُ لنفسي انَّما العيشُ في الأُخرى
فدَعني وزهدي في الحُطامِ فانني ارى الزهدَ في الدنيا هو الراحةُ الكبرى

ومن ظريف هجوهِ ما قالهُ في غلام قهوجي يُدعى هلالًا :

تعسَ الهلالُ القهوجيُّ لأنهُ قد قطعَ الانفاسَ من انفاسهِ
هذا الهلالُ هو الهلاكُ وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في راسهِ

اراد بالعصا الشطبة التي تُرسم في رأس الكاف (ک) الشبيهة باللام (ل) . وقال يهجو ثقيلًا كان لا يزال يذكر ذنوبهُ :

شكا ثِقَلَ الذنوب لنا ثقيلٌ فقلتُ لهُ استمعْ لبديع قيلي
ثلاث بالتناسب فيك خُصَّت فلم توجد بغيرك من مثيل
ذنوبك مثل روحك ضمنَ جسمٍ ثقيلٍ في ثقيلٍ في ثقيل

ومن رثائهِ قولهُ في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١هـ من ابياتٍ :

فقدنا اديبًا كان طِرْسُ يراعهِ اذا خطَّ سطرًا نال من خطّهِ شَطرا
اخا شِيَمٍ قد اعجزتْ عن مديحها لساني فأمسى لا يُطيق لها شكرا
وما كنتُ يا مارونُ قبلك زاعمًا بانَّ الثرى عن اعيني يحجبُ البدرا . . .
فكم لك في الآداب لطفُ شمائلٍ اذا ما نثرنا ذكرها نفحتْ نشرا
وكم لك من ابيات شعرٍ حريَّةٍ بها أن تحلّي جيدَها الغادةُ العذرا
ألا يا بني النقّاش لا يحزننَّكم بكا وسعَ الاجفانَ او ضيّقَ الصدرا
أرى الدهرَ لما قسّمَ الحزنَ خصّنا بتسعةِ اعشارٍ وحمّلكم عشرا . . .
فآسف لو كان التأسّفُ نافعًا عليهِ ولكنَّ الثناءَ لهُ احرى

(الالوسيَّان عبدالله وعبد الباقي) وفي هذه المدة قضى اثنان من الالوسيّين نجبها في العراق . وهما ابنا السيّد العلّامة شهاب محمود افندي الالوسي الذي سبق لنا تعريف فضلهِ (ج ١ : ٩-١٢) اعني عبدالله وعبد الباقي . فالسيد عبدالله بهاء الدين افندي ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) فقال السيد عبد الغفار الاخرس مؤرخًا لمولدهِ :

ليهنك يا نحريرَ اهل زمانهِ ويا كاملًا عنهُ غدا الطرْفُ قاصرا
بطفلٍ ذكيٍّ قد اتاكَ وانما يضاهيك بالاخلاق سرًّا وظاهرا
وبشّرني فيهِ فقلتُ مؤرخًا بمولد عبد الله تلك البشائرا

فلمّا ترعرع اخذ العلوم عن والدهِ الى ان أُصيب بوفاتهِ وهو اذ ذاك ابن اثنتين وعشرين سنة فجزع لموتهِ وكاد لحزنهِ يلحق بابيهِ. ثمَّ انكبَّ على الدرس واجتمع ببعض افاضل وطنهِ فما لبث ان فاقهم واقبل على التدريس فحصل بعد حينٍ على شهرة واسعة وانتظم في سلك اهل الطريقة النقشبنديّة. ثم بُلي بانواع الاسقام فخرج من وطنهِ قاصداً الاستانة العليّة لكنَّ اشقياء العربان نهبوا اثقالهُ فعاد الى بغداد صِفر اليدين. وفي آخر امرهِ تولّى القضاء في البصرة فاكرمهُ اهلها وعرفوا قدرهُ لولا انهُ تأذّى بحمّياتها القتّالة فخرج منها بعد سنتين ولسانُ حالهِ ينشد مع معاصرهِ الشيخ صالح التميمي :

ومتى تسيرُ ركائبي عن بلدةٍ ابدًا اقام فَناؤها بفِنائها
لا فرق بين شَمالها وجَنوبها وقَبُولها ودَبُورها وصباها
ما ان تحرّكتِ الغصونُ بارضها الّا تحرّك في الجسوم اذاها
اشجارُها خضرٌ وأوجهُ اهلها صُفرٌ بما كَسَفَ السقامُ جباها
لولا قضاءُ اللهِ حتمٌ واجبٌ أبتِ المروءة ان ادوسَ ثراها

فما وصل الى بغداد حتى مات بعد أيام ١٢٩١ (١٨٧٤) ولهُ من العمر ٤٣ سنة وكان السيد عبدالله كثير التديُّن ليّن الجانب محبّاً للفقراء لا يأنف من مخالطتهم . وقد امتاز بحسن نثرهِ وجزالة تعبيرهِ . ومن تآليفهِ رسائل ومقالات مفيدة وشروح في علمَي المنطق والبيان وألَّف كتاب الواضح في النحو وكتاباً في آداب الصوفيّة

امّا اخوهُ فهو السيّد سعد الدين عبد الباقي وقع مولدهُ سنة ١٢٥٠ فأرخهُ الشاعر عبد الحميد الاطرقجي :

طرباً بمن سرَّ الورى ميلادُهُ ومرى نسيمُ اللطفِ في الآفاقِ
يا سادتي بشراكمُ فيمن بدا متخلّقاً بمكارم الاخلاقِ
فرداً أتى وبهِ استمنتُ مؤرخاً تمَّ السرورُ لكم بعبد الباقي

اخذ عن والدهِ كاخيهِ ثمَّ عن الشيخ عيسى البندنيجيّ وزار الحجاز وتولّى القضاء في كركوك مركز ولاية شهرزور ثم في مركز ولاية بتليس وسافر الى دار السعادة . ولهُ عدّة مصنّفات اخصّها القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي واوضح

منهج في مناسك الحجّ الذي طُبع في مصر واسعد كتاب في فصل الخطاب وغير ذلك ممّا يشهد لهُ برسوخ القدم في المعارف . توفي في مصر سنة ١٢٩٨ (١٨٨١)

(ابو النصر عليّ) واشتهر في مصر في هذه الحقبة الاديب المصري ابو النصر علي وُلد في منفلوط وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠-١٨٨١) نظم الشعر في مقتبل الشباب واصبح من فرسان ميدانهِ فنما خبرهُ الى خديوي مصر اسماعيل باشا فقدّمهُ واجازهُ ولابي النصر عدَّة قصائد غرَّاء فيهِ وفي امراء الدولة الخديويَّة وقد رافق اسماعيل باشا لمَّا رحل الى الاستانة ثم مدح بعدهُ الحضرة التوفيقيَّة . ولابي النصر ديوان كبير طُبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ ضمَّنهُ اقوالًا منتخبة في كل ابواب البلاغة ومعاني الشعر فممَّا استحسنَّاهُ قولهُ في الخمر وقد نحا في وصفهِ طريقة الصوفيين :

بنتُ كرمٍ دونها بنتُ الكرامْ ... وهي بكرٌ زفَّها ساقي المُدامْ
شمسُ راحٍ في اصطباحٍ اشرقت ... في سماء الكاس كالبدرِ التمامْ
كم تجلَّى كأسها عن لؤلؤ ... من حُبابٍ كالدراري في انتظامْ
انَّ لي عنها حديثًا سرُّهُ ... لا يُضاهَى وهي لي اقصى المرامْ
لو درى اهلُ التقى اسرارَها ... لَسقَوا ابناءهم قبل الفطامْ
لا تسَلْني من معانيها وسَلْ ... عن حُلاها وسناها باحتشامْ
قال صِفْها قلتُ دَعْني انَّها ... صورةٌ كالجسم عندي والسلامْ
قال زدْني قلتُ ما المسؤول عنها بأدرى منها يا هذا الغلامْ
قال قلْ في كَرْمها مخلوقةٌ ... نزهةٌ للناس من سامٍ وحامْ
ما رآها عابدٌ الَّا اتقى ... عن سجود وركوعٍ وقيامْ
راحةُ الارواحِ في أقداحها ... انبأتنا انَّها تُبري السقامْ

وهي طويلة . ومن حسن شعرهِ قولهُ يصف سفر الحضرة التوفيقيَّة الى الصعيد سنة ١٢٨٧ :

زار في موكبٍ كعقد اللآلي ... فازدهى بالقدوم صفو الليالي

الى ان قال :

فازدهى رونقُ الصعيد جمالًا وتحلّت ارجاؤهُ بالحلالِ
وروى النيلُ عن رُواه حديثًا يشرحُ الصدر شرحهُ في المقالِ
حيث دُقّت بالشاطئَين طبولٌ والاهالي تفوقُ عدَّ الرمالِ
وتلافوا بضُمَّرٍ سابقاتٍ فترى الليث فوق ظهر الغزالِ
وتوالَوا في سَيْرِهم فاضاءت حليةُ البِيض بين سُمْر العوالي
وجميعُ البلادِ ابدت سرورًا ناشراتٍ اعلامها بابتهالِ
نسألُ الله عصمةً ونجاحًا وبقاء لهُ وحسنَ مآلِ .

ومن اقوالهِ يعاتب دهرهُ :

إلامَ تصوّبُ الاوهامُ غيًّا وتنشرُ ما طواهُ الرشدُ طيًّا
أبعد الحقّ تُنتظَر الاماني ويُفرَضُ ميتُ الآمال حيًّا
اذا كنّا مع الاحياء موتى فهيًّا نلحقُ الامواتَ هيًّا
شربتُ من الأسى عَلَلًا ونَهْلًا فزدتُ صدًى وما ألفيتُ ريًّا
وكم جبتُ المهامهَ كي ألاقي بمُنتجعي جوادًا او تقيًّا
فذاك اراهُ مختالًا فخورًا وهذا قصدهُ يُدعى وليًّا

وقال يصف الاماني الباطلة :

بلوتُ الاماني وجرّبتُها فألفيت فيها عجيبَ العُجابْ
تريكَ البعيدَ قريبًا كما تريكَ انقيادَ الامير المهابْ
فلا تتّخذها سبيلًا الى بلوغ المرام ودَعْ ما يُعابْ
فانّ الاماني خيالٌ يمرُّ على من تخيّل مَرَّ السحابْ
وغايةُ ما ينتجُ من مُناها تصوُّرُ خلافِ الصوابْ

ومن اقوالهِ الحماسيّة قولهُ :

ارى دولة الايّام خائنة العهدِ مراوغةً تصبو الى الخلف في الوعدِ
وما بالها تجني على كلّ ماجدٍ كأنّ لها ثارًا على دولة المجدِ
ترينا محيًّا باسم الثغر ظاهرًا ولكن لها قلبٌ مصرٌّ على الحقدِ
تغرُّ فتحلو للغبيّ ومَن درى تُجرّعهُ كأس المرار على عمدِ

اعدَّت لحربي جندَها فلقيتُهـا بقوَّةِ جأشٍ دونها قوَّةُ الصلدِ
وأستقبل الاخطار بالبشر لاهياً بدون اكتراثٍ مازجَ الهزل بالجدِّ
وان ضاق ميدانُ المخاوف لم أكن حريصاً على حبِّ الحياة ولا افدي

ولابي النصر رحلتان الى القسطنطينية كانت الاولى في ايام السلطان عبد المجيد موفداً من محمَّد عليّ الكبير وانشد حينئذٍ شيخ الاسلام قولهُ يمدح القسطنطينيَّة :

وكنَّا نرى مصر السعيدة جنَّةً ونحسبُها دون البلاد هي العليا
فلمَّا رأت دار الخلافة عينُنـا علمنا يقيناً انَّها لَهِيَ الدنيا

وكانت رحلته الثانية مع الخديوي اسماعيل باشا وصادف دخولها الاستانة يوم عيد جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) فقال ابو النصر يمدح الحضرة السلطانيَّة بقصيدة مطلعها :

تبسَّمتِ الازهار عن لؤلؤ القطرِ ففاح شذاها في الحدائق كالعطرِ

ومنها في مدح السلطان :

افادَ العلى جاهاً وعزّاً مؤبَّداً وألبسها من مجدهِ حلَلَ الفخرِ
وابدى لأعلام التقدُّمِ مظهراً بهِ ملكهُ يعلو على دولِ العصرِ
واحيا لإحياء العلى كلَّ دارسٍ فاضحت قلاعُ الثغر باسمة الثغرِ
وجدَّد في عهدٍ قريبٍ بواخراً بها قوَّةُ الاسلام محكمةُ الامرِ
برونقها تكسو الفخار مهابةً وتعلو بما حازت على الانجم الزُّهرِ
لهُ من رجال الحرب جيشٌ عرمرمٌ لهم هِمَمٌ في الفتك بالبيض والسمرِ
مدافعهم شمُّ الأنوفِ على العدى تخرُّ لها شمُّ الجبالِ من الصخرِ
واسيافُهم في السِلم يحلو صيانُها متى جُرِّدت مالت الى القطر بالنحرِ

وختمها بهذا التاريخ :

وها ان في البُشرى اقولُ مؤرِّخاً جلوسُكَ عيدُ الدهر ام ليلةُ القدرِ

(محمود صفوت) ومن معاصري ابي النصر علي وطنيُّهُ محمودُ افندي صفوت بن مصطفى اغا الزيلع الشهير بالساعاتي ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وبها توفي سنة وفاة ابي

النصر ١٢٩٨ (١٨٨١) لزم الآداب واشتهر بنظمهِ ونثرهِ حتى عُدَّ فيها من المقدَّمين. وتوجَّه الى الحجاز ودخل على امير مكَّة الشريف محمَّد بن عون فاكرم مثواهُ وابقاهُ عندهُ الى آخر امارتهِ ثم سافر الى القسطنطينيَّة وعاد بعد ذلك الى وطنهِ وفيهِ قضى بقيَّة حياتهِ . ولمحمود افندي صفوت ديوان شعر نُشر بالطبع في مصر سنة ١٣٢٩ (١٩١١). فمن ذلك قولهُ يفتخر :

وَلع الزمانُ واهلهُ بعداوتي	انَّ الكرام لها اللئامُ عِداءُ
أيحطُّ قدري الحادثات وهمَّتي	من دونها المرّيخُ والجوزاءُ
هيهات تخفض جانبي وعزائمي	مثل البواتر دأبها الإمضاءُ
صبرًا على كيد الزمان فانَّما	يبدو الصباحُ وتنجلي الظلماءُ

ولهُ في رثاء احد العلماء :

بكت عيون العلا وانحطَّت الرُّتبُ	ومزَّقت شملَها من حزنها الكتبُ
ونكَّست رأسها الاقلامُ باكيةً	على القراطيس لمَّا ناحت الخُطبُ
وكيف لا وسماء العلم كنت بها	بدرًا تامًّا فحالت دونك الحجُبُ
يا شمسَ فضلٍ فدتك الشهبُ قاطبةً	اذ منك لا النجمُ تُغني ولا شهبُ
لمَّا اصابك لا قوسٌ ولا وترٌ	سهمُ المنيَّة كاد الكون ينقلبُ
ما حيلةُ العبدِ والاقدارُ جاريةٌ	العمرُ يوهَبُ والاقدارُ تنتهبُ

(صالح مجدي بك) وفي السنة ذاتها ١٢٩٨ (١٨٨١) توفي أديب آخر من نوابغ كتبة مصر السيِّد صالح مجدي بك. وُلد في رجوان من مديريَّة الجيزة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وبعد ان تلقَّى مبادئ العلوم العربيَّة ودرس اللغة الفرنسويَّة الحقهُ استاذهُ رفاعة بك الطهطاوي بقلم الترجمة ثم عهد اليهِ بتدريس اللغتين العربيَّة والفرنسويَّة في المدرسة الهندسيَّة الخديويَّة وعهدوا اليهِ تعريب كتب علميَّة للفرنج فعرَّب منها عددًا وافرًا في رسم الامكنة والطبقات الجيولوجيَّة والميكانيكيَّات والحساب والجبر والهندسة والفلكيَّات والفنون الحربيَّة كبناء الحصون ورمي القنابل الى ان تولى رئاسة الترجمة وجعلهُ اسماعيل باشا في المعيَّة السنيَّة وولَّاهُ مناصب أخرى وكان آخر ما عهد اليهِ قضاء القاهرة فلزمهُ الى وفاتهِ. وكان صالح بك يحسن الانشاء وفنون الكتابة وقد نشر

مقالات عديدة اجتماعيَّة وسياسيَّة وادبيَّة في جرائد مصر كروضة المدارس والوقائع المصريَّة . واشتغل بتأليف مطول لتاريخ مصر مع علي باشا المبارك ولهُ ديوان شعر واسع طُبع في بولاق سنة ١٣١٢ ﻫ

ومن شعر السيد صالح بك مجدي قولهُ سنة ١٢٨٩ يهنّئ جناب الخديوي اسمعيل باشا عند رجوعهِ من الاستانة :

مع النصر وافى مَن عليهِ المعوَّلُ ... ومن هو في ايامهِ الغرّ اوَّلُ
ومن هو للاوطان والملك والملا ... ملاذٌ وحصنٌ لا يُرامُ وموئلُ
ومن تملأ الدنيا مهابتُهُ التي ... بها الأُسدُ في آجامها تتجدلُ
ومن فاض من يمناهُ ماءُ سماحةٍ ... فأحيا بلادًا اهلها قد تمزَّلوا
ومن شاد اركان المعالي بهمَّةٍ ... يقصّرُ من ادراكها متطولُ
وقد جاءت البشرى بذاك فزُيِّنت ... لمَقدَمهِ مصرٌ وفاز المؤمّلُ
وأثنت على دار الخلافة عند ما ... رأتهُ بها يعلو وشانيهِ يسفلُ
فعِشْ ما تشا في دولةٍ انت ربُّها ... ومجدك فيها من قديم مؤثَّلُ
وقد قلتُ في يوم القدوم مؤرّخًا ... الى مصر اسمعيلُ بالبشر مقبلُ

وقال من قصيدة يهنئهُ بها في اوَّل العام :

بالبشر في مصرَ لاحت غرَّةُ العامِ ... تزهو بنورِ مليكٍ للحمى حامي
تزهو بنور مليك غيثُ راحتهِ ... في الكون طول المدى بين الورى هامي
هو الخُدَيْوُ الذي اوطانهُ نشرت ... للفضل في عصرهِ مطويَّ أعلامِ
وللتمدُّن مدَّت باعها والى ... اوج العلى سارعَت من غير إحجامِ
فيا لهُ من حكيم بالعلاج محا ... ما كان في جسمها من فرط أسقامِ

ولهُ في حسين باشا ناظر المعارف والاوقاف والاشغال العموميَّة :

لجنابك العالي ثلاثُ مصالحٍ ... نُظمتْ بسمطَي همجدٍ ويُمنِ
واضاءَ منك جبينُها برئاسةٍ ... اعمالُها منشورةُ العلَمَينِ
وغتْ بها بركاتُ اوقافٍ روت ... مصرًا وقد فاضت على الحرَمَينِ
وبحزمك الاشغالُ زاد نجاحها ... وبخارُها في السهل والجبلَينِ

ولك المعارف غرَّدت ابناؤها بمدائح الاجداد والابوَين
وبديعُ نظمٍ كامل في كاملٍ من مخلصٍ بالقلب والشفتَين
من مخلص لك في الثناء بدولةٍ اضحيت فيها حائزَ الشرفَين

وختمها بهذا التاريخ :

والمجد في علياك قال مؤرخاً زمنُ المعارف مُشرقٌ بحُسَينِ (١٢٨٩)

(ابو السعود افندي) ومن مشاهير ادباء مصر في ذلك الوقت ابو السعود افندي عبد الله المصري ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) في دهشور قرب الجيزة ودرس في المدرسة الكلية التي انشأها محمَّد علي باشا في القاهرة فبرع بين اقرانهِ. ثم ندبتهُ الحكومة الى نظارة اعمالها فكان في وقت الفراغ يواصل دروسهُ ويعكف على التأليف شعرًا ونثرًا. وحرَّر مدَّة جريدة وادي النيل وكاتب أُدباء زمانهِ . ونقل بعض كتب الفرنج الى العربيَّة. ومن تآليفهِ «كتاب منحة اهل العصر بمنتقى تاريخ مصر» نظم فيهِ مجمل حوادث تاريخ مصر للجبرتيّ ووضع تاريخاً لفرنسة الحقهُ بتاريخ ولاة مصر من اوَّل الاسلام دعاهُ بنظم اللآلي . وباشر بترجمة تاريخ عامّ مطوَّل وسمهُ بالدرس التامّ في التاريخ العامّ طُبع منهُ قسمٌ سنة ١٢٨٩ . وكان ابو السعود شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان طُبع في القاهرة اودعهُ كثيرًا من فنون الشعر كالمديح والمراثي والفراقيّات. ونبغ في المنظومات المولَّدة كالمواليا والموشَّحات. ولهُ ارجوزة نظم فيها سيرة محمَّد علي باشا كثيرة الفوائد بيّنة المقاصد تبلغ عشرة آلاف بيت. ولهُ غير ذلك مما تفنن فيهِ وسبق آل عصرهِ توفي ابو السعود افندي في ربيع الاوَّل سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨). وقد رثاهُ احد شعراء وطنهِ بقصيدةٍ قال في مطلعها :

خُلِق الهبوطُ مع الصعودْ ومع القيام بدا القعودْ

الى ان قال :

ليس البكاء لنادةٍ ابدتْ لمغرمها الصدودْ
لكنَّهُ لمَّا قضى ربُّ القريض ابو السعودْ
من لم يُجبْهُ بدمعهِ فكأنَّما نقضَ العهودْ
فهو الحريُّ بان تذو بَ عليهِ بالاسفِ الكبودْ

بحرٌ تدفّق ماؤه لكنّهُ عذبُ الورودْ
بقريحةٍ سالت على ارجائها سَيْلَ العهودْ
كم انتجت مُخبّا لـهُ فكأنّها الامُّ الوَلودْ
ابدًا توقّدُ بالـذكا ء فليس يعروها خمودْ
نشبت مخالبها المنيّـة فيه وهو من الاسودْ
لا غروَ ان صعدَ السما بين الملائكة السجودْ
فبناتُ نعشٍ قد حملـنَ سريرهُ لمَن الشهودْ

(الحاج حسين بَيْهم) وفي آخر هذه الحقبة في صفر من سنـة ١٢٩٨ (٢٤ ك ٢ ١٨٨١) فقدت الآداب احد اركانها في بيروت وهو الحاج حسين ابن السيد عمر بَيْهم كان والدهُ عمر من اعيان المدينة وادبائها رثاهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة وفـاته ١٢٧٦ (١٨٥٩) بقصيدة مطلعها:

زُرْ تربةً في الحمى يا اجّا المطرُ وقُلْ عليـكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

ومنها:

في شخصهِ الدين والدنيا قد اجتمعا وذاك بنـدرُ ان تحظى به البشرُ

ولد حُسين ابنهُ سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) ونشأ حريصاً على تحصيـل مسائل العلم وفنون الادب فاخذ عن علماء ملّتهِ كالشيخ محمّد الحوت والشيخ عبدالله خالد. وبعد ان تعاطى التجارة زمناً يسيرًا انقطع الى العلم ونال بهِ شهرةً ثم نظم الشعر فصارت لهُ بهِ ملكة راسخة بحيث كان يقولهُ ارتجالًا في المحافل ويخرجهُ على صور مبتكرة تطرب لهُ الاسماع. وقد ولّتـهُ الحكومة عدّة مناصب كنظارة الخارجيّـة ورئاسة الاحكام العدليّة ثم أُعيدت اليهِ الخارجيّة فقال في ذلك:

انّ الفؤاد لهُ في الملك معرفةٌ فـالخارجيّةُ لم تترك نظارتَهُ
لذاك سلطانُنا المنصور ردَّ لهُ مع حسن انظارهِ أرّخْ بضاعَتَهُ

ولمّا وُضع القانون الاساسيّ وفُتح للمرّة الاولى مجلس النوّاب انتخبـهُ مواطنوهُ ليمثلهم فيهِ فحضر في الاستانة جلساتهِ ثم عاد الى وطنهِ واعتزل المأموريّات وانقطع الى الآداب. وكان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الاخلاق عالي الهمّة محبوباً عنـد

الجميع . وكان احد اعضاء جمعيّة العلوم السوريّة المُنشأة في بيروت فلمّا توفي رئيسها الاوَّل امير محمَّد ارسلان عهدوا اليه رئاستها . وكان للحاج حسين نظمٌ رشيق مطبوع قد بقي منهُ القليل ومن آثاره رواية ادبيَّة وطنيَّة مُثلَّث مرارًا وقرَّظها الادباء . ومن شعره قولهُ في تاريخ جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٧ :

خلافة الاسلام قد اصبحت تزهو افتخارًا بالمليك العزيزْ
وملّة الايمان ارّختُها طابت بشاهنشاه عبد العزيزْ

وقال مؤرخاً انشاء التلغراف في بيروت :

لله درُّ السلك قد ادهشت عقولنا لمّا على الجوّ ساقْ
فأعجبُ الكون بتاريخهِ شبهُ برقٍ او شبيه البُراقْ (١٢٧٧)

وقال مشطرًا :

اذا العناية لاحظتك عيونُها وحَباكها من فضلهِ الرحمانُ
ناداك طائرُ يمنها وسعودها نَمْ فالمخاوف كلُّهنَّ امانُ
واصطدْ بها العنقاء فهي حبالةٌ واملك بها الغبراء فهي سنانُ
واصعد بها العلياء فهي معارجٌ واقتَدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

ومن جيّد شعرهِ قولهُ يعزّي صديقاً بفقد مالهِ :

لقد غمَّنا واللهِ والصحبَ كلَّهم مصابٌ دهاكم بالقضا حكم قادرِ
كأنَّ شرارًا منهُ طار لارضنا فـاحرق احشاء الورى بالتطايرِ
ولكنَّنا قلنا مقالةَ عاقلٍ يسلّم للباري بكل المظاهرِ
اذا سَلِمتْ هامُ الرجالِ من الردى فما المالُ الّا مثل قصِّ الاظافرِ
فكنْ مثل ظنّ الناس فيك مقابلًا لذا الخطب بالصبر الجميل المصادرِ
ولا تأسفَنْ اذ ضاع مالٌ ومقتنًى فربُّكَ يا ذا الحزم اعظمُ جابرِ
وانَّ حياة المرء رأسٌ لمالـهِ سلامتهُ تعلو جميع الخسائرِ

وقد نظم ارجوزةً حسنة في العلم وشرفـهِ نُشرت في اعمال الجمعيّة العلميّة السوريّة لسنتها الاولى (ص ١٦-٢٦)

ومما رُثي بهِ الحاج حسين افندي بيهم قول ابي الحسن الكستيّ :

فراقُكَ صعبٌ يا حسينُ احتمالُـهُ وبعدك رَكْبُ الأُنس شالت رحالهُ
رحلتَ الى دار البقاء مكرَّماً ومثلُكَ مولًى للنعيم مآلُـهُ
ولكن تركت القوم تبكي عيونهم عليك بدمعٍ كالسيول انهمالُهُ
وليس لنا من بعد فقدك حليةٌ سوى الحزن او صبرٍ يعزُّ منالهُ
حويتَ خصالاً جلَّ في الناس قدرُها وما كلُّ انسانٍ تجلُّ خصالهُ
عفافٌ ومعروفٌ وعلمٌ ورقّةٌ وفضلٌ ومجدٌ قلَّ فينا مثالهُ

(محمَّد اكنسوس) وممَّن رُزئت بهِ الآداب في هذا الوقت في بلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبدالله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي توفي في بلدهِ مراكش سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) وقد عُرف المذكور بسعة معارفه لاسيما التاريخيَّة والادبيَّة. ولهُ التاريخ المسمَّى كتاب الجيش وقصائد عديدة في مشاهير بلادهِ من ذلك قولهُ يرثي سلطان مراكش المولى عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) :

هذي الحياةُ شبيهةُ الاحلامِ ما الناسُ ان حقَّقتَ غيرُ نيامِ

ومنها :

لو كان ينجو من رداها مالكٌ في كثرةِ الانصار والخدَّامِ
لَنجا امير المؤمنين ومن غدا اعلى ملوك الارض نجل هشامِ
خير السلاطين الذين تقدَّموا في الغرب اوفي الشرق او في الشامِ
يا مالكاً كانت لنا ايَّامهُ ظلاً ظليلاً دائمَ الإنعامِ
لا ضيرَ انك قد رحلتَ ميمّماً دار الهناء وجنَّة الاكرامِ
فلك الرضى فأنعم بما أُعطيتَهُ ولك الهناء بنيل كل مرامِ

وقال يصف خروج السلطان المولى حسن على اعداء دولتهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) :

عصفتَ عليهم بالبأسِ تُزجي كتائبَ كالسحابِ اذا تلوحُ
فالقيتَ الجرانَ على ذراهم بجيشٍ كلُّهم بطلٌ مُشيحُ
فجاء العفو منك وهم ثلاثٌ اسيرٌ او كسيرٌ او ذبيحُ
وقد قُسمت بلادهمُ بعدلٍ ودورهمُ كما قُسمَ الوطيحُ

فلا تحلمْ فانَّ الجرح يُكوى طريًّا بالمحاور او يقبحُ
ابا زيدٍ اذا تبقي عليهم بصفحٍ رُبَّما ندم الصَّفوحُ

ولهُ يصف بستاناً للوزير ابي عبدالله محمَّد بن ادريس :

يا منزلًا قد خصَّصتْهُ سعادةٌ واستبدلتْهُ انعُماً من أبؤسِ
اصبحتَ مأوًى للوزير محمَّدٍ نجلِ الأدارسةِ الكرام المغرسِ
انسانُ عينِ الكون من لَبِسَتْ بهِ رُتبُ العلى اجلى واجمل ملبسِ
يا ايُّها البحر الذي من فيضهِ كلُّ الاماني والغنى للمفلسِ
جنيك ذا القصرُ الذي انشأتهُ بالسعد في عام انشراح الانفسِ
لا زلتَ تشرف من مطالع سعدهِ كالبدر يظهر من خلال الحندسِ
والدهرُ يخدم جانبيك ويحتمي بجلالك العالي الاعزِّ الاقدسِ

وكان محمَّد اكنسوس يأسف على ما يرى في وطنهِ من الخمول فقال في ذلك قبل وفاتهِ :

ولستُ أُبالي ان يقال محمَّدٌ أبلَّ أم اكتظَّت عليهِ المآتمُ
ولكنَّ ديناً قد اردتُ صلاحهُ أُحاذرُ ان تقضي عليهِ العمائمُ
وللناس آمالٌ يُرجُّون نيلَها وانْ متُّ ماتتْ واضمحلَّتْ عزائمُ
فيا ربِّي ان قدَّرتَ رجعي قريبةً الى عالم الارواح وانفضَّ خاتمُ
فبارك على الإسلام وارزقهُ مرشداً رشيداً يضيءُ النهجَ والليلُ قاتمُ

هذا ما امكنَنا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هذا العُشر وهو برضٌ من عدّ ولا نشكَّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء . الَّا انَّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نُتفاً قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينها الَّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

وممَّن اطَّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرَّر مدَّة في الاسكندريَّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس ففوَّضتهُ حكومتها أن يحرّر جريدتها الرسميَّة المدعوَّة بالرائد التونسي مع منشئها منصور افندي كرلتي . فاشتغل بذلك مدَّةً منذ السنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) وكان

ذا باع في الانشاء. وله نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشا بقصيدة مطلعها :

آلاؤكَ الغرُّ او آناؤك الغررُ زها جا في الزمان الجيدُ والطُرَرُ

ومنها :

الله ملجأنا اذ ليس يفجأنا شرُّ الخطوب وخيرُ الدين لي وَزَرُ
خَيْرٌ لهُ همَّةٌ اعلى وارفع من هام الثريّا ومجدٌ ليس ينحصِرُ
وسيرة سرَّت الدنيا بشائرُها وضمَّخ الكونَ عرفاً مسكها الذَفِرُ
لا زال كهفاً لمن يأوي بساحتهِ في ظلّهِ تسعد الآمال والوطرُ
وكعبة وزراء الفضل انجمُها تزهو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيراً لباي تونس فاشتهر بحسن سياستهِ وتدبيره للامور. وكان كاتباً بارعاً ألَّف كتاباً دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥ . وهو اجود كتاب وضعهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العباس احمد ابن ابي ضياف والشيوخ ابو عبدالله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمّد الصادق ثابت وابو راشد يونس الروسي ومصطفى رضوان ومحمّد بن الحسن النطواني وقد قرأنا لكلهم فصولاً في الادب الّا انّ اخبارهم منقطعة عنّا

وممَّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصددهِ السيّد عبد الرحمان النحّاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب اسلاميَّة مسجَّعة قرَّظها الشعراء ومما قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب :

انشا لنا الخُطَبَ التي الفاظُها قد اعربت في السمع لحن مثاني
فِقَرٌ غدت حُلي المسامع مثلما اغنت فقير الفضل بالاحسانِ
أذنت لآلئ لفظها بولوجها في مسمع الآذان قبل أذانِ

وللسيّد عبد الرحمان قصائد متفرّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير :

لقد ضاء مصباحُ مشكاةِ عصرهِ وفاق بحسن الذكر نشرَ الشمائلِ
فتى من بني البربير حازَ براعةً وكان بنظم الشعر اول قائلِ
بهِ طاب اهل المجد فرعاً وقد سما مقاماً على هام البدور الكواملِ
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنّ قدرهُ كبيرٌ بانواع العلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمَّد الموقَّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريَّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

لله هاتيك الصفاتُ فانها جمعت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أتظنُّ كلَّ مهنَّدٍ في غمدهِ ماضٍ وكلَّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنَّك بالمُحال فانَّهُ ما كلُّ من سلَّ الحسام بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهاره عطَّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرهُ ملحٌ أُجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ
هذا هو الفخر الذي شرُفت بهِ ابناء دوحتهِ لبُعد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيّ كاتَبَ ايضاً الشيخ ناصيف فمدح الشيخُ آدابه وشعرهُ فقال:

يا ايُّها الحسَنُ الميمونُ طالعُهُ احسنت حتى ملأت السَّمعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلَّ قافيةٍ قد شبِّبت بمعاني حسنها الشُّعرا
يجزئك الشعرُ انشاداً فنحن بهِ نغوصُ في البحر حتى نجتني الدُّررا

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليل العزازيّ ونظم القصائد فمدحهُ محرّر الجوائب بقولهِ :

ألم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيُسكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من امسى غليلاً وتشفي كلَّ من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقاً . ولهُ آثار شعريَّة لم تُجمع حتى الآن . مدحهُ منشئ الجوائب غير مرَّة لوفرة آدابهِ . واخبارهُ مجهولة لدينا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنفون التآليف المختلفة وينظمون القصائد ويمثلون الروايات التشخيصيَّة ويعقدون الجمعيَّات الادبيَّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضةٌ استوقفت الابصار وبعثت في القلوب رغبة الترقي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوَّل من يتحتَّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها بوفاة نجلَيه المرحوم الشيخ ابراهيم والسيّدة وردة. وها نحن نلخّص اخبارهم جميعاً لائتلاف الموضوع وفرارًا من التكرار. اصل هذا البيت من روم حمص. ثم نمت اسرتهم وتفرَّعت الى عدَّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عُمَّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ. وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أُسر أُخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت. وكان عبدالله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيباً درس الطبَّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ وكان مع ذلك محبًّا للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائل التعليم في ذلك الوقت قليلة. وتعلَّم الشعر فنظم بعض القصائد التي اخذتها ايدي الضياع. ومماً روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقسّ حنانيا منيَر صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها :

يا من عُنيتَ بنظم ذا الديوانِ ... عشْ بالهنا والخير والرضوانِ
نظماً فريدًا ما لهُ من ثانِ ... اني لقد طالعتهُ فوجدتهُ

وكان مولد ناصيف ابنهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابي. ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرصَ على اتقانها ما امكنهُ فنال منها نصيباً

حسناً . ثم درس الطبّ على والدهِ ووضع فيهِ ارجوزةً سمّاها «الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم» لم تُنشر بالطبع . ودرس ايضاً فنّ الموسيقى ووعى كثيراً من اصولها ودقائقها . وكان مغرًى بالتاريخ مواظباً على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا انطبعت فيها مرَّةً

لكنّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغاً عجيباً قيل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولَّد لا يخلّ فيها بحرف . وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيَّة بخط جميل اشبه بالقلم الفارسيّ

وممَّا امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانَّهُ نبغ فيهِ على ما رُوِي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفواً عن البديهة ويأتي بكل معنى بليغ . وكان في اوَّل امرهِ ينظم المعنَّى والزجليَّات تفكُّهاً . وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميَّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس اده ونقولا الترك وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتَّصل بهؤلاء الادباء فقرَّبوهُ من الامير الذي اتَّخذهُ كاتباً لاسرارهِ ورفع شأنهُ . وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منها رائيَّتهُ التي قالها مهنّئاً لهُ بانتصارهِ من اعدائهِ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واوَّلها :

يَجنيك يَجنيك هذا النصرُ والظفرُ فانعَمْ اذن انت بل فلتنعمِ البشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة . فلمَّا كُفَّت يد الامير عن تدبير لبنان سنة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين السنة الاخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيتهِ والى التدريس ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة . وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليهِ عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضها فطبعوها في مجلّاتهم . وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتناوبون بينهم القصائد والرسائل . ومن فضل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة السوريَّة لترقية الآداب ورفع منار العلوم . وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في

بلاد الشام كقطب العلوم العربيَّة وشرْعة المعارف الوطنيَّة

واشتغل ايضاً مع اصحاب الرسالة الاميركيَّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغاني الدينيَّة واستفادوا منهُ ايضاً في تعريب الاسفار المقدَّسة التي نشروها في مطبعتهم . وكان احدَ اعضاء جمعيَّتهم التي انشأوها سنة ١٨٤٨ (المشرق ١٢ : ٤٠ ثم ZDMG, V. 96)

امَّا تآليف الشيخ ناصيف فكلُّها مشهورةٌ سردنا اسماءَها في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ المعروفة بجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريَّة طُبعت مرارًا في المطبعة-الاميريكيَّة ثم في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو . وجوف الفرا والخزانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما . وكتاب عقد الجمان في البيان مع ملحق في العروض . ولهُ شرح على المتنبّي اتمَّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العَرْف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب . وشعرهُ متفرّق في ثلاثة دواوين : كتاب نفحة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القمرين . وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية في الحدث وفي المطبعة الادبيَّة مصحَّحاً بقلم نجلهِ المذكور . وعساهُ ان يضيف اليهما ما لم يزل مخطوطاً او شاردًا من القصائد

وشعرُ الشيخ ناصيف يجمع بين الرقَّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدَّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر . وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قوماً من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في ايامهِ ولهُ التواريخ المتعدِّدة التي زان بها قبورهم او علّقها على الآثار البنائيَّة والكنائس وغيرها . فمن مديحهِ قولهُ من قصيدة غرَّاء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمَّن كل شطر منها تاريخاً لسنة ١٢٨٣ :

ظلُّ الالـه علينا أوجُ طالعهِ ... قد فاق فوق جهات الافقِ كالعَلَمِ
في خلقهِ عجبٌ في عزّهِ طربٌ ... راحـاتهُ سُحبُ يَجْمُرنَ بالكرمِ
امين ربِّ الورى في الكون مؤتمنٌ ... على العباد لِحَقّ العهد والذمَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات :

من قال انَّ الـدهر ليس يعودُ هذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابُلْيون بعد زوالهِ فكأنَّ ذلك يومهُ الموعودُ
لا تُفقَد الدنيا لفقد عزيزهـا ما دامَ يخلفُ مَيتَها المولودُ
تتجدَّد الاشخاص فيها مثلما يُفرَى القضيبُ فينبت الأُملودُ

ولهُ في مديح الملكة ڤيكتوريا لمّا جلست على عرش بريطـانية العظمى من قصيدة:

اليوم قامت فتـاةُ الملك بارزةً وقام من قبلها اسلافُها الاوَلُ
فرعُ الاصول التي رَبَّت وجحتها انَّ الثار من الاغصان تُبتذَلُ
في قلبهـا خاتمُ التقوى وفي يدها من خاتم الملك ما يجري بهِ المثَلُ
قـد التقى الدينُ والدنيا بساحتها كما التقى الكُحْل في الاجفان والكَحَلُ

ولهُ قصائد أخرى في مدح الخديويين اصحـاب مصر ابراهيم باشا وسعيد باشا واسمعيل باشا. وكثيرًا ما كان يجمع في هـذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيَّة الصعبة المرتقى الدالَّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيَّة والمعنويَّة لكنَّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قومٍ من شعراء القرون المتأخرة. ومن هذا القبيل بديعيتهُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اولها:

عاج المتيَّمُ بالاطلال في العَلَمِ فأبرعَ الدمعُ في استهلالهِ العَرِمِ

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منها امثلة. ولهُ من قصيدة يرثي بها الطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم:

وكنْ هوى في دار مصرٍ اوشكت منهُ رُبى لبنـان ان تتفطَّرا
ضجَّت بهِ الاسكندريَّةُ هيبـةً فكأنَّ فوق سريرهِ الاسكندرا
يا ايّها الطَّود الـذي عبثت بهِ ايدي المنون فال محلول العرى
غدرَتْ بك الأيام مظلومًا كما تُدعى فألقتْ في التراب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير واجاد:

أستودعُ الله في طيّ الضريح فتًى كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا

كنّا نؤمل ان تجني لهُ ثمرًا ... فخيّب الدهرُ منّا ذلك الاملا
خان الزمان له عهد الصبا وبنى ... عليهِ داعي المنايا اذ اتى عَجِلا
قد ألبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت ... بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ غشي وقد نكست ... رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حلّي فوق تربتهِ ... كما حللتِ على نعشٍ به حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر نظمهِ قالهُ شهرًا قبل وفاتهِ ولم يتمّ رثاءهُ لحزنهِ :

ذهب الحبيبُ فيا حشاشتي ذوبي ... اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
ربّيتُهُ للبَين حتى جاءهُ ... في جنحِ ليلٍ خاطفًا كالذيبِ
يا أيّها الامُّ الحزينةُ أجملي ... صبرًا فانّ الصبرَ خيرُ طبيبِ
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي ... ندبًا عليه يليقُ بالمندوبِ
هذا هو الغصنُ الرطيبُ اصابَهُ ... سهمُ القضاء فمات غيرَ رطيبِ
لا استحي ان قلتُ قلَّ نظيرهُ ... بين الرجال فلستُ غيرَ مصيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ ... اسقي ثراهُ بدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ ... يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ ومحبّةٌ ... عندي لأنك قد حويتَ حبيبي

ولهُ يرثي الامير بشير الشهابي لمّا توفي في الاستانة سنة ١٨٥٠

اذا طلع النهارُ ارى الرجالا ... كما أبصرتُ في الليل الخيالا
واعجبُ كيف تطوي الارض ناسًا ... لو اجتمعوا جا كانوا جبالا
يخون الدهرُ شخصًا بعد شخصٍ ... كما ترمي عن القوس النبالا
اذا اغلقتَ دون الموت بابًا ... تناولَ الفَ بابٍ كيف جالا
ومن حذرَ المنيّة عن يمينٍ ... تدور بهِ فتأخذهُ شمالا
من الله السلام على امير ... دفنّا المجد معهُ والجلالا
كأنّ الموت لم يجسر عليهِ ... مجاهرةً ففاجأهُ اغتيالا
فتى كالسيف إرهافًا وقطعًا ... ومثل الرمح قدًّا واعتدالا
ومثل البدر اشراقًا وحسنًا ... ومثل الغيث جودًا وابتذالا

أجلُّ بني الكرام ابًا وجدًا واكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
واحسنُهم واجلهم فَعالا واوثقهم واصدقهم مَقالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ بنوا في المجد اعمدةً طوالا
سليل امير لبنانٍ ينادي انا لبنانُ لمَّا مِلتُ مالا
اذا قلتَ الامير ولم تسمّي فلا يحتاج سامعك السؤالا
سألنا تحت معنٍ عن نظيرٍ لهُ هل قام قال لا لا
ستبكيهِ البلادُ ومن عليها الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتحصي الناسُ ما فعلت يداهُ ولكن بعد ان تحصي الرمالا

الى ان قال :

الى دار السعادة سرتَ فوزًا كانك عاشقٌ يبغي الوصالا
رايت العيش في الدنيا طريقًا لها فاخترتُ اقربهُ مجالا

وقال مؤرخاً سنة وفاتهِ :

هذا الامير السعيد الحظ تخدمهُ ملائكُ الله حول العرش تجتمعُ
تقول ارقام تاريخٍ تحيط به انَّ الشهاب على الافلاك ترتفعُ

ومن تعازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ :

يا بائع الصبر لا تُشفق على الشاري فدرهمُ الصبر يسوي (كذا) الف دينارِ
لا شيء كالصبر يشفي قلب صاحبهِ ولا حوى مثلَهُ حانوتُ عطّارِ
هذا الذي تُخمد الاحزانَ جرعتُهُ كبارد الماء يطفي حدَّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقِ (كذا) في سلامتهِ حتى يُبدَّلُ إعسارٌ بايسارِ
يا من حزنتَ لفقد المال انك قد خُلقتَ عارٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امسِ ذاك المالُ امكتسبًا يأتي غدًا من بديع اللطف جبّارِ

ومن زهرياتهِ قولهُ :

مرَّ النسيم على الرياض مسلّما سَحرًا فردَّ هزارها مترنّما
أحنى اليهِ الزهرُ مفرق رأسه ادبًا ولو مَلَكَ الكلام تكلّما
يا حبّذا ماءُ الغدير وشمسهُ تعطيهِ دينارًا فيقلب درهما

محت الرياحُ به كتابةَ بعضها فتخاصمت من فوقه فتهشّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ في ثقيل :

كفَّ عنّي لا ابا لكْ قد تبيّنّا مُحالكْ
وعرفناكَ والّا فمتى نعرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عصرٌ حاملًا فيه مَلالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ كاد منهُ يثالكْ
يغفرِ النادم منّا ويُسيء الله فالَكْ

وقال في بخيل :

قد قال قومٌ انّ خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمَهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ مَن ذاقهُ يوماً ليعرف طعمهُ

ومن حكمهِ المأثورة :

انّي لقد جرَّبتُ اخلاقَ الورى حتى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي نجا من ذمّهِ يدخلُ في ذمِّ الملا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما احبَّهُ فهو الى النفسِ انتهى
يعرف كلٌّ حالَهُ فيما مضى الّا الذي كان دنيًّا فارتقى
وكلُّ علمٍ يُدرك المرء سوى عرفانِ قدرِ نفسهِ كما اقتفى
وكلُّ من لا خير منهُ يُرتجى ان عاش او مات على حدٍّ سوا

ومما برز فيهِ قولهُ في الدين المسيحي :

نحنُ النصارى آلَ عيسى المنتمي حسبَ التأنّس للبتولةِ مريمِ
وهو الإلهُ ابنُ الالهِ وروحهُ فثلاثةٌ في واحدٍ لم تُقسَمِ
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحتَ تَقنُّمِ
كالشمس يظهر جرمُها بشُعاعها وبحرّها والكلّ شمسٌ فاعلمِ
والله يَشهدُ هكذا بالحقّ في سفرٍ لتوراةِ الكليمِ مُسلَّمِ
عن آدمٍ قد قالا «وصار كواحدٍ منّا» بلفظِ الجمعِ من ذاك الفمِ
خلقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستخدَمِ

لكن عصاه بزلَّةٍ لا تمحي ألَّا بإرسال ابنهِ المتجسِّمِ
فأتى وخلَّصهُ وخلَّصَ نسلَه ذاك المخلِّصُ من عذابِ جهنَّمِ

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياتهِ :

شهدت عجائبهُ لهُ في عصرهِ فدرى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهمِ
ولنا عليهِ ادلَّةٌ قطعيَّةٌ عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكُّمِ
قد جاء لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا فرسٌ ولا شيء يُباعُ بدرهمِ
يأوي المغارةَ مثل راعي الضأنِ لا راعي الممالكِ في السريرِ الاعظمِ
وهو ابنُ يوسفَ لا ابنُ قيصرَ عندهم يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرمِ
فأتاهُ من شعبِ اليهود جماعةٌ كانوا على الدين التليد الاقدمِ
وتباعدوا من قومهم بعذلةٍ يأبون كلَّ كرامةٍ وتنعُّمِ
قالوا هو ابن اللهِ جهرًا والعدى من حولهم مثلُ الذئاب الحُوَّمِ
والناسُ بين عواذلٍ وعواذرٍ لهمُ وبين مُحلِّلٍ ومُحرِّمِ
ما غرَّكم يا قومُ فيه أسيفهُ ام جاههُ ام مالهُ في الانعمِ
هو ساحرٌ يطغي ؟ فقالوا لم نجدْ من ساحرٍ يُحيي الرميم بطلسمِ
كانت رجالُ اللهِ تُحيي ميتًا بصلاتها ودعائها المتقدمِ
وتراهُ يُحيي الميتين بامرهِ فهو الالهُ ومن تشكَّك يندمِ
ولئن همُ انخدعوا لغفلتهم فقد ضَعُفَت عقولهمُ كمن لم يحلمِ
فترى بما خدعوا البلاد ومن جا من عالمٍ يُفتي ومن متعلِّمِ
فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقِّ وجهُ الحقِّ غيرَ ملثَّمِ

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالج نصفيّ تحمَّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيَّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله . ومما طُبع لهُ من التآليف في اوربَّة رسالتهُ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيَّة الاستاذ مهرن (Mehren) وعلَّق عليها الحواشي وطبعها في ليبسيك . وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيَّة رسالة مطوَّلة في احوال لبنان وسكَّانهِ وامرائهِ واديان اهلهِ لا نشكُّ انها لهُ وان لم يُذكر فيها اسمهُ . وهذه الرسالة نقلها الى الالمانيَّة العلَّامة فليشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG. VI, 98, 388)

ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثة عشرة (ص ٥١٣ و٥٦٦) ونسبتها الى اندراوس صوصه

قيل انَّ من اشبه اباهُ ما ظلم . وقد صدق المثل تماماً في اولاد الشيخ ناصيف اليازجي فانهم تعقَّبوا كلهم آثار والدهم . وكان اكبرهم الشيخ حبيب ولد في ١٥ شباط سنة ١٨٣٣ ولمَّا ترعرع وجد اباهُ كهلاً تامّ القوَّة كامل العقل مولعاً بالآداب فدرس عليهِ كلَّ الفنون العربية . ثمَّ مال الى اللغات الاجنبيَّة فأتقن الفرنسويَّة حتى برع فيها وتعلَّم غيرها كالايطالية والانكليزيَّة واليونانيَّة والتركيَّة . وكان يتردد على المرسلين اليسوعيين في بيروت ويستفيد منهم . وتجد اسمهُ في قائمة الادباء المنتظمين في الجمعيَّة المشرقيَّة التي انشأوها سنة ١٨٥٠ واكتشف بعض آثارها جناب مكاتبنا يوسف افندي اليان سركيس (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٣٢) ثمَّ تفرَّغ للكتابة وعرَّب بعض التآليف الاجنبيَّة منها قصة عادليدة برنزويك . ومنها ايضاً قصة تليماك التي ألَّفها فنيلون فاجاد في تعريبها الَّا انَّها لم تُطبع وقد طُبعت في مصر ترجمة أُخرى دونها حسناً . ومن تآليفه ايضاً كتاب اللامعة في شرح الجامعة فسَّر فيهِ الارجوزة التي ألَّفها والدهُ في علم العروض والقوافي وكان اسمها الجامعة وقد طُبع الكتاب سنة ١٨٦٩ في المطبعة الوطنيَّة . وكان الشيخ حبيب عاقلاً لبيباً رياضيًّا وقد اشتغل بالتجارة في آخر عمرهِ وكان في شبابهِ يحبُّ الشعر ولهُ بعض منظومات منها رثاؤهُ للطيِّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم بقصيدة اوَّلها:

يسرُّ المرء اقبالُ الليالي ... ويُنسى انَّ ذلك للزوالِ

ومنها: دعِ الدنيا الغرورَ وكُنْ مجدًّا ... كحبرِ الشرق في طلب الكمالِ

هو المظلومُ حين رمى بتاجٍ ... لهُ واعتاض أكفاناً بَوالي

لقد ضُرِبت بهِ الامثالُ لمَّا ... غدا بين الرُّعاة بلا مثالِ

الى ان قال:

وفي الإسكندريَّة دكَّ طودٌ ... فلم تنفكَّ فاقدةَ الجبالِ

ثوى في ترجها بدرٌ منيرٌ ... فقد حسدتهُ افئدةُ الرجالِ

رئيسٌ كان في دنياهُ بحرًا ... فكانت تُجتنى منهُ اللآلي

لقد ارضى الالهَ بكل امرٍ ... وارضى الناس في حُسنِ الفعالِ

فعاش كما نؤرخهُ سعيدًا وفي الدارَين قد بلغ المعالي

وكانت وفاة الشيخ حبيب كهلًا قبل والدهِ ببضعة اسابيع في سلخ السنة ١٨٧٠.
وكما عاجلت المنون بكر الشيخ ناصيف كذلك قطفت ابنهُ الشيخ خليل غصنًا زاهيًا في تمام شبابهِ وعزّ قوّتهِ. ولد هذا في السنة ١٨٥٦ وأخذ الآداب العربيّة عن ابيه وآلهِ فرضعها مع الحليب ولما نشأ دخل الكليّة الاميركانيّة ودرس فيها العلوم
وفي ١٨٨١ رحل الى مصر وزار بعض اعيانها وانشأ مجلّة مرآة الشرق الّا انّ الثورة العرابيّة الجأتهُ الى الرجوع الى وطنهِ فعلّم مدّةً اللغة العربيّة في المدرستين البطريركيّة والاميركانيّة حتى أُصيب بصدرهِ فكفّ عن التعليم ولم يزل يطلب علاجًا لوجعهِ حتى غلبهُ الداء. فمات في الحدث في ٢٣ ك٢ سنة ١٨٨٩ ودُفن في بيروت.
وكان الشيخ خليل متوقّد الذهن ذا قلم سيّال وقد غلب عليهِ الشعر. ومن خدمهِ للآداب طبعتهُ لكتاب كليلة ودمنة مضبوطًا بالشكل مع شرح الغريب من الفاظهِ. وهذه الطبعة كما الطبعات الشرقيّة كلّها في الشام ومصر والهند مبنيّة على طبعة العلّامة دي ساسي لا تخالفها الّا في بعض العرضيّات بخلاف النسخة التي وقفنا عليها فنشرناها في مطبعتنا سنة ١٩٠٥ ثم كرّرنا طبعها سنة ١٩٢٣ وهي اقدم نسخة مؤرخة لهذا الكتاب تخالف الطبعات السابقة مع موافقتها لترجمة ابن المقفّع الاصليّة ثمّ بنينا عليها طبعةً مدرسيّة سنة ١٩٢٢ . ومن آثار الشيخ خليل النثريّة كتاب في انشاء الرسائل وكتاب في الصحيح بين العامّي والفصيح وكلاهما لم يزل مخطوطًا غير تام
أمّا خِلفة الشيخ خليل اليازجيّ الشعريّة فهي اوّلًا روايتهُ «المروّة والوفاء» نظم فيها وفاء حنظلة الطائيّ بوعده بعد قدومهِ على النعمان يوم بؤسهِ وضمان شريك لهُ في غيبتهِ ليصلح امور بيتهِ ويرجع الى القتل ثمّ تنصّر النعمان لنظرهِ مروّة حنظلة. وهو حادث تاريخي معروف بنى عليهِ الشيخ خليل روايتهُ لكنّهُ طمس محاسنها بما اودعها من الادوار العشقيّة المملّة التي تُنفي سامعها الواقع التاريخي الاصليّ فيضيع الجوهر بزخرف الاعراض الباطلة
ومن خلفتهِ ايضًا مجموع منظوماتهِ الذي عنونهُ بنسمات الاوراق فطبعهُ بالقاهرة سنة ١٨٨٨ في ١٦٢ صفحة زوي منها بعض القطع تبيانًا لفضلهِ وجودة قريحتهِ. فمن مديحهِ قولهُ في عبدالله فكري باشا ناظر المعارف في مصر:

الجاهُ عنـدك نال اكملَ جاهِ فهناكَ نورٌ فوق نورٍ زاهِ
والفخرُ منك كُسي بأجى حلّةٍ وعليـك منهُ كلُّ ثوب بـاهِ
نالت مسامعُنا من اسمكَ لذّةً ففـدت محمَّدةً من الافواهِ

حتى قال وتجاوز الحدَّ في الغلوّ:

ولئن يكُ فيك الثنا متناهياً فاعذُرْ ففضلك ليس بالمتناهي
نُزّهتَ عن شبهٍ فتبني شاعرًا متنزّهًا في الشعر عن اشباهِ
ولأنت ذاك ومن لنا ببـدائع لك آياتٍ للقريض نواهِ
فلقد أتاني الشعر يثني عطفهُ ويقول اني عبدُ عبدِ اللهِ

ومن تهانئهِ قولهُ يهنئ المطران ملاتيوس فكّاك باسقفيَّة بيروت:

حبَّذا ما بهِ لنـا الدهرُ جادا من سرورٍ بهِ فككنا الحدادا
حبَّذا ما أتانا من صلاحٍ مُخجلًا مَن غى اليهِ الفسادا
قد حبانا بسيّد ليس يدعو نا عبـيدًا وانّما اولادا
سيدٌ شاد في المعالي صروحاً قامَ فيهنَّ راقياً حيث سادا
ربُّ حزمٍ فكّاكُ معضلةٍ من كلّ امرٍ تدبُّرًا وسَدادا
خيرُ راعٍ يرعى الرعيّةَ لا تخشى م لديهِ حُملانُهـا الآسادا
يملأ العين بهجةً حينما يبدو م ويملأ آذاننا إرشادا

وختمها بقولهِ:

ايّها السيّد الكريم الذي ليس م يفيهِ الثناءُ مهما تمادى
ان مدحناك نالنا المدحُ ايضاً كالصدى راجعاً الى من نادى
بك يسمو فخارنا فاذا ازددتَ فخارًا ففخرنا قد زادا
فاذا كان في الثناء قصورٌ فعلينا قصورنا قد عادا

ولهُ من قصيدة في احد قناصل فرنسة لمَّا زار المدرسة البطريركيَّة:

هذا رسولُ الدولة العظمى التي هي دوحُ مجدٍ وهو من اغصانهِ
دوحٌ سقاهُ الفضلُ اعذبَ مائهِ فجرت مياه العزّ في عيدانهِ
طابت مغارسهُ فأثمرت المنى وشذا المعارفِ فاح من بستانهِ

اهلاً بزائرنا الكريم فانهُ اهلٌ ليُنزلهُ الفتى بجنانهِ
لا يُدعَ ضيفاً في حمانا انهُ في بيتهِ منهُ وفي اوطانهِ

ومن اوصافهِ قولهُ في القاهرة يذكر لبنان وطيب هوائهِ :

قِف فوق رابيةٍ من طورِ لبنانِ وقل سلامٌ على ارضٍ وسكانِ
ارضٌ اذا ماسقاها الغيثُ كاد جا ان يستحيل الى درٍّ ومرجانِ
يا اهل لبنانَ ما لبنانكم جبلٌ لكنهُ قمةُ العلياء والشانِ
فيهِ المشاتر اصحاب المفاخر أر بابُ المآثر من مجدٍ وعرفانِ
إمارةٌ قد سمت فيه ومشيخةٌ نشت اصولها من عهد ازمانِ
ملجا الوباء وملجا الحرّ يقصدهُ مصاب هذين من قاصٍ ومن دانِ
وملجأُ المبتلى من كل ذي سقمٍ بطيبِ ماءٍ واهواءٍ وجيرانِ

وقال في الختام :

هذا هو الوطن المحبوب اذكرهُ وما انا براعٍ حُبَّ اوطانِ

وقال مؤرّخاً ميلاد ابنهِ حبيب سنة ١٨٨٤ :

نجلٌ بهِ جاد المهيمن حيث قد حَبيت وطابت انفسٌ وقلوبُ
لما بتاريخٍ حبيبَ سميتُهُ قلت الحبيبُ الى الخليلِ حبيبُ

ثم توفي الطفل في السنة التالية فقال :

وضيفٍ زارنا ومضى قريباً وما كادت تُعدُّ لهُ شهورُ
تركتَ مؤرّخاً بالويل حزني كبيراً ايها الطفلُ الصغيرُ

وبقي من بعد الشيخ خليل شقيقهُ الشيخ ابراهيم رافعاً أعلام اللغة والادب مواصلاً لاعمال أُسرتهِ الكريمة بين العرب مزيّناً للصحائف بمقالاتهِ في صنوف المعارف . ولد الشيخ ابراهيم في بيروت في ٢ آذار من السنة ١٨٤٧ فاستروح روح الآداب منذ حداثة سنهِ بقرب والدهِ عمدة البلغاء في وقتهِ فاستقى من منهلهِ وخاض في ميدانهِ وجعل يمارس الكتابة حتى برع في النثر والنظم . واستأنف حينئذٍ أدباء بيروت الجمعيّة العلميّة السوريّة فانتظم في سلكها والقى فيها الخطب وانشد القصائد ثم

حرّر مدّة جريدة النجاح . ولمّا عمد الآباء اليسوعيّون الى تعريب الاسفار المقدّسة عن اصلها العبرانيّ واليونانيّ رأوا انّ امانة التعريب لا تفي بالمرام إنْ لم يُعطَ المعرّب حقّهُ من الفصاحة والبلاغة بتنقيح العبارة وسبك الكلام وكان اذ ذاك صيت الشيخ ابراهيم نال بعض الشهرة فدعوا بهِ الى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معهُ في العمل . فكان الاب اوغسطين روده الذي درس العربيّة في الجزائر وعلّم العلوم الكتابيّة في فرنسة ينقل الكتب المقدّسة فصلاً فصلاً وآيةً آيةً بعد مراجعة تفاسير الآباء والمعلّمين والترجمات الشرقيّة العديدة منها ثلاث ترجمات عربيّة . فاذا اتمّ عملهُ نظر فيهِ الشيخ نظرًا مدقّقاً فعرض على المعرّب ملحوظاتهِ ثم تفاوض كلاهما الى أن يتّفقا على رأي واحد فيدوّنانهِ بالكتابة ثمّ يعرضان شغلهما على اربعة اساتذة من الآباء المتضلّعين بالعلوم الدينيّة ومعرفة اللغات الشرقيّة فلا يُطبع شيء الّا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة

واشتغل الشيخ ابراهيم في تنقيح التوراة العربيّة نحو تسع سنوات في غزير وبيروت . وقد علّم سنين طويلة في المدرسة البطريركيّة فتخرّج عليهِ كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف . وفي السنة ١٨٨٤ اتّفق مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على نشر مجلّة الطبيب فكان الشيخ ابراهيم يحرّر فصولها اللغويّة والادبيّة . ثمّ انفرط عقد وصلتهم بعد سنةٍ وانتقل الشيخ ابراهيم الى مصر حيث أبرز اوّلًا مجلّة البيان في آذار من السنة ١٨٩٧ ثمّ ابدلها بمجلّة الضياء التي انشأها ثماني سنوات الى تاريخ وفاتهِ في ٢٨ كانون الاوّل من السنة ١٩٠٦ . ففقدت بهِ الآداب العربيّة احد أنصارها المعدودين . وقد حضرنا بالسرور في شهر تموز من العام الماضي سنة ١٩٢٤ حفلة نصب تمثالهِ في احد شوارع بيروت فنال ما يستحقّهُ من الاكرام بل أُكرمت بشخصهِ اسرتهُ الفاضلة

وليس من حاجة هنا ان نعرّف صفات الرجل مع قرب عهدهِ بيننا وممّا اشتهر بهِ حسن ذوقهِ في الكتابة وانسجام كلامهِ فيظهر لقارئهِ كأنّهُ المرآة الصقيلة او الماء الزلال فكان لا يزال يردّد النظر في ما كتب وينقّحهُ مرارًا حتى يخرجهُ كالبُرد القشيب والخميلة الناعمة . وكان عارفاً باللغة معرفة واسعة كما تدلّ عليهِ بعض مؤلّفاتهِ اخصّها «نجعة الرائد في المترادف والمتوارد» في جزءين على طريقة كتاب الالفاظ

الكتابيّة لعبد الرحمان الهمذانيّ . ومنها اختصارهُ او شرحهُ لبعض تآليف والدهِ كمختصر نار القرى ومختصر الجمانة وشرح ديوان المتنبيّ المسمّى بالعرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب وكذلك تصحيحهُ وتهذيبهُ لعبارة بعض كتب الادباء كتاريخ بابل واشور للمرحوم جميل مدوَّر ونفح الازهار في منتخبات الاشعار لجامعهِ المرحوم شاكر البتلونيّ ودليل الهائم في صناعة الناثر والناظم لهُ . وكانت مطبعتنا وكلت الى الشيخ ابراهيم وضع معجم للّغة العربيّة فاشتغل فيهِ زمناً طويلاً ثمّ اهملهُ فانتدبت حينئذٍ الشيخ اللغوي سعيد الشرتوني الى وضع كتابهِ اقرب الموارد بدلًا منهُ ثمّ عاد الشيخ ابراهيم الى عملهِ مرارًا واتمّ منهُ قسماً لكنّهُ مات ولم يمثلهُ للطبع . وكان الشيخ كما هو معروف قليل الصحّة بطيء الشغل ومجلّة الضياء تستنفد همّتهُ فلا تسمح لهُ بمعاناة عمل سواهُ

ومن آثارهِ اللغويّة عدّة مقالات مطوّلة وانتقادات لسانيّة كالاماليّ اللغويّة ولغة الجرائد واغلاط العرب واغلاط المولّدين واللغة والعصر ونقد لسان العرب وغير ذلك ممّا اصاب في بعضهِ واخطأ في البعض الآخر فتصدّى لهُ كثيرون من الكتبة فقامت بينهُ وبينهم الجدالات الطويلة وكان الشيخ « كثير الاباء ظاهر الانفة الى حدّ الترفّع » كما قال في ترجمتهِ صاحب الهلال (١٥ : ٢٦٧) فأدّى بهِ طبعهُ الى كتابة فصولٍ ما كنّا لننتظرها من مثلهِ اطلق فيها العنان لاهوائهِ وانتهك في بعضها حقوق الدين واربابهِ سامحهُ الله

وللشيخ ايضاً قصائد متفرّقة ومنظومات رشيقة لم تُجمع حتى اليوم . روى بعضها جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف في ترجمة حياتهِ التي نشرها في المقتطف . ومن اقدم ما وجدنا لهُ من القصائد ما انشدهُ في الجمعيّة السوريّة في اوائل سنة ١٨٦٨ وهي منظومة حماسيّة ذكر فيها العرب فقال في اوّلها :

سلامٌ ايها العَرَبُ الكرامُ وجادَ ربوعَ قطركُمُ الغمامُ
لقد ذكر الزمان لكم عهودًا مضت قِدَمًا فلم يَضعِ الذمامُ

ثم قال في وصف مجالس العلم :

مجالسُ للعلوم غدت منارًا بهِ لغياهب الجهل انصرامُ

جلاها كلُّ أبلج أريحيٍّ ... تقرُّ لهُ البلاغةُ والكلامُ
تُجرِّدُ من ايادِيهِ المواضي ... وتُرسَلُ من لواحظِهِ السهامُ
رجالٌ في انتشار الفضل جدُّوا ... وفي حبِّ العلوم صبَوا وهاموا
تلاعبت الحميَّةُ في حُماهم ... كما لعبت بشاربها المدامُ
تهزُّ الاريحيَّةُ كلَّ يومٍ ... معاطفهم كما اهتزَّ الحسامُ
هُمُ الشهُبُ المَطيرةُ فوق ارضٍ ... يلوح لنَوْءِهم فيها غمامُ
غمامٌ قد تخلَّلَهُ بروقٌ ... يصافحها الرجاءُ متى تُشامُ
جهابذةٌ يقوم الفردُ منهم ... بما اعيا بهِ الجيش اللهامُ

ومن ابياتهِ الحماسيَّة فيها قولهُ عن العرب :

وما العرَبُ الكرام سوى نصالٍ ... لها في اجفُنِ العُليا مقامُ . . .
لَعمرك نحن مصدرُ كل فضلٍ ... وعن آثارنا أخذ الانامُ
ونحن أُولو المآثر من قديمٍ ... وان جحدَتْ مآثرَنا اللئامُ
فقد علمَ العراق لنا قديماً ... ايادِيَ ليس تنكرها الشآمُ
وفي ارض الحجاز لنا فيوضٌ ... يسيل لها الى اليمن انسجامُ
وفوق الأندَلوسِ لنا بنودٌ ... لهامات النجوم بها اعتمامُ
وسلْ في الغرب عن آثار فخرٍ ... لها في جبهة الزَّمَن ارتسامُ
ولسنا القانعين بذكر هذا ... وليس لنا بعروتهِ اعتصامُ
ولكنَّا سنجهَدُ في المعالي ... الى أن يستقيمَ لها قوامُ

ومن محاسن نظمهِ ما كتبهُ في المجموع الذي خُصَّ بمدح كريستوف كولُمب في السنة المئويَّة لتذكار موتهِ :

أبقى خريستوفُ الشهير لنفسهِ ... ذكرًا على الأيام ليس يبيدُ
رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ ... ولهُ من الهمم الجسام جنودُ
قد زاد هذي الارضَ ارضًا مثلَها ... ليدَيهِ ألقي كنزُها المرصودُ
برزت اليهِ من الغيوب كأنَّها ... خَلْقٌ سوى الخَلق القديم جديدُ
فكأنَّهُ اذ حلَّ فيها آدمٌ ... وكأنَّها فردوسهُ المعهودُ

وقال يشكو تقلُّب الأيام من قصيدةٍ :

كأني بالبلاد تنوحُ حزنًا وقد اودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارزُ في لبنانَ شجوًا وتندبُ بعد ذاك العزِّ صُورُ
وتندبُ في دمارٍ مستمرٍّ وما سكّانها الّا النسورُ
وأضحت بعلبكُّ وليس فيها سوى خُرَبٍ لعظمتها تشيرُ
فلو درتِ البلاد بما عراها لكادت من تلهُّفها تمورُ

ومن لطيف قولهِ في مدح سموّ الخديوي عبَّاس :

همامٌ تولّى الامر وهو على شفا فشيَّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلَّد أعباء الرئاسةِ امردًا وقد عرفَتْهُ قبل ذلك مُرضعا
فكانت لهُ امًّا وكان لها ابًا غذتهُ وربَّاها وقد نشأا معا

ولهُ تاريخ في الطبيب يوسف الجلخ المتوفّى سنة ١٨٦٩ :

هذا الطبيب الذي من بعد مصرعهِ ابلى القلوبَ بأسقامٍ وتعذيبِ
اجرى عيون بني الجلخ الكرامِ لهُ بكل دمعٍ من الاجفان مصبوبِ
فقِفْ على تربهِ واهتف برحمةِ عليهِ تهبطُ من تلك المحاريبِ
وقل ليوسف أرّخْ طيَّ مضجعهِ أبدتَ في كلّ قلبٍ حزنَ يعقوبِ

ويعجبنا قوله في ساعة دقّاقة :

ومُحصيةٍ أعمارنا كلَّما أنقضت لنا ساعةٌ دقَّت لها جرسَ الحزنِ
فيا بنت هذا الدهرِ سرتِ مسيرهُ فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

ومثلهُ حسنًا قولهُ في عود طربٍ :

وعودٍ صفا الندمانُ قدمًا بظلّهِ وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ
تعشَّقهُ طيرُ الاراكةِ اخضرًا وحنَّ عليهِ رشهُ وهو يابسُ

ورأى قدرة بعلبكَّ فذكر قدرة الرحمان بقولهِ :

يا بعلبكَّ غريبة الازمانِ والعهد والصنَّاع والبنيانِ
لم تُبلكِ الأيام في حدثانها الّا لتُظهر قدرة الرحمانِ

ويا ليت قلمهُ لم يرقم غير هذه المعاني البليغة ويسوءُنا ذكر قصائد وكراريس ظهرت غفلًا من اسم مؤلفها ثمَّ صرَّحت الجرائد بانَّها من انشائهِ كقصيدتهِ السينيَّة التي نشرها سليم افندي سركيس في كتابهِ سرّ مملكة. وقد تطرَّف الشيخ حتى قال فيها عن ارباب الاديان :

ما هم رجالُ الله فيكم بل همُ القوم الابالسْ
يمشون بين ظهورهم تحت الطيالس والقلانسْ

ومثلها شقيقتها البائيَّة التي مطلعها :

تنبَّهوا واستفيقوا ايُّها العربُ فقد طمى الخطبُ حتى غاصتِ الرُّكبُ

وفي هذه القصائد والمنشورات مطاعن في الدين وتهييج الخواطر على السلطة الشرعيَّة ما كان الشيخ في غنى عنهُ صوناً لعرضهِ ولشرف اسمهِ

وممَّن فاتنا ذكرهُ في القسم الاوَّل من هذا الكتاب ولا يسعنا السكوت عنهُ وهو احد نجوم تلك الثريَّا اليازجيَّة المنيرة الشيخ راجي اخو الشيخ ناصيف وجدنا شيئاً من آثارهِ في حاشية ذيَّل بها جناب الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف تاريخهُ المعنون «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (١٩٩)» فذكر انَّ للشيخ راجي (١٨٠٣–١٨٥٧) ديواناً مخطوطاً وانَّ شعرهُ يشهد لهُ بالبلاغة. وقد اطَّلعنا لهُ في مجموع مراثي السيّد مكسيموس مظلوم على قصيدة في ذلك الفقيد الجليل اوَّلها :

معدن البرّ محتد الطهر مكسيـــموسُ ربُّ الحجى حميدُ الخصالِ
من سرى في طريق مولاهُ حتى سبق السابقين بالإفضالِ
ونحا صارفاً الى الله فعلاً بالتقى لا بالقلب والاعلالِ
كم محلٍ سامٍ اشاد وكم من منزلٍ قد بنى من المجد عالِ
فجعتنا بهِ صروف زمانٍ جائرًا لا يزالُ في كلّ حالِ
ورمتنا النبالُ منهُ الى ان لم يَعُدْ موضعٌ لوقع النبالِ

توفي الشيخ راجي سنة ١٨٥٦ يؤخذ من تاريخ قالهُ فيهِ حنا بك اسعد ابي الصعب :

مذ سار راجي اليازجيُّ الى السما وغدا الى المولى العليّ مناجيا
قد جاء في ذاك المؤرخ راقمًا قد زار فضلك يا الحي راجيا

وللشيخ راجي ابنٌ يدعى بالشيخ ملحم كان يتعاطى الآداب كابيهِ وكان سابقًا نزيل زحلة ولا نعلم شيئًا من اخبارهِ حاضرًا. وقد وقع لنا من شعره مرثاة نظمها سنة ١٨٦٩ في وفاة الدكتور يوسف الجلخ مطلعها :

كؤوس البين دارت في الانامِ من الشيخ الكبير الى الغلامِ

الى ان قال :

طبيبٌ كان يشفي كلَّ داءٍ اذا استولت تباريحُ السقامِ
دهاه اليوم ما لا منهُ شافٍ ولا منهُ سليمٌ في الانامِ
واعقب فيهِ آلَ الجلخ سكرًا بكاس الحزن لا كاس المدامِ
واوقد بالأسى في كل قلبٍ لهيبًا لا يزال في اضطرامِ

وختمها بقولهِ :

تركتَ العالم الغرّار طوعًا وبتَّ مجاورًا دار السلامِ
لئن تكُ قد رحلتَ اليوم عنا فذكرك لا يزالُ الى الدوامِ

ونختم هذا الفصل بذكر آخر فرعٍ من الدوحة اليازجيَّة من اولاد الشيخ ناصيف وهي السيّدة وردة ابنتهُ التي عمّرت زمنًا طويلًا ولم ينطفئ سراج حياتها الا منذ زمن قليل فنؤجّل عنها الكلام ونذكرها ان شاء الله في تاريخ الآداب العربيَّة في الربع الاول من القرن العشرين

ولا يزال في قيد الحياة محييًا لاسم الاسرة اليازجيَّة الخوري الفاضل الشيخ حبيب اليازجي ولهُ كسائر قرابتهِ آثار ادبية طيّبة امدّ الله في عمرهِ

(آل المرّاش) كما برز اليازجيون الملكيُّون في لبنان وبيروت بانتسابهم على العربيَّة في القسم الثاني من القرن التاسع عشر كذلك كان آل مرّاش الملكيُّون

يتقدَّمون في حلب اهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغة . وبنو المرَّاش عُرفوا في حلب منذ القرن الثامن عشر ومنهم كان بطرس المرَّاش الذي قُتل في سبيل دينهِ سنة ١٨١٨ في حلب باغراء جراسيموس اسقف الروم الارثذكس مع عشرة آخرين من الكاثوليك (اطلب قصيدة المعلّم نقولا الترك في رثائه في المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٦٦٤). وعُرف بعد قليل فتح الله المرَّاش وكان لهُ المام بالعلوم اللغويَّة والادبيَّات ابقى منها آثارًا مخطوطة ثم اراد ان يخوض ميدانًا لم يكن من فرسانهِ فعثر جوادهُ وكبا زندهُ . وذلك انهُ ألّف سنة ١٨٤٩ كتاباً في انبثاق الروح القدس فزعم انَّهُ من الآب وحدهُ على خلاف معتقد الآباء والكنيسة الرومانيَّة فدحض اقوالهُ الطيّب الذكر السيد البطريرك بولس مسعد باثبت الحجج في كتاب طُبع في رومية سنة ١٨٥٦ فلمَّا اطّلع عليهِ فتح الله المراش ارعوى عن غيّهِ واذعن للحق الواضح

وخلفهُ ابنهُ فرنسيس فنال شهرة طيّبة بذكائهِ ومعارفهِ وخلفتهِ الادبيَّة . ولد في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦ ثم تلقَّن العلوم اللسانيَّة وآداب الشعر وانكبَّ على دراسة الطبّ اربع سنوات تحت نظارة طبيب انكليزي كان في الشهباء . واراد ان يتمّ دروسهُ في عاصمة الفرنسيس فسافر اليها في خريف سنة ١٨٦٦ وقد وصف سفرهُ اليها في كتاب رحلة باريس الذي طبعهُ في بيروت سنة ١٨٦٧ . ولم يسعدهُ الدهر في غربتهِ فكرّ راجعاً الى وطنهِ وتفرَّغ للتصنيف لا يكترث لما اصابهُ من ضعف البصر وانحطاط القوى حتى أفل نجم حياتهِ فمات في مقتبل الكهولة سنة ١٨٧٣ . وكان فرنسيس صادق الايمان كثير التديُّن وقد ألّف كتاباً بناهُ على مبادئ العلوم الطبيعيَّة والعقليَّة بياناً لوجود الخالق واثباتاً لحقيقة الوحي سمَّاه « شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة » اعرب فيهِ عن دقّة نظر ومعرفة باحوال الطبيعة والعلوم العصريَّة . ومن مصنّفاتهِ التي جمع فيها بين الفلسفة والآداب فاودعها الآراء السياسيَّة والاجتماعيَّة على صورة مبتكرة كتاب « غابة الحقّ » الذي طُبع في حلب سنة ١٨٦٥ ثم كُرّر طبعهُ في بيروت ومصر . ومثلهُ كتاب « مشهد الاحوال » المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٣ على اسلوب لطيف ونسق حديث . وفي بيروت طبعت لهُ رواية حسنة دعاها « در الصَّدَف في غرائب الصُّدف » . وممَّا طبعهُ قبلها في حلب (١٨٦١) كتاب « المرآة الصفيَّة في المبادئ الطبيعيَّة » لخَّص فيهِ اصول علم الطبيعة . ثم « خطبة في تعزية

الكروب وراحة المتعوب» (١٨٦٤) وكتاب «الكنوز الفنيّة في الرموز الميمونيّة» (١٨٧٠) وهي قصيدة رائيّة في نحو خمسمائة بيت ضمّنها رموزاً خفيّة على صورة رواية شعريّة. ومن نظمه ايضاً «ديوان مرآة الحسناء» طبعهُ لهُ محمد وهبه سنة ١٨٧٢ في مطبعة المعارف في بيروت

وكان فرنسيس المراش يحبُّ في كلامهِ الترفُّع عن الاساليب المبتذلة فيطلب في نثرهِ ونظمهِ المعاني المبتكرة والتصوُّرات الفلسفيّة فلا يبالي بانسجام الكلام وسلاستهِ فتجد لذلك في اقوالهِ شيئاً من التعقُّد والخشونة مع الاغضاء عن قواعد اللغة. فمن شعرهِ قولهُ في الحماسة:

نيقوا (كذا) من الغفلات يا اهل الوطنْ ... انَّ العدوَّ دنا وهـا نَقعُ الفِتَنْ
حتَّى مَ انتم يا بُزاةُ روابضٌ ... هبُّوا فقد حام الغرابُ على الدِمَنْ
هجمَ العدوُّ وها الغبارُ وانتمُ ... من ذا الغبار ستنسجون لـهُ كفَنْ
لا تجعلُ الغربانُ من سعة الفلا ... يوماً اذا خفضَ العُقابُ من الوكَنْ
ناداكمُ الوطن الذي قد ضمَّكُمْ ... في حضنهِ وسقاكمُ لبنَ المِنَنْ
كرُّوا الى الاعداء كرَّ الاسد يا ... أُسدَ الوفاء فهم ثعالبةُ الحَوَنْ
فاصغوا لصوتِ ابٍ لكم يرجو الحمى ... منكم فتىً طاردوا عنهُ المِحَنْ
او ما ترون الدمع منهُ لاجلكم ... يجري فقوموا نشّفوا دمع الوطنْ
لا يحسن الموت الزؤام لدى امرئٍ ... لكن فِدى الاوطانِ موتكمُ حسنْ

ولهُ في الزهريَّات:

هوذا الصباحُ بدا وبالانوارِ ... طُبعت وجوهُ الكونِ في الابصارِ
والشمسُ قد نشرتْ بيارقها على ... قمم الجبال امام جيشٍ ضارِ
وعلى عمود الصُبح قد شاد الضحى ... بُرجَ النهار مسلَّحاً بالنارِ
والشرقُ أوتَرَ قوس نورٍ وانثنى ... يرمي على الدنيا سهامَ شرارِ
والليـل مزَّق ثوبهُ حزناً على ... فقد النجوم وغار في الاغوارِ
مـا زال مدُّ النور يرفع في العُلا ... جَزْرَ الظلام كعاصفٍ لغبارِ
حتى امتلا جوف الفضاء من الضيـا ... وزهت بذلك كافَّةُ الاقطارِ
فترنَّمَ القُمريُّ فوق غصونهِ ... طرباً وفاحت نسمةُ الاسحارِ

والدرُّ هبَّ الى العلاء كانه يبغي المسير مع السحاب الجاري

وقال يشكو الدهر :

رمتْ قلبي نبالُ الدهر حتى رأيتُ دمي يسيلُ من العيونِ
فلو كان الزمان يُصاغُ جسماً لكنت اذيقهُ كأس المنونِ

وقال في خواصّ الجسم :

الجسم معروفٌ بستّ خصائصٍ فيهِ فمنْهُ قطُّ ليس تحولُ
عدمُ التداخل وامتدادٌ صورةٌ جذبٌ سكونٌ للتجزّي قبولُ

ومن حكمهِ قولهُ :

صدّقوني كلُّ الانامِ سواءٌ من ملوكٍ الى رُعاةِ البهائمْ
كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ لا تَني في ولائمٍ او مآتمْ
كم اميرٍ في دستهِ بات يشقى بالهُ والاسيرِ في القيدِ ناعمْ
اصغر الخلق مثل اكبرها جرْ ماً لهذا وذا مزايا تُلائمْ
والخلايا للنحل اعجبُ صنعاً من قصور الملوك ذات الدعائمْ

وكان فرنسيس المرّاش يراسل اهل الفضل في زمانهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وغيرهِ . ولهُ مآثر عديدة وفصول انشائيّة واراجيز نشرها ارباب الجرائد في عهدهِ كاصحاب الجوائب والنحلة والزهرة والجنان يطول هنا ذكرها . ومن جيّد وصفهِ قولهُ في الحسود :

قالوا لزيدٍ انّ عمرًا فاز اذ ربحت تجارتهُ بحظٍّ كيّسِ
فازورّ من غضبٍ وسكرجَ (؟) عينهُ وتنفّس الصعداء ايَّ تنفّسِ
وغدا يقول مخرطماً ومبرطماً ويلاهُ من تحسين حال المفلسِ
وكذاك لمّا اخبروا عمرًا بان بكرًا غدا ذا رفعةٍ في المجلسِ
ارغى وأزبد خاثرًا كالمُعتري واتتاب سحنتَهُ ظلامُ الحندسِ
وانغاظ يصرخ قد كذبتم فاصرخوا انّ السعادة لا ترى في المُتعسِ
ورووا على بكرٍ بانَّ صديقهُ يحيى بعزّ بعد ذلٍّ قد كُسي

فانسابَ كالافعى وقال اعوذُ من ... عارٍ غدا متبختراً في الاطلسِ
والكلّ يبدون المسرَّة كلّما ... سمعوا بنائبة سرت في الاروُسِ
تبّاً لبغيك ايّها الانسان ما ... ابليسُ ربُّ النحسِ منكَ بانحسِ
ذي كبرياؤك يا لها من آفةٍ ... كالافعوان سعت لقتل الانفسِ

وقد رثاهُ الاديب المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفهُ :

تركت يا مفردًا شأنًا يذكّرنا ... شذاه كالمسك لمّا فاح في الطللِ
من مشهد قد جلا الاحوالَ بان لنا ... منهُ عجائب افعالٍ بلا خللِ
ومن غرائب ما شاهدت من صدفٍ ... أجلى من الدرّ او اشهى من العسلِ
ورحلة سرتَ فيها قد حوت حكماً ... صيغت من الدرّ من قولٍ ومن عملِ

ولفرنسيس المراش اخٌ واخت اشتهرا ايضاً بالآداب نؤجّل ذكرهما فنروي اخبارهما في تاريخ القرن العشرين

(رزق‌الله حسون) وفي هذا الزمان اشتهر حلبيّ آخر لعب دورًا مذكورًا في نهضة الآداب العربية . نعني بهِ رزق‌الله بن نعمة‌الله حسون . ولد هذا في حلب نحو السنة ١٨٢٥ من أسرة كريمة اصلها من الارمن ودرس العلوم في دير بزمّار في لبنان. وبعد ان قضى مدّة في وطنهِ متاجرًا سافر الى الاستانة فتوطنها برهةً من الدهر وصار فيها ناظرًا لجمرك الدخان ثم تجوّل في اوربّة ودخل فرنسة وروسيّة وحلّ مدّة في لندن وكان في اسفارهِ يشتغل بالآداب العربيّة ويؤلف التآليف النثريّة والشعريّة. وكان خطهُ بديعاً وفي مكتبتنا الشرقيّة من قلمهِ عدّة كتب تأخذ بالابصار لجودة خطّها واتقانها كتبها على ورق جميل النقش كان انتسخها في اوقات الفراغ في خزائن كتب اوربّة كصبح الاعشى للقلقشندي وديوان الاخطل وديوان ذي الرمّة والمتمّ لابن درستويه ونقائض جرير والفرزدق والاناجيل المقدسة ترجمة الدبسيّ . وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ قدم الى الشام في صحبة فؤاد باشا فكان يعرب مناشيرهُ واوامرهُ . ثم عاد الى انكلترة واشتغل بالتأليف في قرية ونزورث (Wandsworth) بقرب قصر الملكة فيكتوريا ومما صنّفهُ وقتئذٍ ثم طُبع في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٨٦٩ و١٨٧٠ كتابهُ «اشعر الشعر» اودعهُ نظم سفر أيوب ونشيد

موسى في الخروج ونشيدهُ في التثنية ثم سفر نشيد الاناشيد لسليمان وسفر الجامعة وختمهُ بمراثي ارميا . ودونك مثالًا من ترجمتهِ وهو وصف أيوب للفرس :

فهل تُعطي الجوادَ يخبُّ عزمًا ... وتكسو عُنُقَهُ عَرفًا بَيِّنا (؟)
أتُوثبُهُ كمثل جرادةٍ نَفـخُ منخرهِ يهيبُ السامعينا
يبطن الحَبْتَ بحاثٌ وَثُوبُ ... بيأسٍ يلتقي الحَرْبَ الزَّبونا
ويهزأ بالمخاوف ليس يخشى ... عن الاسياف لم يُحجِم جبينا
تصلُّ عليه واقعةً سهامٌ ... وترهقهُ رماحُ الدارعينا
ويطوي الارضَ في وَثْبٍ ورجزٍ ... ولم يُؤمن لصوت البوق حينا
اذا ما البوقُ يُنفَخُ قال هَهْ مِن ... بعيدٍ شُنَّتِ الهيجا شؤونا

وهذا مثال آخر من نظمهِ لمراثي ارميا :

أنَّى خلا منها الانيسُ البلدةُ ... ملأى شعوبٍ بالجلاء تشتَّتوا
صارت كارملةٍ معظَّمةُ الملا ... امُّ القُرى ضُرِبَت عليها الجزْيةُ
تبكي دمًا والدمعُ فوق خدودها ... فقدت عزاء خليلها ووَدُودِها
اصحابُها غدروا بها طُرًّا على ... غلطِ المدى اضحوا شماتَ حسودِها

ومما طُبع لهُ في المطبعة الاميركيَّة «كتاب السيرة السيِّديَّة على ما اداهُ الينا المبشرون الذين كانوا شهداء الكلمة . رتَّبها بهذا النسق تتبُّعاً لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا الى صعود الربّ» . وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الاناجيل الاربعة . وقد طُبِع في مطبعتنا كتاب من جنسهِ وهو المعروف «بالقلادة الدريَّة في الاربعة الاناجيل السنيَّة » للاب يوحنَّا بلو اليسوعي

ومن مآثر رزق الله حسُّون كتابان آخران طبعهما في لندن : الاول كتاب النفثات ضمَّنهُ اربعين مثلًا من امثال احد كتبة الروس يُدعى ايڤان اندريفتش كورلُف (I. A. Curlov) فنقلها حسُّون الى العربيَّة ونظمها شعرًا وألحقها ببعض مقاطيع شعريَّة من نظمهِ . والتعسُّف في كثير منها ظاهر واغلاطها عديدة هذا منها مثال :

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى ... أن تدانى الى سُهول البقاعِ
طارقًا لحظيرةٍ ناظرًا من ... ثُقبِ صخرٍ بلوحُ ضوءُ شُعاعِ

فرأى الغنمَ المساكين والسكّينُ في كفّ حاسرٍ من ذراعِ
يذبحُ الحملَ السمينَ ويُلقي للعرى الكرشَ والمعى في القفاعِ
والكلابُ روابضٌ ونيامٌ لا تذبُّ ولا ينبح تداعي
فقضى عجباً وولّى كئيباً خائباً من مرامهِ والمساعي
قائلاً يا كلابُ كم تنبحوني لو تعدّيتُ مثل هذا الراعي

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائي طبعهُ سنة ١٨٧٢ على نسخة مكتبة لندن في ٣٣ صفحة وقد طُبع هذا الديوان طبعة اخرى افضل من الطبعة السابقة واكمل منها على يد احد المستشرقين الالمان اسمهُ شولتس (Schulthess)

ولهُ كتاب آخر نفيس لم يُطبع حتى الآن سمّاه «حسر اللثام» ردّ فيهِ على مزاعم بعض المسلمين . منهُ نسخة بخطّهِ في مكتبتنا الشرقيَّة بمجلّدين

وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الاحرار في اصلاح تركيا وذلك ما الجأهُ الى سكنى لندن في آخر حياتهِ وهناك طبع جريدتهُ مرآة الاحوال سنة ١٨٧٦ وكان سبق قبل ذلك بمدة طويلة فنشرها في الاستانة فكانت اقدم الجرائد العربية فيها(١) وشفعها سنة ١٨٧٩ بمجلّة سياسيَّة كان مدارها على حلّ المسألتين الشرقيَّة والمصريَّة . امَّا وفاة المترجم فوقعت السنة ١٨٨٠ مات فجأةً في لندن . وكان رزق الله حسون صديقاً لادباء زمانهِ يكاتبهم ويساجلهم فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة :

خدينَ المعالي وابن بجدتها الفردُ بقيتَ بقاء الدهر يخدمك السعدُ
وزادك ربُّ العرش اسنى كرامةٍ قرينٌ بها الاقبال والفخرُ والمجدُ
ولا زلتَ في امنٍ وموفورَ نعمةٍ وبُمنٍ أيادٍ كسبُها الشكرُ والحمدُ
وبعدُ فقد طال البعادُ ومهجتي يكادُ من الاشواق يضرمُها الوجدُ
وما لي عن لُقياك صبرٌ ولا غنى ولكنّ خطبَ الدهر ما بيننا سدُّ
ألا بئسما الايامُ اغرتْ بعد النوى بنا فاستطالت ربّما قصرَ الجدُّ
موانعُ حالت دون فرضِ زيارتي وقد كنتُ ارجو ان يكون لك وفدُ
واصبحتُ من إبطائكم في هواجسٍ تحيّرني لا يهتدي نحوي الرشدُ
فابغي للاطمئنان منكم ألوكةً اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصدُ

١) اطلب مجلة الهلال (٨ : ١٤٨ و٢٢٤)

ومما نظمهُ فيهِ المعلم بطرس كرامة ابيات قالها لمَّا اقترن سنة ١٨٤٨ بسيّدة تدعى ماتلد فقال:

خاديك يا نجلَ الفؤادِ تحاشنا ... تنبئُ عن افراحنا حينا تبدو
بخير اقترانٍ جاء وهو مباركٌ ... يقارنهُ برٌّ ويصحبهُ سعدُ
فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ ... وعيشٍ رغيدٍ بُردُهُ الامنُ والرفدُ
زفاف سعيدٌ والهناء مؤرخٌ ... موافٍ لرزق الله بالخير ماتلدُ

وقد وجدنا لرزق الله حسون في الهجاء قولهُ في يوسف حجَّار احد عمَلة نصرالله دلَّال الحلبي وكان استغنى بعد فقر فترفَّع:

المرء يُذكر بالاعمالِ لا المالِ ... أحسِنْ بخيرهما عن كسب رئبالِ
ليس الثراء بمُجدي النائليهِ ثنا ... ان كان ما جموهُ سُحتَ اوبالِ
وهل سمعتَ بذي كبرٍ وذي صلَف ... يرقى المعالي بطول القيل والقالِ
قد ظنَّ يوسف حجَّارٌ بثروتهِ ... انَّ العلى هزَّ عطفيهِ كمختالِ
فجاء يخطر لا يلوي على احدٍ ... يتيهُ عجباً بإدبارٍ واقبالِ
الله اكبرُ هذا حالُ ذي شططٍ ... نال المنى بعد إقتارٍ واقلالِ
ان ساعدتْك الليالي كن على حذرٍ ... فما تدوم على لونٍ ولا حالِ
هلَّا تذكرتَ أياماً سلفنَ وقد ... مضت بخدمة نصرالله دلَّالِ

ومنها:

ابا هبنَّقة القيس الذي اشتهرتْ ... اخبارهُ سُدْ بجدٍّ ناعم البالِ
قد استرحتَ من العقل الرصين ورا ... عي الضان يحكيك في جهلٍ وامثالِ
لا تأسفنَّ على ما فات عن عرضٍ ... فالنُّوك داءٌ ولكن غير قتَّالِ
قد عاش قبلك عجلٌ وهو ذو إحَنٍ ... لكنَّما انت لا تُعزَى الى آلِ

﴿القس انطون بولاد﴾ وممَّن توفَّاهم الله في هذه الحقبة القس انطون بولاد احد ادباء زمانهِ. ولد في ختام القرن الثامن عشر في دمشق من أُسرة فاضلة من الروم الملكيين الكاثوليك. ترهَّب في دير المخلص قرب صيداء سنة ١٨١٥ ثمَّ رقَّاهُ الى رتبة الكهنوت السيّد باسيليوس خليل اسقف صيداء في ١٦ نيسان سنة ١٨٢٢ وقد

فُوِّضت اليهِ في رهبانيَّتهِ عدَّة وظائف أعرب فيها عن همَّة ونشاط وترأس على دير القديسة تقلا وعمَّر ابنيةً جديدة في دير المخلص ودبَّر دروس طلبة رهبانيَّتهِ وعلَّمهم اللاهوت مدَّةً. ثم جرت بينهُ وبين اخوتهِ الرهبان منافرات ومنازعات دخل فيها القاصد الرسولي ڤيلاردل وغبطة البطريرك مكسيموس مظلوم حتى اعتزل القس انطون الاشغال في دير المخلص وانقطع الى الفرائض النسكيَّة الى السنة ١٨٦٠. وفيها انتقل الى بيروت من جرَّاء حوادث تلك السنة فسكنها الى عام وفاتهِ في ١ ايلول سنة ١٨٧١. وكان القس انطون مولعاً بالآداب العربيَّة ولاسيما التاريخ وقد ابقى من آثار اجتهادهِ كتابهُ راشد سوريَّا الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٦٨ ضمَّنهُ عدداً وافراً من المعلومات والافادات اقتطف بعضها من مخطوطات قديمة كالصبح المُنبي عن حيثيَّة المتنبي ورسالة الحاتمي في ما اخذهُ المتنبي من حكم ارسطو فنظمهُ في شعرهِ مع عدَّة فوائد في التاريخ والمصنَّفات القديمة. ومن آثار القس انطون بولاد خلاصة تاريخ البطريركيَّة الانطاكيَّة واتحاد ابنائها مع الكنيسة الرومانيَّة اقترحهُ عليهِ الاب غغرين (Gagarin) اليسوعيّ والامير الرومي المرتدّ الى الكثلكة. ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وهو مطبوع على الحجر. وفيها ايضاً للقس المذكور ملحق ذيَّل بهِ كتاب التختيكون للقسّ يوحنا عجيميّ واودعهُ تاريخ طائفتهِ من السنة ١٧٥٩ الى زمانهِ مع خلاصة اخبار الرهبانيَّة المخلصيَّة. ولهُ كتابات اخرى ورسائل متفرّقة. وقد وجدنا في مكتبة الثلاثة الاقمار بعض مخطوطات كان ابتاعها لمكتبتهِ منها مجموعة لقدماء كتبة اليونان وفلاسفة العرب نشرنا قسماً منها

﴿الخوري جرجس عيسى﴾ وعاصر القسَّ بولاد راهبٌ آخر جاراهُ بالادب وهو الخوري جرجس عيسى السكاف الذي اثبت المشرق (٩[١٩٠٦]: ٤٩٤ و٥٤١) ترجمتهُ بقلم الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف. ولد الخوري جرجس عيسى في معلَّقة زحلة وانضوى الى الرهبانيَّة الحناويَّة في الشوير سنة ١٨٤٥ ثمَّ تلقَّى العلوم الدينيَّة وانس في نفسهِ ميلاً الى الآداب العربيَّة فتخرَّج فيها على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها. ودرس الفقه على الشيخ يوسف الاسير فبرع فيهِ ونُصب مدَّةً حاكماً للنصارى في عهد الامير بشير احمد اللمعيّ. وفي اثر حوادث السنة ١٨٦٠ سافر الى ارلندة فجمع احسانات وافرة خصَّ منها بعد عودتهِ الى سوريَّة قسماً لبناء المدرسة البطريركيَّة. ولما

فُتحت هذه المدرسة سنة ١٨٦٦ كان الخوري عيسى اول رؤسائها وقام بشؤونها الدينيَّة والادبيَّة احسن قيام ودبَّرها سنتين واليهِ اشار سليم بك تقلا في مدحهِ للمدرسة المذكورة حيث قال :

وقد خصَّها من قبلُ في جرجس الذي ابان ابتداها وابتغى الكدَّ والقهرا
وقاسى بها كل الصعاب مجاهدًا وجمَّلها علمًا وقدرًا كذا ذكرا

ثمَّ عاد الخوري جرجس الى ديرمار يوحنا الصابغ وتعاطى اعمال الرسالة والوعظ وارشاد المؤمنين في لبنان وبيروت بغيرة وتقى حتى ذهب في ٨ آب سنة ١٨٧٥ شهيد تفانيهِ في خدمة المصابين في الهواء الاصفر. فمات في بيروت مأسوفًا عليهِ وقد رثاهُ الشيخ خليل اليازجي بداليَّتهِ التي اوَّلها (المشرق ٩[١٩٠٦]: ٤٩٩) :

سقاكِ من الحَيا صوبُ العهادِ بدمعٍ سال من مُقَلِ الغوادي

وكان الخوري جرجس عيسى شاعرًا مُجيدًا لهُ ديوان مخطوط انتقى منهُ صاحب ترجمتهِ بعض الشذرات تجدها في عشر صفحات من مجلة المشرق (٩: ٥٤١–٥٥١). ومن نظمهِ قولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصيف اليازجي :

اذا عُرضت مسائلنا لديهِ تراهُ حلَّها حالًا تصدَّى
فيُوضح رمزَها لفظًا ومعنًى ويكشف سرَّها قربًا وبُعدا
لهُ في مجلس العلماء مرأى تجاوز في المهابة منهُ حدَّا
اذا اختلف النحاة بحكم امرٍ وقدَّم رأيَهُ فيهِ تبدَّى
وان افتى بخطٍّ او لسانٍ ففتواهُ الصحيحةُ لن تُردَّا

ولهُ مؤرخًا وفاة السيد البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٥ :

مكسيموسُ المفضالُ بطركنا الذي كان الامينَ لشعب مولاهُ العلي
لمَّا ارتقى دار الخلود ممجَّدًا لاقتهُ اجواق العلاء بمحفلٍ
وهناك من فرحٍ مؤرّخهُ تلا احسنت يا عبدًا امينًا فادخلِ

وللمترجم ما عدا الديوان الشعريّ كتابان دينيَّان طبعهما سنة ١٨٧٢ في المطبعة الادبيَّة احدهما «فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة» والآخر «كتاب صلوات

خشوعيَّة لنظم الحيوة الروحيَّة»

﴿جرجس اسحق طراد﴾ وكذلك عُرف في تلك المدَّة شاعرٌ من أُسرة وجيهة في بيروت اسمهُ جرجس اسحق طراد تكرَّر ذكرهُ في منشورات زمانهِ كالجوائب والنحلة وغيرهما. ولهُ هناك فصول نقلها من اليونانيَّة وقصائد منها قصيدة دعاها المصباح مدح فيها العلم: ومن ابياتها قولهُ:

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى والجهل ليلٌ مظلم لن يلمعا
فاسعوا بكسب العلم سعياً كاملاً والله يعطي كلَّ خيرٍ من سعى
واجلوا شموس العلم في بيروتنا فالجهلُ غيرَ بسيفهِ لن يُردعا

ولهُ من ابيات في مدح مجلَّة النحلة سنة ١٨٧٠ :

هيَ نحلةٌ من كلّ فنٍّ قد جنتْ وجلت عن التاريخ ما هو مظلمُ
هبُّوا بني الاوطانِ واجنُوا شهدها قد حان آنُ قطافهِ والموسمُ
وشّى صحائفها جليلٌ ماجدٌ في وصفهِ الاوطانُ تزهو وتبسمُ

وقد رثى الطيِّبَ الذكرِ المطران طوبيًّا عون رئيس اساقفة بيروت المارونيَّ سنة ١٨٧١ برثاة قال فيها:

خطبٌ جسيم دهانا اليوم وا اسفي كلٌّ غدا قائلًا قد ضاع مصطبري
فقدُ الهمام الكريمِ الحاذق الورع م الذي تردّى بثوب الخير والطهرِ
عونُ الفقير حليمٌ ماجدٌ فطنٌ شهمٌ شهيرٌ وذو قلبٍ بلا وضرِ

وقد مدح ايضاً اسمعيل باشا خديوي مصر فقال من قصيدة :

على أسماعيل سيّدنا سلامٌ تردّدهُ الاكابرُ والصغارُ
اذا ما غاب غاب العزُّ معهُ كما إن عاد عاد لنا الفخارُ
لعزّتهِ تخرُّ الاسدُ طوعاً كما للموت والموت اضطرارُ
فما الاسكندريَّة في حماهُ سوى روضٍ يجلّلهُ اخضرارُ
ومصر الآنَ في الاقطار خُودٌ تميس بحلَّةٍ لا تُستعارُ

ومن حكمهِ قولهُ :

ما كلُّ من رامَ نظم الشعر يدركهُ ... ولا الذي رام يفدي الناس يفديها
ليس الذي عاش اياماً مطولةً ... بل الذي عركَ الايام يدريها
بين الحيوة وكلِّ الناس معركةٌ ... بالحظِّ والبؤس تفنينا ونفنيها

وكان مولد هذا الشاعر سنة ١٨٥١ ووفاتهُ في كانون من السنة ١٨٧٧ . امَّا اخباره فقد تحفَّينا في السؤال عنها فلم نحصل على شيء منها . وكذلك لم نقف على اخبار كاتب آخر تلوح من آثارهِ لوائح النجابة والذكاء نريد المرحوم «قيصر ابيلا» . ومن العجب ان الذين افادونا عن تاريخ بيت ابيلا (المشرق ٦[١٩٠٣] : ٦٥٤) لم يتعرَّضوا لذكر قيصر . وقد كنَّا عثرنا لهُ على قصيدة دينيَّة حسنة النظم فاثبتناها في مجلَّتنا (٧[١٩٠٤] : ٢٥٦) وهي عبارة عن مفاوضة غاية في الرقَّة بين الله والخاطئ اولها :

يدعوك ربُّك ايها المتمرِّدُ ... حتى مَ في ليل المعاصي ترقدُ
فأجبْ نداهُ واعتصم بحبالهِ ... فهو المجيرُ وغيرهُ لا يعضدُ

ولهُ غير ذلك من الآثار منها نُبَذ في موادّ علميَّة وصناعيَّة وادبيَّة نشرها في مجلة النحلة سنة ١٨٧٠ (ص ٢٢ و٣٦ و٥٢ الخ) . توفي قيصر في شرخ شبابهِ في صيدا سنة ١٨٧٣ فأرخ وفاتهُ نقولا افندي النقاش :

قد غبتَ يا بدرًا منيرًا بالثرى ... وغدا الظلام مخيّماً فوق الورى
وكسوت آيبلا بكاء تفجُّعٍ ... حاشاهُ ان يفنى وان يتغيَّرا
رفقًا بادمعٍ والدٍ يا آلهُ ... وتصبَّروا فكفاكمُ ما قد جرى
ابن القياصرة المعظَّمُ قدرُهم ... فالكل ساروا والبقاء تعذَّرا
ونعم فقدتم قيصرًا لكنما ... أرِّخْ غدا بالله قيصرُ قيصرا (١٨٧٣)

ومن شعر قيصر ابيلا قولهُ في وصف الدنيا ونكباتها :

ذرِ الدهرَ فالايامُ فاسخةُ العقدِ ... وناشرة البلوى وطاوية العهدِ
وما هذه الدنيا سوى دار ذلَّةٍ ... وفيها يجولُ المرءُ في الهمِّ والكدِّ
نروم بها طول البقاء ودونهُ ... سيوفُ القضا بالفتك ماضيةُ الحدِّ

تُخادعنا الدنيا بوعدِ مسرَّةٍ وليس سوى البأساء فيها وفا الوعدِ
تسلُّ على ذي الملك والجاه سيفَها كما انها تسطو على أحقرِ العبدِ
وهيهاتُ ما الدنيا الغرورُ بمنزلٍ ولكن بها نجري الى منزل الخلدِ
وكلٌّ على هذا الطريقِ مسافرٌ فلا صاحبٌ يَفدي ولا ثروةٌ تُجدي

ومن مديحهِ قولهُ في مجلّة النحلة :

ألا حبَّذا القومُ الكرامُ الأُلى لهم على وطنٍ من خيرِ أفضالهم فضـلُ
عليهم ثناءٌ لا يزال مؤبَّدًا يطيبُ كما طاب الذي جنتِ النحلُ
فأكرِمْ بمَن مِن روضِ افكارهم لنا جنى نحلةٍ يحلو والمئانهُ تغلو
تطيب لنا مما حوتهُ فوائـدٌ واعذبُ شيء ما يلَذُّ بهِ العقلُ

ونضيف الى من سبقوا اديباً آخر توفي نحو سنة ١٨٧٣ اسمهُ «اسعد باز» صنّف موشّحات واغاني تقويَّة منها تسبحتان في مريم العذراء شائعتـان : « انتِ الشفيعَ الاكرمُ » و« يا بتول ارحمي عبيدك » . ومما افادنا به جناب القانوني جرجي بك صفا ابيات لاسعد باز قالها سنة ١٨٣٠ في تاريخ بناء كنيسة دير القمر المعروفة بسيّدة التلّة :

يا مَقدس الدين الذي يسمو على قمرِ العلى نورًا بإشراقٍ بـدا
قد زانهُ الرحمـان في آياتهِ وبجودة المنّان عاد مجدَّدا
طوبى لمن وافى اليـهِ طالباً من مريم البكرِ العنايةَ والهُدى
ويقول تـاريخاً بهِ مترنّماً انتِ رجا القصّادِ بل سببُ الفدا

ولما اهدى الفاضل غالب افندي شاول صورة السيدة لتلك الكنيسة قال اسعد باز :

تخذتُكِ يا بتولًا لي ملاذًا حصيناً يُرتجى عند المخاطرْ
فأرجوك الشفاية بي لأني انا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعرْ

ولهُ ايضاً في قيامة لعازر :

يا بيت عنيا قد غدوتِ مشاهدًا لعجـائب الله التي تسبي الورى
قد جاءك المولى المخلّص زائرًا احيا بكِ الميتَ الرميم من الثرى

وتوفي في هذا الزمان (٢٦ كانون الاول سنة ١٨٧٠) احد وجوه الاسرة الدحداحية الذين اجادوا بالكتابة «الشيخ امين» الذي اتخذهُ الامير حيدر رئيس كَتَبتهِ لما فُوِّضت اليه قائمقامية النصارى في لبنان. وقد ذكرهُ مكاتبنا الاديب الشيخ سليم الدحداح في مقالتهِ عن الكنت رُشيد واسرتهِ (في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٣٩٥) آثارًا ادبيّة ومنظومات شهدت لهُ على رسوخ القدم في الاداب العربية وأيّد قولهُ بذكر ما دار بينهُ وبين ادباء عصرهِ من المساجلات والمكاتبات المنبئة بفضلهِ وباعتبار معاصريه لهُ

هذا ما امكنَّا جمعهُ من اخبار ادباء النصارى في هذه الحقبة ولا مراء انهُ فاتنا منها اشياء كثيرة واملنا من اصحاب الفضل والهمّة ان يسدُّوا الخلل او يرشدونا الى ما يعرفونهُ من الفوائد فننشرها شاكرين. وقد عدلنا عن ذكر الذين قصروا همّتهم الى تآليف دينيّة او جدليّة قليلة كالسيّد امبروسيوس عبده المتوفى سنة ١٨٧٦ بعد تدبيرهِ مدّة لكرسي زحلة ونقلهِ الى القلاية الاورشليميّة وهو مؤلف كتاب كنز الرياضة الروحيّة. وكالارشمندريت غبريل جبارة احد الذين عدلوا جهلًا عن الكثلكة الى الارثدكسيّة بسبب تغيير الحساب. توفي سنة ١٨٧٨ في ازمير. ولهُ كتابات جدليّة لتأييد رأيهِ الباطل في الحساب الشرقي وبعض كتب دينيّة ومواعظ. وغير هؤلاء ممن أبقوا لنا بعض آثار من فضلهم وآدابهم. امّا اخبارهم فلم يفدنا احد منها شيئًا مع قرب عهدهم من زماننا

المستشرقون الاوربيون

(الفرنسويون) بقيت ازمّة الدروس الشرقيّة في ايدي الفرنسويين في السنين العشر التي تمتدّ من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ وان خمدت تلك الحركة بعض الخمود بعد الحرب السبعينيّة. وكان معظم المستشرقين في فرنسة قد تخرَّجوا على اولئك الائمة الذين سبق ذكرهم كالبارون دي ساسي ودي كاترمار ورينو فتقفى تلامذتهم آثارهم الَّا انَّ الموت حلَّ ببعضهم فرزئت بهم الاداب العربيّة

واوَّل من يستحقّ ان تشقّ عليهِ الاداب جيوبها العلّامة «كوسّان دي پرسڤال» (A. P. Caussin de Perceval) الذي سبق لنا ذكر والدهِ. ولد هو في ١٣ ك ١

سنة ١٧٩٥ وانكبَّ منذ شبابهِ على الدروس الشرقيَّة ثمَّ ارسلتهُ حكومتهُ بصفة ترجمان الى الاستانة ثم الى ازمير ثمَّ جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فسكن جبلها ومدنها وتوغَّل في باديتها حيث ابتاع لحكومتهِ جيادًا اصيلة . وكان في سياحته اتقن اللهجات العربيَّة العاميَّة فألَّف فيها غراماطيقاً واصلح معجمَ الاستاذ القبطي اليوس بُجتر فجدَّد طبعهُ . وقد ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغة العربيَّة في مكتب دروسها العليا فلم يلبث ان احرز لهُ شهرة كبيرة في التعليم . ثمَّ خصَّ حياتهُ في درس آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألَّف في ذلك كتاباً واسعاً في ثلاث مجلَّدات لم يبلغ فيه احد شأوهُ وقد نفد طبعهُ حتى بيع بثلاثمائة فرنك الى ان جُدِّد طبعهُ بالنور والحجر . وللمسيو دي برسڤال تآليف أُخرى عديدة ومقالات فنيَّة في كلّ آداب الشرق اخصّها تراجم الموسيقيين العرب . كانت وفاتهُ وقت حصار باريس وفيها مات في ١٥ ك٢ سنة ١٨٧١

ومن مشاهير المتوفَّين من المستشرقين في هذه السنين «لويس امالي سيديليو» (L. A. Sédillot) ولد في باريس في ٢٣ حزيران سنة ١٨٠٨ وتخرَّج على ابيهِ الفلكي المغرم بآداب الشرق (ج ١ ص ٦٥) فتعقَّب آثارهُ وجعل يُنقّب في المكاتب الشرقيَّة ليستخرج منها دفائنها فنجح في ذلك بعض النجاح . ونشر سنة ١٨٣٣ كتاب ابي الحسن علي المراكشي المدعو جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكيَّة الذي نقلهُ ابوهُ الى الفرنسويَّة ثم نشر القسم الثاني منهُ في مجموعة مقالات الاكادمية الفرنسويَّة (Mém. présentés par divers Savants, *1re S. 1 Vol., 1-225*) ونشر مقالات أُخرى رياضيَّة لاحمد بن محمَّد السنجاري وللامام المظفَّر الاسفرلدي وصنَّف تاريخاً للرياضيَّات عند اليونان والعرب . وقد بالغ المسيو سيديليو في تعظيم اكتشافات العرب الفلكيَّة وغيرها حتى بخس حقوق اليونان فقام بينهُ وبين علماء زمانهِ جدال عنيف في ذلك فخطَّأوهُ واثبتوا لهُ انهُ تجاوز في كلامهِ حدود الحقيقة . وكذا يقال عن تاريخ العرب الذي ألفهُ وطبعهُ مرَّتين فانَّهُ قد رمى الكلام على عواهنهِ وشطَّ في مزاعمهِ وقد خُدع بكتابهِ المصريّون فنقلوهُ الى العربيَّة ظنًّا منهم انهُ من الآثار الفريدة . توفي المسيو سيديليو في ٢ ك١ سنة ١٨٧٥ في باريس

ولبَّى دعوة ربّهِ بعده بزمن قليل المسيو «جول موهل» (J. Mohl) كان هذا المانيَّ الاصل فولد في ستوتغارت سنة ١٨٠٠ ودرس في كليَّة توبنغن . ثمَّ شعر في

نفسهِ ميلاً الى الدروس الشرقيَّة فقصد باريس ودرس على علمائها ثم تجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وتفرَّغ للتأليف فكتب الفصول الواسعة في كل الفنون الشرقيَّة. حتى انَّ خطبهُ التي القاها في الجمعيَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة عن الشرق تقوم مقام كتاب يشمل كل تاريخها الحديث. وكان متبعمقاً في آداب الفرس وهو الذي نشر في باريس كتاب الفردوسي المعروف بشاه نامه طبعهُ طبعاً بديعاً في سبعة مجلَّدات ضخمة ونقلهُ الى الفرنسويَّة وذيَّلهُ بالحواشي وعلَّم سنين طويلة اللغة الفارسيَّة في مكتب باريس الاعلى. توفي في ٤ ك١ سنة ١٨٧٦

وفي ١٥ نيسان السنة ١٨٧٧ فُجعت الاداب الشرقية باحد اركانها المسيو فرنسوا الفنس بلن «F. A. Belin» كان قطن زمناً طويلاً بلاد الشرق وخصوصاً عاصمة المملكة العثمانيَّة حيث تعيَّن قنصلاً لدولتهِ. وكان مع تدبيره لشؤون القنصليَّة يهتمُّ بدرس تاريخ الشرق وكشف اسرارهِ فوضع مصنَّفات جليلة في تاريخ الترك وآدابهم. وكان يُعنى خصوصاً بتاريخ نصارى الشرق واحوالهم ولهُ في المجلة الاسيويَّة الفرنسويَّة فصول حسنة في كل ابواب المعارف الشرقيَّة وقد ألَّف تاريخاً للطائفة اللاتينيَّة في الاستانة العليَّة. كان مولدهُ في باريس سنة ١٨١٧ ووفاتهُ في الاستانة

وفي السنة التالية (٢ ايلول ١٨٧٨) توفي المستشرق الشهير «غارسن دي تاسي» (Garcin de Tassy) ولد في مرسيلية سنة ١٧٩٤ ودرس في باريس اللغات الشرقيَّة على امامها الاكبر دي ساسي. فاشتهر فيها ولاسيما في اللغتين الفارسيَّة والهندستانيَّة وقد توفَّرت مصنَّفاتهُ فيها. ومن آثارهِ «مجموع الرموز الشرقيَّة» جمعهُ من آداب العرب وغيرهم ونقلهُ الى الفرنسويَّة. ومنها كتاب في العروض والنظم عند الشرقيين. وكتاب آخر في البيان والبديع. وقد نشر كتاب كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي وحشَّاهُ وترجمهُ الى الفرنسويَّة ولهُ غير ذلك

وفي هذه السنة ١٨٧٩ وقعت وفاة مستشرق آخر شهير ادَّى للآداب العربيَّة عدَّة خدم. نريد بهِ المسيو «دي سلان» (B[on] Mac Guckin de Slane) وجَّه الحاظهُ الى بلاد المغرب ودرس اخبار البربر فألف فيهم تاريخاً في ستة مجلَّدات ثم تعشَّق ابن خلدون واتمَّ ترجمة مقدَّمته التي كان باشر بها العلَّامة دي كاترمار فطبعها في ستَّة مجلَّدات ثلاثة عربيَّة وثلاثة افرنسيَّة. ومن مآثرهِ الطيِّبة نشرهُ لديوان امرئ القيس

مع ترجمتهِ اللاتينيَّة في باريس سنة ١٨٣٧ ثمَّ وفاة الاعيان لابن خلكان ثم وصفهُ للمخطوطات العربيَّة التي تصان في مكتبة باريس العموميَّة لكنَّ الموت حال دون تتمَّة العمل فاتمَّهُ المسيو زوتنبرغ (H. Zotenberg)

ومن الكهنة الذين ابقوا لهم ذكرًا بدرس الشرقيات في باريس «الاب غلار» (abbé Glaire) من جمعيَّة سان سولبيس ولد سنة ١٧٩٨ وبرَّز في الاداب الشرقيَّة فندبتهُ الحكومة الفرنسويَّة الى تدريس اللغة العبرانيَّة في مدرستها العليا خلفاً لكاهن آخر من جمعيَّتهِ الاب لوهير (abbé Le Hir) الذي تخرَّج عليهِ رينان في درس العبرانيَّة. وكان الاب غلار حاذقاً في تفسير الكتب المقدَّسة وتولَّى شرحها في مدارس دولتهِ العموميَّة وكان عارفاً باللغة العربيَّة وقد وضع في اصولها كتاباً مطوَّلًا في اللغة الفرنسويَّة. توفي الخوري غلار في مدرسة إسّي (Issy) قريباً من باريس سنة ١٨٧٩

وكان يعاصر هذين الكاهنين كاهنٌ فاضل من وطنهما الَّا انهُ سكن المغرب واشتهر في تونس نريد بهِ الاب «فرنسوا بورغاد» (F. Bourgade) ولد سنة ١٨٠٦ . وبعد كهنوتهِ سنة ١٨٣٢ طلب اعمال الرسالة فرحل الى الجزائر سنة ١٨٣٨ وخدم فيها راهبات مار يوسف ثم رافقهنَّ الى تونس سنة ١٨٤٠ ووليَ هناك خدمة كنيسة مار لويس التي شيَّدتها الحكومة الفرنسويَّة. ومن مساعيهِ المشكورة انهُ انشأ مستشفى لابناء وطنهِ وفتح لهم مدارس ادارها بكل غيرة وفتح اوَّل مطبعة عُرفت في تونس. وكان الاب بورغاد محبًّا للآداب العربية مطَّلعاً على احوال العرب وتواريخهم وقد وضع عدَّة تآليف تنبئ بسعة معارفهِ لآداب الاسلام منها كتابهُ المعروف بمسامرات قرطجنة في ثلاثة اقسام طبعهُ بالفرنسويَّة والعربيَّة. ومنها كتاب في تاريخ تونس. ولهُ تفنيد على سيرة المسيح التي ألَّفها الملحد رينان. وطبع بالعربيَّة نبذًا من قصَّة عنتر وقلائد العقيان لابي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك . وقد انشأ جريدتين عربيَّتين عُقاب باريس والبرجيس . وكان اتَّخذ لهُ بصفة كاتب ومحرّر سليمان الحرائري الذي مرَّ لنا ذكرهُ. توفي الاب بورغاد في ٢٠ أيار سنة ١٨٦٦

ونختم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين باحد الاثريين المسيو «دي سوسي» (L. F. Caignart de Saulcy) توفي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ وعمرهُ ٧٣ سنة بعد ان ادَّى للدروس الشرقيَّة خدماً عظيمة بتعريف آثار الشرق ولاسيما النقود

القديمة فانهُ ساح مرارًا في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درساً نعمًا وفكّ كثيرًا من اسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانيّة والفينيقيّة والاشوريّة والعربيّة. والكتب التي ألفها في وصف العاديات التي اكتشفها او في حلّ رموزها تنيف على المئة. وبعض هذه التآليف كتبٌ ضخمة. ولهُ ايضاً عدّة تواريخ واسفار كرحلتهِ الى الاراضي المقدّسة في مجلّدين وتاريخ هيرودس الكبير. لكنهُ برّز في علم المصكوكات القديمة

(**الالمانيون**) سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشرقي الالمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حميَّة الدروس الشرقيّة فاخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويوسعون نطاق مدارسهم الشرقيّة. وممَّن استحقُّوا شكر الادباء في هذه البرهة من الدهر العلّامة «إيفلد» (H. Ewald) ولد في غوتنغن سنة ١٨٠٣ ودرس في وطنهِ العلوم الدينيّة ويعدُّهُ البروتستانت من كبار ائمّتهم في اللاهوت لهُ فيهِ كتابات عديدة وقد علّمهُ زمناً طويلًا في مدارس المانية وكان تبحّر في درس اللغات الشرقيّة. ومن مآثرهِ العربيّة غراماطيق واسع في جزءين صنّفهُ باللغة الالمانيّة. وقد كتب ايضاً في الشعر والعروض ونشر كتاب فتوح الجزيرة المنسوب الى الواقدي ووصف المخطوطات العربيّة المصونة في غوتا. توفي ايفلد في ٤ أيار سنة ١٨٧٥

واشتهر ايضاً المانيّ آخر اسمهُ «هرمان روديغر» (H. J. Roediger) كان ابوهُ اميل (Emile) روديغر سبقهُ الى درس الشرقيّات فنشر امثال لقمان الحكيم وكتب في الترجمات الشرقيّة للاسفار المقدّسة التاريخيّة توفي في ١٠ حزيران ١٨٧٧ في برلين. وقد خلفهُ ابنهُ هرمان روديغر في درس الآداب العربيّة وعلّمها مدّة في مدينة هال (Halle). ومن آثارهِ اشتغالهُ بكتاب جليل يُدعى الفهرست لابي الفرج ابن النديم كان باشر بطبعهِ العلامة فلوغل ففاجأهُ الموت ولم يتمّمهُ فانجزهُ العالمان اوغست مولّر وهرمان روديغر. وقد كتب روديغر في بعض اللغويّات العربيّة عدّة مقالات منها تأليف واسع في اسماء الافعال

(**الروس**) سبق لنا ذكر عنايتهم بالآداب العربيّة وكانت دولتهم لبسط سيطرتها على انحاء من القارة الاسيويّة احسّت بحاجتها الى لغة قسم كبير من رعاياها

فأنشأت مكتباً خصوصياً للغات الشرقيَّة من جملتها اللغتان العربيَّة والفارسيَّة عهدت بتدريسها الى اثنين من تلامذة البارون دي ساسي وهما الاستاذان « ديمانج » (Desmanges) «وشرموا» (Charmoy) صاحب التآليف الخاصة في تاريخ المغول والاكراد. واخذ عن ديمانج تلميذهُ الروسي « بوتجانوف » (Bottjanoff) الذي نشر بعض قصائد لابي العلاء المعرّي وللنابغة الذبياني. وفي عهدهِ كان «الكسيس بولديراف » (A. Boldyrew) الذي رحل الى باريس وسمع دي ساسي وعلَّم في موسكو وترأس على كليَّتها. ومن تركتهِ العلميَّة نشرهُ لمعلَّقتي الحارث ابن حلزة وعنترة ثمَّ منتخبات عربيَّة طبعها في موسكو سنة ١٨٣٢. ولهُ فصول ومقالات شتى في منشورات بلادهِ. وكان عالماً باللغة الفارسيَّة ترك فيها آثارًا مذكورة. وعاصرهُ عالم روسي آخر «يوسف سيانكوفسكي» (J. Sienkowski) ولد في بلاد ليتوانية في اوائل القرن التاسع عشر ودرس العربيَّة وهو في مقتبل العمر ثمَّ ساح في بلاد الشام ومصر وعاد الى بطرسبرج حيث درَّس اللغتين العربية والتركية. وكان عالماً باللهجات العاميَّة فكتب في ذلك عدَّة فصول مفيدة ونشر قصصاً وحكايات وبعض روايات عنتر. ولهُ مقالة حسنة في ديوان لبيد. وساعد بَرغرين (Berggren) في تأليف دليلهِ للسيَّاح في الشام ومصر سنة ١٨٤٤. ومن مآثره انَّهُ جمع من تواريخ العرب والترك والفرس ما رووهُ عن قبائل الهونيين (Huns) وعن امور وطنهِ بولونية

وقد تخرَّج على سيانكوفسكي كثيرون من الروسيين اشتهر بينهم «ساڤلياف» (P. Sawelieff) الكاتب الاوَّل لاسرار الجمعيَّة الاثريَّة في بطرسبورج واحد خدمة الآداب الشرقيَّة في بلادهِ. ثم غريغورياف « W. Grigorieff » معلّم التواريخ الشرقيَّة في عاصمة دولتهِ توفي في ٢ كـ٢ ١٨٨٢

وعُرف في ذلك الوقت الكاهن الروسي «باڤسكي» (G. Pawsky) نقل الكتب المقدَّسة من العبرانيَّة الى الروسيَّة وألَّف كتاباً في اصول اللغة العبرانيَّة وكان متضلّعاً بالعاديَّات الشرقيَّة وقد صنف فيها المقالات المستجادة. واشتهر مثلهُ في العبرانيَّة العالم « كاجتان كوسوفتش » (C. Kossowicz) الذي نقل الى الروسيَّة غراماطيق

جزنيوس (Gesenius) العبراني وحشّاه وقد نشر منتخبات عبرانيّة توفي في ٧ شباط ١٨٨٣ .

وفي السنة ١٨٥٤ أُنشئ في كلية بطرسبورج مكتب خصوصي لدرس العلوم الشرقيّة فدُعي الى تدريس العربيّة فيه المسيو نفروتسكي (M. Nawrotsky) الذي وضع في اصول اللغة العربيّة كتاباً يرجع اليهِ علماء الروس حتى يومنا هذا . وكان يسعفهُ في تدريس اللغة العاميّة الشيخ محمّد الطنطاوي المتوفى سنة ١٨٨١ ولهُ في اللهجة المصريّة كتاب معروف

واشهر من هؤلاء المستشرق الروسي الياس نيقولافتش برازين (E. N. Béresine) ولد سنة ١٨١٨ ودرس في كلية قازان اللغات الشرقية ثم ارسلتهُ الكليّة الى بلاد الشرق فطاف اقطار العجم ثم الجزيرة وبرّ الاناضول والشام ومصر وسكن الاستانة مدّة ثم عاد الى بلادهِ مارًّا بالقريم ثمَّ رحل الى سيبارية ودرس آثار التتار وكتب تاريخهم . ثمَّ علّم مدّةً في كلية قازان اللغة التركيّة ولهُ فيها وفي الفارسيّة عدّة تآليف . وكان يعرف اللغة العربيّة ودرس خصوصاً لهجات بلاد الجزيرة وما بين النهرين فوصفها ثمَّ انقطع الى تاريخ الدول الاسلاميّة وكتب فيها كتابات اثريّة وتاريخيّة وجغرافيّة وادبيّة ولغويّة وقد اجاد في وصف شيَع اليزيديين والاسماعيليين واسهب في تعريف نصارى الشام وما بين النهرين . وقد تولى ادارة المطبوعات الشرقيّة في قازان الى وفاتهِ نحو السنة ١٨٧٠

وقد اشبه العلامةَ برازين روسيٌّ آخر سبق لنا ذكرهُ (ج ١ ص ١٢٦) المسيو خانيكوف (M. de Khanikoff) فانهُ رحل ايضاً الى العجم واواسط اسيّة وكتب في آثار بخارى وسمرقند وفي آداب الفرس وشعرائهم . تُوفي سنة ١٨٧٩ (١

ونختم بذكر مستشرق اسوجي لبَّى دعوة ربهِ في هذه الردحة نعني بهِ كرل ترنبرغ (C. J. Tornberg) فانهُ وُلد في ٢٣ ت٢ سنة ١٨٠٧ وتتلمذ لدي ساسي في باريس وعلّم في كليّة اوبسالا اللغة العربيّة . ولهُ تآليف في آثار العرب تستوجب شكر محبي

١) قد استفدنا بعض ما كتبناهُ من مستشرقي روسيّة من احد افاضلها نزيل بيروت هذه الايأم واحد طلبة مكتبنا الشرقي الاديب اغناطيوس كراكتشوفسكي (I. Kratchkowski) فنشكرهُ على ما افاد . وستتمم في الفصول التالية اخبار الذين اشتهروا بعد سنة ١٨٨٠

الشرقيات اخصُّها تاريخ الكامل لابن الاثير طبعهُ في ١٤ مجلدًا واضاف اليهِ ملحوظات مهمَّة وفهارس. ثم تاريخ فاس المسمَّى كتاب الانيس المطرب روض القرطاس للشيخ ابن ابي زُرع نشرهُ ونقلهُ الى اللاتينيَّة. وكذا فعل بمنتخبات من تاريخ ابن خلدون ومن خريدة العجائب لابن الوردي ووصف المخطوطات الشرقية المصونة في مدينة اوبسالا. توفي الدكتور ترنبرغ في لِنْد في ٦ ايلول ١٨٧٧

الفصل الثاني

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

نظر عامّ

(الكليات والمدارس) لم تبلغ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر كلّه ما بلغتهُ في حقبتهِ الاخيرة فانها اصبحت اذ ذاك كالزهرة المتفتحة من زرها المعطّرة الارجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت افنانها ومدَّت في قاع الارض اصولها فلم تَعُد ترهب الانواء او تكترث لزعازع الرياح. وكان الفضل الاكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصاً لبيروت التي اضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب اليها زهرة الشبيبة من انحاء سوريَّة ومصر والعراق فتغذيهم بافاويق العلوم وتعيدهم الى اوطانهم فيرقّون شيئاً فشيئاً عقول مواطنيهم ويوسّعون نطاق التمدُّن بنفوذهم.

ولا مراء انَّ المدارس لعبت الدور الاهمّ في هذا الترقي الشريف فكانت الكلية الامركيَّة بلغت عزَّ قوَّتها تحت نظارة رئيسها النشيط الدكتور دانيال بلس وبهمَّة بعض اساتذتها ولاسيما الدكاترة كرنيليوس ڤان ديك ولويس وجرج بست ويوحنا ورتبات مع مساعدة بعض الوطنيّين. وكان وقتئذٍ تعليم المدرسة باللغة العربية فوضعت عمدة الكلية في العربية او نقلت اليها عددًا وافرًا من التآليف العلميَّة التي ادَّت خدماً موقَّتة لنشر العلوم في الشام وغيرها الى ان عدلت المدرسة عن العربيَّة الى الانكليزيَّة لمَّا تحقّقت ان تلك التآليف تحتاج في كل سنة الى اصلاح وتحسين بتقدُّم

العلوم فلا تفي بالمرام بعد زمن قليل ما لم يكرَّر طبعها مع وفرة نفقاتها

وكانت الكلية اليسوعيَّة مع حداثة نشأتها تباري رصيفتها الاميركيَّة في نشر المعارف الدينيَّة والدنيويَّة. وكان الاحبار الرومانيُّون يعلقون عليها الآمال الطيبة في اعلاء منار الدين والعلم بين الطوائف الشرقية فمنحها السعيد الذكر بيوس التاسع سنة ١٨٧٤ اسم كليَّة وقام من بعدهِ خلفهُ المغبوط لاون الثالث عشر فخصها سنة ١٨٨١ بامتيازات اخرى وخصوصاً ان تعطي طلبتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحقّ القانوني والفلسفة

وكانت الدولة الفرنسويَّة في تلك الاثناء ساعيةً في تعزيز مدارسها في الشرق فرأت في كلية القديس يوسف محققاً لغاياتها ضامناً لحسن نياتها فمنحت لطلبتها الاجازة كطالبي مدارسها في فرنسة. ثمَّ وكلت الى روسائها ان يلحقوا بالكلية مكتباً طبياً. فتمَّ ذلك فعلاً سنة ١٨٨٣ وأُنشئت الدروس الطبية بكل فروعها التي تبلغ الاثني عشر لكلّ منها معلّمها الاختصاصي. فزادت هذه الانعامات كليَّتنا نشاطاً وعزيمةً ورقَّتها الى درجةٍ ما كانت لتطمع فيها الآمال. وكان للدروس العربية في ذاك الترقي حظُّها من الاهتمام كما اثبتنا الامر في خطبة القيناها على الحضور في حفلة توزيع الجوائز سنة ١٨٩٨ (المشرق ١ [١٨٩٨] : ٦٩٩) فخصَّصنا فيها الكلام عن تدريس العربية في كليتنا وقد كرَّرنا طبعها في السنة الحاليَّة ١٩٢٥ بنسبة وقوع يوبيل الكليَّة الذهبي وعدَّدنا تآليف نيف ومائتين من تلامذتها بينهم الكتبة والخطباء والشعراء والصحافيون واللغويُّون

﴿المدارس الكاثوليكية﴾ وكانت المدارس الثانويَّة بعضها للمرسلين وبعضها للوطنيين تركض جيادها في ذلك المضمار. فمنها ما كان سبق انشاؤهُ تلك الحقبة فمرَّ لنا ذكرهُ ومنها ما استجدَّ افتتاحهُ كمدارس «الفرير» في بيروت والقدس وحيفا ويافا وطرابلس ومدرسة الآباء الكبوشيين في صليما والآباء الكرمليين في القُبيَّات والآباء اليسوعيين في صيداء وحمص وسيّدة القلعة. واعظم منها مدرسة القديسة حنة الاكليريكيَّة المعروفة بالصلاحية التي أسَّسها سنة ١٨٨٢ نيافة الكردينال لاڤيجري وخصَّها بتهذيب طلبة الكهنوت من طائفة الروم الكاثوليك تحت ادارة الآباء البيض (اطلب في المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٨٦٥ مقالة المرحوم الخوري نقولا دهَّان في تاريخ

تلك المدرسة واعمالها) . وتعدَّدت المدارس الابتدائيَّة للذكور والاناث فحظيت بها اكثر قرى لبنان وسهول البقاع ونواحي حوران بهمَّة المرسلين اليسوعيين واللعازريين فضلًا عمَّا عُني بانشائهِ المرسلون البروتستانت في انحاء شتى

امَّا المدارس الطائفية فأُنشئ منها للدروس الثانويَّة مدرسة غزير المارونيـة كان الساعي بها الخوري لويس زوين سنة ١٨٨٠ ومدرسة قرنة شهوان المعروفة باللبنانيَّة من اثار همة السيد يوسف الزغبي سنة ١٨٨٣ . وفتح الروم الكاثوليـك في دمشق مدرستهم البطريركية التي اقبل عليها الاحداث لحسن نظامها . وكذلـك مدرستهم الاسقفيَّة في زحلة اهتمَّ بتدبيرها كهنة افاضـل اخصُّهم الخوري فيلبُّوس غير والخوري بطرس الجريجري قبل انتخابهِ الى كرسيّ بانياس . وفي السنة ١٨٩٨ اقامت الرهبانيَّة الباسيليَّة الخنَّاويَّة مدرستها الشرقيَّة وقـد نعتَتها بالكليَّة فكانت الى ايام الحرب الكونيَّة من المعاهد التي تزين مدينة زحلة . وانشأ الروم الكاثوليك بعد ذلك مدرسة حلب التي يدبرها عدَّة كهنة من تلامذة القديسة حنة تحت نظارة راعيها الغيور السيد ديمتريوس القاضي قبل ارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة وزيد ايضاً بمساعي الطوائف الشرقيَّة عدد المدارس الابتدائيَّة في عدَّة امكنة فاصبحت بذلك اثمار العلوم دانيـة القطوف حتى بين القرويين والفقراء

﴿المدارس غير الكاثوليكية﴾ وممَّا نعرفهُ من امور المدارس غير الكاثوليكية انشاء الروم الارثذكس لمدرسة كفتين سنة ١٨٨٢ فتقلَّبت عليها الاحوال بين تقدُّم وتأخُّر حتى أُقفلت . ومثلها مدرستهم الاكليريكيَّة في دير البلمند التي اصابت بعض النجاح مدَّةً . وانشأت السيـدة املي سرسق مدرسة وطنيَّة في الثغر لبنات طائفتهـا دعتها زهرة الاحسان عام ١٨٨٠ . وقـد وجد الروم الارثذكس مساعداً كبيراً في الدولة الروسية لتوفير مدارسهم وحسن تنظيمها . فـانَّ شركة فلسطين المسكوبيَّة اخذت بانشاء عدة مدارس في الشام وفلسطين كانت تنفق عليها المبالغ الوافرة . وفتح الاسرائيليون مدرسة في بيروت ترأسها زكي افندي كوهن سنـة ١٨٧٥ فخدمت طائفة اليهود نحو ٢٥ عاماً ثم أُبطلت وقامت بدلًا منها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

كذلك انشأت الحكومة للمسلمين في بيروت المكتب الاعدادي سنة ١٣٠٩ (١٨٨٥) وقابلتها المدرسة الرشيديَّة العسكريَّة ثم انشأ بعض الاهالي اصحاب الهمة

مدارس اهلية اخصّها المدرسة العثمانية لصاحبها الشهير ورئيسها الشيخ احمد افندي عبّاس الازهريّ سنة ١٣١٣ (١٨٩٧) والمدرسة الوطنيّة والمدرسة العلمية وهـذه المدارس ارقى نوعاً من المدارس الابتدائية فتزيد غالباً على المبادئ واصول الدين واللغة درس اللغتين التركيـة والفرنسويّة او الانكليزيّة مع اصول الحساب والجغرافية ومسك الدفاتر. ثمّ تألّفت لجنة التعليم الاسلاميّة سنة ١٣١٧ (١٨٩٩) كان يرئسها الشيخ عبد الرحمان الحوت ففتحت مدرستين الواحدة للذكور والاخرى للاناث

﴿المطابع والمطبوعات﴾ وكانت المطـابع السوريّة في هذه البرهـة سيّارة الآداب تجري على حرّيتها دون ان يضغط عليهـا المراقبون ويقصّوا اجنحة اطيـار الافكار. فكان الصحـافيّون يعلنون الاخبار الجـارية ويعربون عن آرائهم في اصلاح الامور وتلافي الشرور لا تأخذهم في ذلك لومة لائم وفي تلك الاثناء اتّسعت مجلة المقتطف في ابحاثها وكبر حجمها بعد الغاء مجلة الجنان لكنها وجدت في طريقها عثرات بمقاومة بعض الحسّاد فانتقلت الى مصر سنة ١٨٨٦ وجرت على سَنَنهـا الى السنة الجارية ١٩٢٥ وهي السنة الخمسون من عمرها. وأُنشئت بعد ذلك مجلة الطبيب كان يحرّرها بشارة زلزل والشيخ ابراهيم اليازجي ولم يطل عمرها على ثلاث سنوات. فقامت بدلًا منها مجلة أُخرى باسمها حرّرها المرحوم الدكتور اسكندر البـارودي. ونشر الروم الارثذكس مجلتهم الهديّة خمس سنين وظهرت في لبنان مجلّتا الشفاء والصفـا فخدمتا الآداب بضعة اعوام. وكانت مجلتنا المشرق آخر ما بزغ في ختام القرن التاسع عشر من المجلّات في بيروت ظهرت في غرّة السنة ١٨٩٨ وغايتها خدمة الدين والعلوم والآداب وخصوصاً نشر الآثار الشرقيّة. نفع الله بها اهل الوطن ومحبي الدين والادب. وكذلك بوشر بعدّة جرائد منها لسان الحال ظهرت سنة ١٨٧٧ ثم جريدة المصباح كان ينشئها المرحوم نقولا النقّاش ثم جريدة التقدّم كان صاحب امتيازها يوسف الشلفون. وجريدة الاحوال لصاحبها الاديب خليل افندي البدوي. وأُنشئت الصحافة اللبنانيّة فظهرت في بيت الدين جريدة لبنان الرسميّة ثم الروضة (١٨٩٤) ثم لبنان لصـاحب امتيازها جناب ابراهيم بك الاسود ثم الارز في جونية لطيّبي الذكر الشيخين فيليب وفريد الخازن

وطُبعت عدّة مطبوعات مفيدة منها علميّة ومنها تاريخيّة ومنهـا ادبيّة. وكانت

مطبعتنا الكاثوليكيَّة في مقدَّمة المطابع فنشرت بهمَّة مديرها وآباء كليتنا مطبوعات جليلة لا تزال معدودة من خيار المنشورات العصريَّة . وممَّا وجَّهت اليهِ عنايتها الكتب المدرسية لتكون في ايدي الاحداث قدوةً ودليلًا

على انَّ ادارة المعارف في الاستانة اخذت تنشئ القوانين الصارمة لتقييد حرّية المطبوعات ولم تزل تضايقها شيئاً بعد شيء حتى بلغت في ضغطها حدًّا لا يكاد يتصوَّره غير الذين قاسوا مضضهُ . ولعلَّ ذلك الضنك الذي بلغ الروحَ التراقي كان من اقوى اسباب الانقلاب العثماني . ومن المطبوعات الجديرة بالذكر التي صدرت في ذلك الوقت في بيروت دائرة المعارف باشر بها المعلم بطرس البستاني ثم خلفهُ في نشرها اولادهُ وانسباؤهُ آخرهم الطيّب الاثر سليمان البستاني ولم يتمَّ منها الَّا نصفها . وكذلك طُبع ديوان الاخطل وديوان الخنساء وديوان ابي العتاهية واقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني وفرائد اللآل في مجمع الامثال للشيخ ابراهيم الاحدب وتاريخ ابن العبري وشرح المتنبي للشيخ ابراهيم اليازجي ومجموع مجاني الادب مع شروحه وكتاب الف ليلة وليلة منقَّحاً وكتب أُخرى عديدة جعلت لبيروت بين المستشرقين سمعةً طيبةً حتى ضربوا المثل بحسن مطبوعاتها - وكان الحظ الاوفى في ذلك للمسيحيين وخصوصاً للكاثوليك

﴿الجمعيات الادبية﴾ وممَّا يحيي الآداب ويبعث همم ذويها الجمعيات الادبية وقد ذكرنا سابقاً ما أُنشئ منها في بيروت على انَّ تلك الجمعيات الادبية انتقض حبلها وتضعضعت اركانها اذ تصدَّت لها الحكومة المحليَّة وكانت لا تزال ترصدها وتتجسَّس بواطن اصحابها وتسيء الظنَّ بهم فرأوا في شتاتهم خيرًا لهم . وقد سعى مع ذلك الادباء بانشاء نوادي ادبية منها الدائرة العلمية المارونية التي عقد اصحابها من اساتذة الحكمة بعض جلسات في السنتين ١٨٨١ و١٨٨٢ ونشرت نبذاً من اعمالها . ولم تطل كذلك حياة دائرة ثانية انتسبت الى القديس جرجس دبَّرها الاب يوسف برنيه اليسوعي ثلاث سنوات واتت ببعض النتائج الحسنة (١٨٨٣—١٨٨٦) . وأسس الاميركان جمعية اخرى مختلطة دعوها بشمس البرّ تلتئم حتى اليوم في اوقات معلومة وتُتلى فيها الخطب في مواضيع شتى تُستشفُّ من وراء بعضها حرّية الافكار

﴿المكاتب﴾ وقد ساعد ايضاً على نشر الآداب في جهات الشام وبالاخصّ في

بيروت انشاء الكتبيين للمكاتب فانَّ باعة الكتب قبل السنة ١٨٨٠ كانوا قليلين لا يزيدون على ثلاثة او اربعة بين نصارى ومسلمين ففُتحت عدَّة مكاتب حتى تجاوز عددها العشرين وكان بين الكتبيين رجال ذوو نشاط كانوا يجلبون المطبوعات من بغداد والعجم والهند ومن اوربَّة. ثم خمدت تلك الحركة بعد ان تشدَّدت الحكومة في مراقبتها للمطبوعات فلم تكتفِ بان تمنع الكتب المخالفة لسياسة الدولة بل حجزت على مطبوعات جليلة لمجرَّد ما توهَّمتهُ فيها من المحظورات حتى لم تسمح بادخال تاريخ ابي الفداء والعقد الفريد لابن عبد ربه . وقد رأينا من مراقبة المأمورين عجائب وغرائب لو اثبتناها هنا لعُدَّت من اساطير الاوَّلين او اقاصيص الامم الهمجيَّة

ومع ما نفعتْ تلك المكاتب كنَّا نحضّ ذوي الامر على انشاء خزائن عمومية تودع فيها اخصّ المطبوعات الشرقيَّة ليقتبس من انوارها المشتغلون بالآداب كما هو جارٍ في معظم البلاد المتمدّنة لكننا كنَّا ننفخ في رماد ونضرب على حديد بارد. والى يومنا هذا نتمنَّى بفروغ الصبر ان تصرف بلديَّتنا نظرها الى هذا الامر النافع وقد اخذت تلوح اليوم بارقة امل لتحقيق رغائبنا فلقي مطلوبنا اذناً سامعة

على انَّ بعض الجمعيَّات استدركت الامر وبذلت المال في تجهيز تلك الخزائن . فانَّ المدرسة الامركيَّة عنيت بفتح مكتبة في معاهد كليَّتها يبلغ عدد كتبها نحو عشرة الاف بينها نحو ثلاثة آلاف كتاب عربي بين مطبوع ومخطوط وهي ترخّص لادباء البلدة فضلًا عن ذويها بمطالعة تلك المصنّفات. وكذلك اهتمَّت احدى السيدات الامركيَّة بانشاء غرفة للقراءة تُعرَض فيها الجرائد على القرَّاء وتتضمَّن مع هذا عددًا وافرًا من الكتب العربية وخصوصاً التآليف الدينيَّة البروتستانيَّة

وكان روساء مدرستنا الكليَّة وجَّهوا جلّ اهتمامهم لانشاء مكتبة واسعة تشتمل على اخصّ المآثر الشرقيَّة فوكلوا الامر الى بعض رهبانهم فانشئت سنة ١٨٨٠ المكتبة الشرقيَّة التي لم تزل تمتدّ وتتَّسع حتى ينيف اليوم عدد كتبها على الخمسة والثلاثين الفاً. بينها مجموع المجلّات الاسيويَّة واخطر التآليف واعزّها في كل ضرب من العلوم الشرقيَّة. هذا فضلًا عن ثلثة آلاف كتاب مخطوط بانيف في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والتركيَّة والفارسيَّة مع آثار قليلة في اليونانيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة. فاذا

أُضيف الى هذه الخزانة ما تحتويهِ المكتبة الغربيَّة والمكتبة الطبيَّة والمكتبة المدرسيَّة وغيرها بلغ عدد كتب كليتنا نحو مئة وثلثين الفاً. وكثيراً ما تلطَّف الرؤساء فسمحوا لاهل الادب من الوطنيين والاجانب على اختلاف الاديان ان ينتفعوا من تلك الكنوز الادبيَّة ويقطفوا ما شاؤوا من تلك الثمار الجنيَّة. ولم يريدوا ان يُحرم طلبتهم الاحداث من مراجعة كتب الآداب فقرَّبوا منهم منافعها وخصُّوا بهم مكتبة عربية يجدون فيها ما يهذّب اخلاقهم وينير عقولهم ويفكّه ارواحهم

ومما يستحقّ الذكر بين مكاتب الشام خارجاً عن بيروت مكتبة الملك الظاهر في دمشق جُمعت فيها على عهد مدحت باشا الكتب المتفرقة الموقوفة على الجوامع والمدارس فاضحت من اخصّ المعاهد الادبية وهي تحتوي نحو سبعة آلاف كتاب يغلب عليها الكتب الخطيَّة النفيسة

﴿ فن التمثيل ﴾ ومما يعود فضلهُ الى بيروت خصوصاً في تعزيز الآداب العربيَّة فنُّ التمثيل وقد سبق لنا كيفيَّة ظهورهِ على يد المرحوم مارون نقَّاش وما نجم عنهُ من المضرَّات بسوء استعمالهِ في المراسح العمومية حيث مُثلت رواياتٌ مخلَّة بالآداب. الَّا انَّ هذا الفن الجليل عاد الى شرف مقامهِ في المدارس المسيحية. وكانت كليتنا اوَّل من سبق الى تشخيص الروايات التمثيليَّة العربية سنة ١٨٨٢ فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقيَّة ليرسخ في قلوب طلبتهم مع حبّ الوطن ذكر تواريخ بلادهم. فمن جملة ما مثَّلوا حكم هيرودس على ولديهِ في بيروت واستشهاد القديس جرجس فيها ورواية صدقيا ثم داود ويوناثان. ومما اقتبسوهُ من تاريخ العرب رواية ابن السموأل ورواية المهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة واخوة الخنساء. وكان للطلبة في تأليف بعض هذه الروايات سهمٌ وافٍ الَّا انَّ معظمها بقلم الآباء او بعض اساتذة الكلية

﴿ المحافل الادبية ﴾ وكما مُثلت المآسي والروايات الفاجعة او الفكاهيَّة كذلك كانت تُعقد في كليتنا محافل ادبية يحضرها اعيان البلد فيبحث الطلبة في بعض المشاكل التاريخيَّة او المسائل اللغويَّة والادبية فياتي كل منهم بما جادت بهِ قريحتهُ نظماً او نثراً حتى يستوفوا الموضوع حقَّهُ ويُبرزوا محاسنهُ من كل وجه. فدارت بعض هذه المجالس على مفاخر بيروت ووصف الآداب العربية وتنصر النعمان ومآثر

القديسين يوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي واعمال الرشيد وبني برمك والمامون وعصره . وكان وجوه البلدة يحضرون تلك الحفلات بملء الرغبة والشوق . واخذت بقية المدارس تجري على هذه الآثار لاسيما المدارس الكاثوليكية كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة بهمّة بعض اساتذتها الأدباء وخصوصاً عبد الله افندي البستاني وتلميذنا المرحوم نجيب حبيقة

﴿ الاداب العربية في مصر ﴾ هذه لمعةٌ من احوال الآداب العربية في بلاد الشام في الخُمس الاخير من القرن التاسع عشر . وكانت مصر بعد تقدُّمها على الشام في النهضة الادبية اصابها بعض الخمول رغماً عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ووفرة مطبوعاتها العربية وهمّة خديويّها محمّد علي باشا ووزير معارفها الهمام علي باشا مبارك . ولعلّ سبب هذا الخمول انما كان انصراف نظر اهلها الى العلوم الاجنبية فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الاوربية الى العربية فيدرّسونها في مدارسهم فيشغلهم الامر عن الاهتمام بالآداب العربية

ثمَّ حدثت الثورة العرابيَّة سنة ١٨٨١ واحتلّت الجيوش الانكليزية القطر المصري فكان الاحتلال مضرًّا للغة العربية من جانب ومفيدًا من جانب آخر اما ضرره فقد حصل باتخاذ اللغات الاجنبية كلغات التدريس فحُرمت العربية من التآليف المنقولة من غيرها اليها واهمل كثيرون درسها . الّا ان مصر اعتاضت عن هذه الخسارة بفوائد اخرى كتنظيم الدروس العربية في مدارسها وادخال تلك اللغة في جملة الدروس الثانويَّة لنوال شهادة الحكومة . وزاد عدد المدارس الاجنبية التي لم تكن لتغضي عن درس العربية كمدرسة العائلة المقدّسة في القاهرة للآباء اليسوعيين ومدرستهم في الاسكندريَّة وكمدارس الآباء الافريقيين في طنطا وزقازيق ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحية

وكذلك المدارس الوطنية زادت عددًا ونموًّا في القاهرة وبقية بَنادر القطر المصري حتى جُعل لها ديوان يهتمّ بشؤونها دُعي ديوان المدارس ثم عُرف بديوان المعارف العمومية . وفي هذا الوقت حُوّرت طرق التعليم في بعض المدارس المنشأة سابقاً لاسيما مدرسة الازهر التي نالها بعض الاصلاح بدخول فروع جديدة من التعليم كالجغرافية والتاريخ لكنها لم تزل بعيدة عن مرتبة الكليات الاوربية

وفتحت اذ ذاك بعض المكاتب الجامعة لمنفعة العموم . وكان اخصّها المكتبة الخديويّة التي أُنشئت في عهد محمّد علي الّا انّها لم تنتظم ولم تحفل بالمطبوعات والمخطوطات النادرة الّا بعد ذلك بهمّة نظّارها الاوربيين كالمرحوم الدكتور ڤولرس والدكتور مورتس

ونشأت عقيب الاحتلال الانكليزي الحياة السياسية بما مُنحتهُ المطبوعات من الحرّيّة واتّسعت دوائر الصحافة خصوصاً فبلغ عدد الجرائد والمجلّات العربية في مصر ما يُربي على المئة . وكان للسوريين في هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان اكثر مديري تلك المنشورات ومنشئيها من اهل سوريّة وزاد عددهم في وادي النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى اناف على ثلثي الكتبة المصريين فتقدّموا على غيرهم بما عُرفوا بهِ من النشاط والذكاء والتفنّن في الكتابة . والحقّ يقال ان اكبر مجلّات القطر المصري في تلك الاوان كالمنار والمقتطف والضياء والهلال واعظم جرائدهِ كالمقطّم والاهرام والعمران كان يحرّرها السوريّون

وممّا اكتسبتهُ مصر من الاحتلال الانكليزي لنشر آدابها توفّر المطابع وتحسن مادّيّاتها فأمكن المصريّين لو شاؤوا ان يطبعوا الكتب طبعاً متقناً كمطبوعات الشام . وقد استعاروا من مسابكها حروفهم . فنشرت اذ ذاك في وادي النيل معاجم جليلة كلسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الاثير . وكتب لسانية خطيرة ككتاب سيبويه ومخصّص ابن سيده . وكتب تاريخية اخصّها ما نشرتهُ المكتبة الخديويّة كتاريخ ابن اياس وتاريخ ابن دقاق وتاريخ ابن جيعان وتاريخ الفيّوم . ومثلها تاريخ السخاوي وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة . وكتب ادبية كخزانة الادب وحلبة الكميت للنواجي وبعض دواوين وتآليف أُخرى . ومع ما اجدت هذه المطبوعات المصريّة من المنافع للعلم لا يسعنا السكوت عن نقائص كثيرٍ منها كسقم طبعها وكثرة اغلاطها وقلّة ضبطها بالشكل وخلوّها من المقدّمات المفيدة والشروح والملحوظات والروايات والفهارس . وربّما عمد اصحابها الى مطبوعات المستشرقين فنسخوها بحرفها ومسخوها بالتصحيف وجرّدوها عن محاسنها وقد بيّنّا كل ذلك في نظر سابق انتقدنا فيهِ مطبوعات مصر (في المشرق ١١ : ٩٣٠–٩٤٠) فشكرنا عليهِ أُولو الذوق ومحبّو الآداب

اما الجمعيات الادبية في مصر فسعى بانشائها بعض ذوي الفضل والعلم من الفرنسويين وغيرهم فخدموا بها القطر المصري خدماً صادقة كما تشهد على ذلك منشوراتهم المطبوعة في كل عام وكان بعض الوطنيين من جلة القوم يشاركونهم في الاعمال. وقد اراد الوطنيُّون غير مرَّة ان يجمعوا قواهم بالانضمام ويعقدوا جمعية علمية فلم ينجحوا وكان عقدُهم ينفرط بعد قليل لتباين الاغراض

﴿الاداب العربية في انحاء الشرق﴾ امَّا الاقطار الخارجة عن الشام ومصر فكانت حركة آدابها خفيفةً لم يشتهر في نهضتها الَّا الافراد. ففي هذه المدة ابرزت مطبعة الجوائب مطبوعات مفيدة حسنة الطبع كديوان البحتري وادب الدنيا والدين وشرح مقصورة ابن دريد ورسائل فلسفية وادبية متعدّدة لابن سينا والثعالبي وللضبي وغيرهم. وادَّى المرسلون الدومنيكان في الموصل بمطبوعاتهم الجديدة ومدارسهم خدماً تُذكر فتُشكر. وكذلك الآباء الكرمليُّون في بغداد عزَّزوا مدارسهم فزاد اقبال الناشئة العراقية عليها. وقصَّ آثارَهم الكلدان الكاثوليك فجارَوهم بتهذيب الاحداث

وفي ذاك العهد دخل فنّ الطباعة الى مكَّة فأُنشئت مطبعتها الاميريَّة واخصُّ ما طبع فيها الفتوحات الاسلامية للسيد احمد زيني دحلان وبعض الدواوين

ونُشرت في جهات العجم عدَّة منشورات بعضها تاريخية كمقاتل الطالبيّين لابي فرج الاصبهاني وروضات الجنَّات في احوال العلماء والسادات. وبعضها ادبية ولغويَّة واغلبها دينيَّة واكثر هذه المطبوعات سيئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها. وربَّما كان طبعها على حجر في اسوإ صورة. ومثلها سقماً وسخافةً مطبوعات الهند في لوكنو وبمباي فانَّ مطبوعات كثيرة ظهرت هناك كشفاء ابن سينا وقواعد العقائد للطوسيّ وشرح الهداية الاثيريَّة لكنها لا تستحقُّ اعتبارًا لسوء طبعها. واحسن منها رسائل اخوان الصفا وديوان عليّ بن ابي طالب وديوان الموسوي وديوان علي بن مقرَّب وديوان شرف الدين الثّري وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. وللحكومة الانكليزيَّة في كلكوتا مطبعة اصدرت عدَّة تآليف مفيدة أُتقن طبعها وقد مرَّ لنا ذكرها

﴿الاداب العربية في بلاد اوربة﴾ امَّا المدارس العربيَّة في اوربَة فانَّها نالت

اكبر حظوى بهمّة علمائها ومدارسها الكليّة ومكاتبها الشرقيّة نخصّ منها بالـذكر المكتب الشرقي الذي انشأهُ الالمان في عاصمة برلين لدرس لغات الشرق وبالخصوص لتعليم العربية

ومما افاد الدروس الشرقيّة كثيراً المؤتمرات الدولية التي كانت تُعقد كل سنتين او ثلاث سنين في عواصم البلاد وكان اوّل تلك الاجتماعات العموميّة في باريس سنة ١٨٧٣ ثم في لنـدن (١٨٧٤) ثم بطرسبورج (١٨٧٦) ثم فيرنزة (١٨٧٧) ثم برلين (١٨٨١) ثم ليدن (١٨٨٣) ثم ڤينّا (١٨٨٦). الى ان عُقد المؤتمر الخامس عشر العام ١٩٠٩ في كوپنهاغن (اطلب المشرق ١١: ٧٤٦). وقد أُلقيت في هذه المؤتمرات عدّة دروس وابحاث كانت تُجمع عادةً فتطبع ومجموعها اليوم بمثابة مكتبة واسعة

وزادت المطبوعات العربية في هذه المدّة زيادة عظيمة فانّ المجـلات الاسيويّة القديمة وفّرت قسماً اكبر من صحائفها للعلوم العربيّة ونشأت مجلات جديـدة في عدّة بلاد للابحاث الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً كالمجلة الاسيويّة النمسويّة (WZKM) والمجلة الاسيويّة الايطاليّة وكمجلة الشرق المسيحي (ROC) واصداء الشرق (EO)

وفي المدّة ذاتها طُبعت قوائم موسّعة للآثار العربية التي تحفظ في خزائن الـدول حتى لم يكد يبقى بينها مكتبة لم توصف مخطوطاتها ونوادرها وصفاً مستوفياً

أمّا الآثار القديمة التي صدرت بالطبع فكانت تبلغ المئات في السنة. وقد امتازت بمطبوعاتها العربية مطبعة ليدن حيث نُشرت تآليف جغرافية وتاريخية وادبية تُعد من أشرف المطبوعات واعظمها فائدةً كمجموع جغرافيي العرب الذي عُني بنشرهِ فقيـد الآداب المأسوف عليهِ الاستـاذ دي غوي (de Goeje) وكتاريخ الطبري الكبير وفتح البلدان للبلاذري ومفتـاح العلوم للخوارزميّ والاخبـار الطوال للدينوري ورسائل الجاحظ وجزيرة العرب للهمداني تزين هذه المطبوعات ما يُقدَّم عليها من الفوائد التاريخيّة وتُذيَّل بالروايات والملحوظات الدقيقة وتُختم بالفهـارس الممتعة. وكانت بقية الدول تتنافس في نشر كنوز اخرى دفينة. فبرز في المانية كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني وكتاب تاريخ الهند لهُ. وظهر في باريس كتـاب مروج الذهب للمسعودي واخبار ملوك الفرس للثعالبي وكتاب البدء والتاريخ للمطهَّر ابن طاهر المقدسيّ. وظهر في روميـة كتاب دياطاسرون طاطانيوس اي الاناجيل

لاربعة التي جمعها هذا الكاتب في القرن الثاني للمسيح فنُقد اصلها ووُجدت ترجمتها العربية . وهناك طُبع ديوان ابن حمديس الصقلي وقسم من جغرافية الادريسي

﴿ الآداب العربية في اميركة ﴾ وكذلك اخذ الامير كيُون يوجّهون نظرهم الى الشرق فابرزوا مجلّة اسيويّة بلغ اليوم عدد مجلّداتها فوق الاربعين . ولمّا هاجر السوريون الى العالم الجديد كان دخولهم الى تلك البلاد كبعثة أثارت في قلوب البعض الحميّة لدرس اللغات الشرقيّة . وجعل السوريّون ينشرون هناك الجرائد فبرز منها في العشر الاخير من القرن التاسع عشر جريدة كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢ . ثم طُبعت في فيلادلفيا جريدة الهدى لصاحبها نعوم افندي مكرزل سنة ١٨٩٨ وقد نقلها بعد مدّة الى نيورك . واصدر نجيب افندي دياب جريدة مرآة الغرب في السنة عينها ونشر في سان بولو الاديب شكري خوري جريدة ابي الهول . ثم تعدّدت بعد ذلك الجرائد في اوائل القرن العشرين في اميركا الشماليّة والجنوبيّة حتى كادت تبلغ الخمسين . امّا المطبوعات غير الجرائد فكانت قليلة الجدوى مدارها غالباً على القصص والروايات الخياليّة

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر

﴿ ادباء الشام ﴾ كان التقدُّم بين المسلمين في رفع لواء الآداب في ختام القرن التاسع عشر لاهل الشام فقد اشتهر بينهم بعض الافراد الذين لا يزال اسمهم الى يومنا شريفاً مكرَّماً فنذكرهم اقراراً بفضلهم

﴿ الشيخ يوسف الاسير ﴾ ولد الشيخ يوسف ابن السيد عبد القادر الحسيني الاسير في صيداء سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) فتلقى في وطنهِ مبادئ العلوم ثم انتقل الى دمشق لمواصلة دروسه ثم رحل الى مصر واخذ العلوم العقليّة والنقليّة عن علماء الازهر . وبعد سبع سنين عاد الى الشام وسكن في كثير من مدنها يتعاطى العلوم الفقهيّة وتولى في الاستانة رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف لكنهُ آثر العود الى وطنه فتفرَّغ للتأليف في الفرائض والابحاث الفقهيّة وخرَّج في الفقه كثيرين من الاحداث وعلَّم مدّة في مدرسة الحكمة وكان زكي الفؤاد فصيح اللسان يجيد النثر والنظم

ومن آثارهِ الادبية التي خلّفها شرح اطواق الذهب للزمخشري وكانت وفاتهُ سنة ١٣٠٧ ٢ كانون الاوَّل سنة ١٨٨٩ وللشيخ يوسف الاسير موشَّحات وقصائد متفرّقة وابيات حكمية جمعها في ديوانهِ الروض الاريض الذي طبع في بيروت سنة ١٣٠٦.

ومن حسن اقواله ما وصف بهِ الشعر الجيد وناظمهُ :

خليليَّ كم قد جدَّ في الناس شاعرٌ … وليس لهُ بيتٌ من الشعر عامرُ
واحسنُ شعرٍ ما تراهُ مهذَّبًا … بليغًا بهِ يلتذُّ بادٍ وحاضرُ
بهِ تطرب الاسماع من كل مُنشدٍ … وتجري بهِ الامثالُ وهي سوائرُ
ولم يرَ غبنًا مَن شراهُ بمالهِ … وفيهِ بلا شكّ تُسرُّ السرائرُ

ولهُ في وصف لبنان بعد ان فاز بالدستور بعد مذابح سنة ١٨٦٠ :

نرى لبنان اهلًا للتهاني … فقد نال الامانَ مع الاماني
واضحى جنَّةً من حلَّ فيهِ … قريرَ العين مسرور الجنان
وجلَّت للعلوم بهِ دروسٌ … وكانت في الدروس وفي التواني
وللاخبار قد وُجدت سلوك … كذلك طبع ذي الصحف الحسان
ومَن وردَ الشريعة فيهِ يصدرْ … بحقٍّ كاملٍ في ذا الاوانِ
وذاك بهمَّة الشهم المسمَّى … بداؤدٍ سليمان الزمانِ
عظيم الشأن ذي الهمم العوالي … وذي الرأي المصيب بكل شانِ
سديد الحزم ممدوح المعالي … شديد العزم محمود المعاني

ومن مدحهِ قولهُ في اسرة بني العطَّار في دمشق :

يا بني العطَّار يا عمارَ دمشقٍ … قد ملكتم بمزيد اللطف رقّي
فاحَ في الكون شذاكم فائقًا … طيبَ وَرْدِ الروض في نشرٍ ونشقِ
أسماءُ المجد سامٍ فرعُكم … ولكم اصل نما من خير عرقِ
طفلُكم نجمٌ وبدرٌ كهلكم … ثم ان الشيخ منكم شمسُ أُفقِ
يا بدور الشام يا اهل الملا … ضوءكم لاح بغربٍ وبشرقِ
سدتمُ الناس بعلم وتُقًى … وبمعروفٍ واحسانٍ ورفقِ
فاذا رام مجاراةً لكم … ذو اعتلاء فلكم أقصاب سبقِ

حبَّذا الأمرة انتم في الورى ... يا سَراةً احرزوا كل ترقّي
انا لا ابرح اشدو باسمكم ... حاكياً في ورَقي تغريد وُرْقِ
زادكم ربي علوًّا وهُدى ... مع رغيد العيش في اوسع رزقِ

وافتتح رثاء شريف بقوله :

انما موتتي كإطلاق أسري ... حيث اني لرحمة الله أمري
انَّ اكدار هذه الدار يتلو ... بعضُها البعضَ كأمواج بحرِ
ألِفَت انفسُ البريَّة اجسا ... مًا ودنيا قد فارقتها بجبْرِ
همُ فيها مثل الاجنَّة في الار ... حام يُستخرجون منها بقسْرِ
وهي كالفُلْك قد أُعدَّ لنقلٍ ... او هي الجسر قد أُعدَّ لعبرِ
أنِس الغافلون فيها وأُنسوا ... انها لا تكون دارَ مقرِّ
لو درى الغافلون فيها بقاءً ... ايقنوا انهم باعظم خسرِ
هي دار السلام ما تشتهي الانفسُ فيها من كل خيرٍ وبرِّ
لا يَحِلُّ الانسانُ فيها مقاماً ... اذ تخلَّت من كل شرٍّ وضرِّ

وللشيخ يوسف مراسلات نثريَّة وشعريَّة مع ادباء زمانه تجدها في تآليفهم كالشيخ ابراهيم الاحدب واحمد افندي الشدياق . وقد مدحهُ الشيخ ناصيف بقصيدة يقول فيها :

اسيرَ الحقّ في حُكْمٍ تساوى ... فما يُدرَى الحبيبُ من البغيضِ
يقلّبُ في المسائل كلَّ طَرْفٍ ... ويَلقى الناسَ بالطَّرْفِ الغضيضِ
إمام الشعر يبتدعُ القوافي ... ويأمن دونها حولَ القريضِ
يقلُّ لهُ الثناء ولو اخذنا ... قوافيهُ من الروضِ الاريضِ

ولمَّا توفي قال فيهِ الشعراء مراثي عديدة جمعها الشيخ قاسم الكستي في مجموع نُشر بالطبع

﴿الشيخ ابراهيم الاحدب﴾ كان مولدهُ في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وطلب العلوم اللسانيَّة والادبيَّة منذ نعومة اظفاره فبرع فيها . ثم عكف على التدريس في طرابلس وبيروت فعُدَّ فيها من نوابغ عصرهِ فتألَّب اليهِ الادباء

واقبل عليهِ الاعيان والحكام وقلَّدوهُ المناصب الخطيرة ككتابة الاحكام ورئاسة الكتابة . ثمَّ تعين كرئيس لكتّاب محكمة بيروت فتعاطى شؤونها نيفاً وثلاثين سنة . وكان احد اعضاء مجلس المعارف في الثغر فامتاز فيهِ بسعة آدابهِ وحسن ذوقهِ . وقد حرَّر مدَّة ثمرات الفنون فاودعها كثيرًا من آثار آدابهِ . وكانت وفاتهُ في رجب سنة ١٣٠٨ (١٨٩١) . وقد تبلغ تآليفهُ الادبية نحو العشرين نُشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الامثال الذي نظَمَ فيها امثال الميداني وقد أُتقن طبعهُ فجاء كطرفة بين المطبوعات العصرية . وكان للشيخ ابراهيم الاحدب قريحة شعريَّة غريبة حتى انَّ مجموع ابيات قصائدهِ يكاد يبلغ ثمانين الف بيت . فلهُ ثلثة دواوين ومقامات جارى فيها العلّامة الحريري عددها ٨٠ مقالة وألَّف عدَّة تآليف كروايات ادبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكمية ومقالات مسجّعة وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ نجلاه الاديبان في مقدمة مجمع الامثال . ومن شعرهِ ما قالهُ يمدح الامير عبد القادر الجزائري :

اني بمدح ابن محيي الدين ذو هممٍ ... غدا نظامي بها في ارفع الدرجِ
وفي مآثر عبد القادر اطَّردت ... ابياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهجِ
غوث الثريل وغيثٌ فيضُ نائلهِ ... من الانامل يُجري الدرَّ في خلجِ
شمسٌ انارت بلاد الشرق فابتهجت ... سوريَّة بسناها الفائق البهجِ
في الكون آثارهُ كملكٍ قد نفحت ... الَّا لمزكومٍ طبعٍ عُدَّ في الهمجِ
لله غربُ حسامٍ منهُ قد شُهدت ... في الغرب آثارهُ كالصبح في البلجِ
لازلتَ تُهدى لك الامداح ما طلعتْ ... شمسٌ بنورك تغنينا عن السُّرُجِ

وقال في الرجز ناظماً بعض امثال رويت لابي بكر الصدّيق :

يقرنُ ربّي الوَعد بالوعيدِ كي ... يرهَبَ عبدٌ راغبٌ في كل شي
ليت مع العزا مصيبةٌ ألَا ... تعزَّ يا سامي بما قد نزلا
الموتُ ممَّا قبلهُ أشدُّ ... مع أنَّهُ اهون ممَّا بعدُ
قد ذلَّ قومٌ أسندوا أمرَهم ... لِامرأةٍ حيث جنوا ضُرَّهم
انَّ عليك ابدًا عيونا ... تراك ممَّن جلَّ فالزَم دينا

وَرَحِمَ الله امرءًا اعانا اخاهُ بالنفسِ وما أهانا
والنفسَ أصلحْ يَصلحِ الناسُ لكما وافعل جميلاً يَغدُ خيرًا فعلكما

﴿ ابو حسن الكستي ﴾ هو الشيخ ابو الحسن قاسم بن محمَّد الكستيّ اصلهُ من بيروت وفيها اشتهر نحو اربعين سنة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ اخذ الآداب عن ائمة زمانهِ فلمَّا رسخت فيها قدمهُ صار مرشدًا لغيرهِ وتعاطى التدريس مدَّةً بين مواطنيهِ من اهل ملَّتهِ . وقد مات الكستي في منتصف السنة ١٩٠٩ لكنَّا اتبعناهُ بالشيخين السابقين اذ اشتهر معهما وجاراهما في الأدب ومعظم كتاباتهِ في عهدهما . ومن آثار فضلهِ ديوانان احدهما ديوان مرآة الغريبة طُبع على نفقة السيد سليم رمضان سنة ١٢٧٩ (١٨٨٠) افتتحهُ بقصيدة ابتهالية هذا اوَّلها :

اليك رفعنا الامر يا مَن لهُ الأمرُ فمن فضلك الاحسان والنفعُ والضرُّ
تعطَّف وجُدْ بالخير يا خيرَ منعمٍ على كسْرنا يا مَنْ بهِ يحصُل الجبرُ
عليك اعتمادُ الخلق في كلّ لمحةٍ وبابك مقصودٌ بهِ الفتحُ والنصرُ
فقلتَ لنا أدعوني دعوناك ربَّنا أجِبْ سؤلنا بالخير يا ربُّ يا برُّ

والديوان الآخر ترجمان الافكار طُبع سنة ١٢٩٩ . ومن شعرهِ ما مدح بهِ سعيد باشا عزيز مصر لمَّا قدم الى بيروت :

عزيز مصرٍ سعيدُ الوقت ذو شرفٍ الى علاهُ تناهى المجدُ والحسبُ
يتيمةُ العقد اضحى في العُلى ولذا قد صاغ مدحَ علاهُ العُجمُ والعربُ
انَّا لنشهد منهُ كلَّ مكرمةٍ لها المحامدُ دون الناس تنتسبُ
عن وصفهِ ومزاياهُ وأنعمهِ تقاصر الدرُّ والازهارُ والسحبُ
مآثر العزّ في علياه مشرقةٌ كالشمس لكن سناها ليس يحتجب
من معشر لهم في كل كائنةٍ ذكرٌ تولّد من اسبابهِ الطرب

وقال في الحكم :

وعالمٍ لا نفع في علمه ولم تكن اعمالهُ صالحه
فهو بحكم العقل بين الملا كوردةٍ ليس لها رائحه

ولهُ مضمِّناً الشطر الاخير :

أيّها الانسانُ لا تجنَحْ الى طُرقاتِ الغيِّ والزمْ ورعَكْ
واقطعِ النفس عن الشرِّ تجدْ كلَّ خيرٍ ترتجيهِ تبعَكْ
وبحال الفقر او حال الغنى كُنْ مع الله ترَ الله معَكْ

وسمع يوماً شاكر بك يدقّ العود فاستفزّهُ الطرب فقال بديهاً :

بشاكر هذا العصر طابت نفوسنا وثغرُ الهنا امسى بهِ يتبسَّمُ
ترى كلَّ عودٍ من جمادٍ وعودهُ يحسُّ وعن سرِّ القلوب يترجمُ

وللشيخ القاسم الكستي عدّة اراجيز طويلة حسنة منها ارجوزة تنيف على مئة بيت وصف فيها مكارم الاخلاق في النساء الصالحات . ومن اراجيزهِ الحكمية قولهُ :

لم يخلُ في الدنيا كريمٌ من أذى ولو توارى في مغارات الخفا
ومن يظنُّ انهُ يبقى جا وانهُ منها يفوزُ بالمُنى
وان يكون ناجياً من ضرِّها فقُل لهُ أخطأتَ يا هـذا الفتى
فتانةٌ تُضحكنا لكنَّها تُخرج من اعيننا الضحكَ بكا
فلم نجد لعفوها من سببٍ ولا لدائها سوى الصبرِ دَوا

ونظم ارجوزة فكاهيّة وصف فيها الملوخيّة على سبيل المداعبة :

سُبحانَ من أنبتَ في الوجودِ حشيشةً كجوهرِ العُنقودِ
وقد سقاها من غيوثِ الرحمهْ فحملَتْ لكن ثمار الحكمهْ
هيَ الملوخيّة ذات الشهرهْ ومَنْ جا المعمورُ يلقى يُسرهْ
بحسنها كل النفوس ابتهجتْ وألسن الناس بها قـد لهجتْ
كم هطلت من فوقهـا الغمائمُ وصُبغت بـلونهـا العمائمُ
وكم شفى يأكلهـا كسيحُ وصحَّ من ترياقهـا جريحُ
خيوطهـا بيضاء كاللُّجَينِ تظهر كالصبح لذي عينَينِ
فاقت على الرَّيحان بالروائحِ صالحةٌ لمدح كل مادحِ
لو انّها قـد نبتت في اللدِّ بشمّها مَنْ في بلاد الهندِ

يحرسها الناطورُ في البستانِ خوفاً عليها من يدِ الزمانِ
بُخارها يصعد بالهباء كمَصعد البالون في الهواء
كأنها قد نزلت من السما فأصبحَ الكونُ بها منسَّما
وطعمُها يجلبُ للافهامِ بسُكرهِ حلاوةَ المُدامِ
ميأسةُ الأعطاف في الرياضِ يأكلها كلُّ شريف راضِ
عنها سَلُوا مِصْرَ وتلكَ الحطَّهْ فانَّهم ادرى بهذي النقطهْ
اذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ وقدرُها تسمو بهِ الموائدُ
ترى عليها كثرةَ الملاعقِ تُقرعُ بالاسنان كالصواعقِ
إن مُلئَت بها بطون القِصَعِ تشرقها الابصارُ قبل المَبلعِ
وترجمَتْ عنها فحولُ المغربِ فملأُوا بها بطون الكتبِ
وخصَّها بالذكر أفلاطونُ وقال منها يُصنعُ المعجونُ
كانت للقمانَ الحكيم مأكَلا وجوفهُ لها استقرَّ منزلا
وكان يوصي سائرَ الاطبا بقراطُ ان يستعملوها شربا
كذا ابن سينا قال في القانونِ لا تبخلوا بها على المبطونِ

وهي طويلة تفنن فيها الشاعر ما شاء. ومن فكاهاتهِ ما رثى بهِ طائراً من نوع الكَنار مات لاحد اصحابه فقال يعزّيه :

يا صاحبي عُزّيتَ بالكنار فانَّهُ من احسن الاطيارِ
قد صدحَت بمدحهِ الاخبارُ وحُمِدتْ لذاتهِ الآثارُ
ولم تقصِّر في أداء ما وجبْ من حقه وقُمتَ بالذي طلبْ
من امّهِ كنتَ عليهِ أشفقا ومن ابيهِ يا رفيقي أرفقا
ما مات من جوع ولا من قلَّهْ لكن رماهُ ريشهُ بعلَّهْ
لا يُرتجى لدائهِ شفاء والموت ان حلَّ فما الدواء
عليه لا تحزَنْ وكن صبورا والتزمِ الشكرَ تكن مأجورا
لو كان يُفدى بالنفيس الغالي فديتَهُ من طارق الليالي
لكن اذا ما حادثُ الموتِ نزلْ لا ينفعُ الحزمُ ولا تُغني الحيَلْ
عوَّضكَ الرحمن عنهُ طيرا يكون بالتغريدِ منهُ خيرا

فما رأينا قبلهُ من طائرِ يشنّف الاسماع بالجواهرِ
يُغني عن المُدام والنديمِ اذا شدا بصوتهِ الرخيمِ
اين الكمنجا منهُ صوتاً ان شدا وربّما استُغني عنها ان بدا
فيا لهُ من طائرٍ صدوحِ يدعو الى الغَبوق والصَبُوحِ
ذو ذَنَبٍ فاقَ وفُهِ العجبْ على اللُجَين وهو بالحُسن ذهبْ
مزيَّنٌ بالتاج كالطاووسِ ملوَّن الرداء كالعروسِ
لهُ حسنُ ذلك المنقارِ من ذهبٍ قد صيغَ لا من قارِ
قد كان في الدنيا من الزهَّادِ ملازمَ الخلوة بانفرادِ
وعاش محبوساً ولم يشكُ الضجرْ حتى اباده القضاءُ والقدرْ
فانني أهدي اليهِ الفاتحهْ وان يكن من الطيور الصادحهْ

﴿عبد السلام الشطّي﴾ واشتهر في طرابلس الشام قبل هؤلاء بزمن قليل الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بالشطي الدمشقيّ . واصل اسرتهِ من بغداد وولد هو بدمشق سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ثم درس العلوم الدينيَّة والفقهيَّة على علماء الفيحاء وتعبَّد على الطريقة القادريَّة وكان صبًّا للآداب مشهورًا بفرط الذكاء وحسن النظم غلب على شعرهِ اللطف والعذوبة . ولهُ ديوان طُبع بهمَّة حفيدهِ محمَّد جميل الشطّي سنة ١٣٢٤ . وقد سافر المترجم الى بلاد الروم مرَّتين ودخل القسطنطينيَّة سنة ١٢٩٣ ووُجّه عليهِ تدريس ادرنه وخُصّص لهُ راتب سنوي من الصرَّة السلطانيَّة. توفي فجأةً في دمشق في ١١ محرَّم سنة ١٢٩٥ (منتصف كانون الثاني ١٨٧٨) . ومن شعرهِ ما قالهُ في وصف بيروت وتهنئتها بسحب ماء نهر الكلب اليها :

بيروت اني في هواها ارغبُ من ثغرها البسّام طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدة قد خصَّها ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنَّها شمسٌ على أُفقِ العلى لا تغربُ
يا طالما قد زرتُها فوجدتُها ظمآنةً من حرّها تتلهَّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها ودواؤها قد عزَّ فيهِ المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسُّفاً من فقدها ما تشتهيهِ وتطلبُ
من بعد ذاك اتيتُها فوجدتُها تختال من عُجُبٍ وذيلًا تسحبُ

فسألتها عن حالها فتبسمت واهلّ من فيها فراتٌ اعذب
فاستيقنت نفسي بيرد حميمها فغدوتُ في نعمائها اتقلّبُ
واتيت في هذا النظام مهنّئًا اذ جاءهم هذا الطهور الطيّبُ
ورجوتُ من فضل الاله دوامهُ في كلّ حين دائمًا لا يُسلبُ

وكتب رقعةً دعا بها بعض اصحاب الفضل من اصدقائهِ :

يا سادةً في دُورهم تسلسلت قومٌ كرامْ
وزيّنوا بجمعهم ليل الشتا في كل عامْ
ومتّعوا بقربهم صديقهم عبد السلامْ
اذا اردتُم انهُ يحظى بكم على الدوامْ
اعطوهُ منكم موثقًا بخطكم على الكلامْ
في ليلةٍ لطيفةٍ في دارهِ لكم تقامْ
ويرتجي من فضلكم ارّخْ بهِ الدور ختامْ (١٢٨٩)

وقال مستغفرًا عن ذنوب شبابهِ :

يا ربّ انَّ العبد عبدٌ مذنبٌ وهو فقيرٌ ما لهُ عنك غِنى
قد قطف اللذّات في شبابهِ بجهلهِ فاغفر لهُ ما قد جنى

﴿محمد الميقاتي﴾ وفي هذا الوقت عُرف شاعر آخر فاضل وهو الشيخ محمد افندي ابن عبد القادر الميقاتي وكان طرابلسيًا اديبًا لهُ النظم الرائق فجمع شعرهُ بعد وفاتهِ سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) الاديب عبد الحميد بن محمد جبلص احد مواطنيهِ وطبعهُ في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٤ ودعاهُ ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة. فمن قولهِ يعاتب الدهر :

الدهر شيمتُهُ يُبدي لنا العجبا فلا تكن من فِعال الدهر متعجبا
ولا تثق بشرابٍ منهُ وقتٌ صفا فيستحيلُ سرابًا صفوُه وهبَا
ولا يغرّك ما يوليك من منحٍ فقلبُها يحن تركو بهِ لهبا
إن يسمح الدهرُ يومًا يستردُّ غدًا او يُحسن الدهر يومًا بالاسى انقلبا
هيهات يجدي الفتى من دهرهِ هربٌ ولو سما فوقَ افلاك السما هربا

فالصبرُ اجملُ بالحرّ الكريم على ... ما خصّهُ قلمُ الاقدارِ او كتبا
ما لي وللدهر يرميني بكلكلهِ ... كأنني قاتلٌ امّاً لهُ او ابا
ويلاهُ من زمني كم ذا يقابلني ... من جورهِ بالأسى ويلاهُ وا حَرَبا
اهل البسيطة قد اثنت على ادبي ... واذعنت لي بأني سيّد الأدبا
ودأبُ قومي معاداتي ومنقصتي ... ولا ارى ليَ ذنباً لا ولا سببا
لا ذنب لي غير أني فقتهم شرفاً ... وانني فقتهم بين الورى رُتبا
ما ضرّني لا اقال اللهُ عثرتهم ... لو انّهم قابلوا فضلي بما وجبا

ولهُ مؤرخاً داراً بناها آل كتسفليس في طرابلس:

لكمُ الهنا يا آل كَتَسفليس يا أهلَ المآثرْ
جدّدتمُ فوق العلى ... بيت المكارمِ والمفاخر
بيتٌ لحسن بنائهِ ... بدرُ المسرّةِ فيهِ سافرْ
قد شادهُ اسكندرٌ ... مَنْ فضلُهُ في الناس ظاهرْ
والسعدُ حول رحابهِ ... بالعزّ والاقبال دائرْ
وفمُ السعادة قد غدا ... ارّخ لهُ بالشكر فاغرْ (١٨٦٨)

وقال مخمّساً:

لمن أشتكي ضعفي وضنكي وشدّتي ... ومَن يَشفِ اسقامي ويرحمْ لعبرتي
لجأتُ فما لي غيرَ ذلّ مقالتي ... الهي بتقديس النفوس الزكيّةِ
وتجديدها من عالم البشريّةِ

وبالنور سرّ الكائنات ومن دنا ... اليك مقاماً لن يُحيط بها سنا
وناديتهُ ها انت حي وها انا ... أزلْ عن فؤادي ما ألاقي من العنا
فاني قليل الصبر عند البليّةِ

﴿عبد الفتّاح اللاذقي﴾ ونبغ في اللاذقية في الوقت عينهِ شاعر متفنّن ابو الحسن عبد الفتّاح ابن مصطفى بن محمّد المحمودي اللاذقي العطّار كان مولدهُ سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ونظم الشعر في شبابهِ ثم جمعهُ في ديوان ودعاهُ «سفير الفؤاد» فطبعهُ في بيروت في مطبعة جمعيّة الفنون سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) وجعلهُ اربعة اركان في المدائح

والتوسُّلات ثم في امتداح السادات ثم في التهاني والمراثي واخيرًا في القدود والموشحات. فمن ذلك قولهُ مبتهلًا الى الله عزَّ وجل :

شكوتُك فاقتي وانك تعلمُ ... بحالي ونارُ الفقرِ في القلب تُضرَمُ
وللخلق لا اشكو افتقاري وفاقتي ... فمن يشكُ للمخلوق لا شكَّ يندمُ
فجُدْ لي برزقٍ يملأُ القلبَ عفَّةً ... فجودُك لي عزٌّ وكنزٌ ومغنمُ
والّا فصبِّرني على ما قسمتَ لي ... فأمرُك يا ربَّ البريَّة مُبرَمُ

وكتب الى نائب المحكمة فيض الله افندي عن لسان شيخ كان خدم جبل الريحان وصلَّى في اهلهِ فلم يعطوهُ حقَّهُ من الموسم :

اخا الأفضال فيضَ الله يا من ... حوى المجد المؤثَّلَ واللطافهْ
فناقِلْ شقتي هذا فقيرٌ ... وموصوفٌ بانواع المفاقهْ
لقد صلَّى بأقوامٍ إمامًا ... وفي محراجم جعل اعتكافهْ
وفي شهر الصيام فكم تعنَّى ... وكم قد سار مع بُعد المسافهْ
لقد جحدوا إمامتهُ وجادوا ... لهُ بالهزل جدًّا والكثافهْ
وما جادوا لهُ ابدًا بخبزٍ ... ولا عملوا لهُ ابدًا ضيافهْ
وقد حرموهُ من اكل المحاشي ... ومن اكل القطائف والكنافهْ
فهم قومٌ لقد مكروا جهارًا ... وليس لهم من المولى مخافهْ
وقد رفعتْ قضيتهُ اليكم ... وفي انظاركم يرجو انتصافهْ
اخا الافضال فانظرْ امرَ هذا ... فعينُ العدل لم تنظر خلافهْ
فهذا قد أُضيف الى علاكم ... وحاز الفخر في تلك الاضافهْ

ومن محاسن شعرهِ قولهُ في مولود سنة ١٢٧٩ :

اهلاً بهِ من قادمٍ ... في كلّ جاهٍ جاهرُ
بشراك فيهِ انهُ الـ ... ـنخلُ الفخيمُ الفاخرُ
فاهنأ بهِ لانهُ ... نعمَ الغلامُ الناضرُ
بيت الهنا والسعدُ فيهِ ... م كلّ عامٍ عامرُ
والعزُّ فيهِ قد غدا ... والبشرُ فيهِ ناظرُ

والفخرُ نادى منشدًا ارخْ غلامٌ باهرُ (١٢٢٩)

﴿احمد فارس الشدياق﴾ كان مارونيًا لبنانيَّ الاصل مولدهُ في عشقوت سنة ١٨٠٤ ثم انتقل مع والديه الى ساحل بيروت سنة ١٨٠٩ فسكن الحدث ودرس مبادئ العلوم اللسانية في عين ورقة ثم قصد القطر المصريّ فاتقن فيهِ العربية وجعل يكتب في اوَّل جريدة ظهرت هناك اي الوقائع المصريَّة وفي السنة ١٨٣٤ دعاه المرسلون الاميركان الى مالطة وولَّوهُ ادارة مطبعتهم فتظاهر بالدين البروتستاني وخدم الرسالة الاميركيَّة بنشاط وطبع في مالطة بعض مصنفاتهِ وألف هناك كتابهُ الموسوم «بالواسطة في معرفة مالطة» ثم تجوَّل مدَّة في انحاء اوربَّة وخصوصاً في فرنسة وانكلترَّة فأكرم اهل تلك البلاد مثواه وصنف حينئذٍ كتابهُ الفارياق الذي لم يرعَ فيهِ جانب الادب وشفعهُ بكتاب آخر اجدى نفعاً واصوب نظرًا دعاه «كشف المخبَا عن احوال اوربَّا» واشتغل في لندرا في تعريب ترجمة التوراة فزادت بذلك شهرتهُ. ولمَّا جاء باي تونس احمد باشا زائرًا مدينة باريس مدحهُ الشدياق بلاميَّة جارى فيها لاميَّة كعب ابن زهير فأعجب من حسن نظمهِ ودعاهُ الى خدمة دولتهِ في تونس فلبى دعوتهُ ورحل الى المغرب وكان هناك يحرّر جريدة الرائد التونسي. وفي مدَّة اقامتهِ في تونس سوَّل اليهِ اعيانها بان يعتنق الدين الاسلاميّ فجحد البروتستانيَّة طمعاً بالمناصب كما جحد الكثلكة طمعاً بالمال. وفي السنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) طلبتهُ الصدارة العظمى الى الاستانة وعهدت اليهِ تصحيح مطبوعاتها بضع سنوات. وهناك باشر السنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) جريدته الشهيرة بالجوائب فظهرت ٢٣ سنةً بانشائه وانشاء والده سليم الى السنة ١٨٨٤ فأُبطلت وحصلت بينهُ وبين شيوخ الاسلام منافرات فنسبوهُ الى المراء في دينهِ الحديث. وكانت وفاة احمد فارس بعد ذلك بثلاث سنوات توفي في الاستانة سنة ١٨٨٧ ثم نُقلت رفاتهُ الى لبنان كما اوصى قبل موتهِ فرثاه شعراء زمانهِ. وقد هجاهُ بعض مواطنيهِ بهذا التاريخ:

يا مَنْ رحلتَ الى الجحيم مسوكرًا لم يبقَ بعدك للسفاهة باقِ
ناداك ابليسُ الرجيم مؤرخًا هنئتَ يا احمدَ فارس الشدياق

وقد اخبرنا الشيخ المرحوم ظاهر الشدياق احد انسباء احمد فارس ان المترجم قبل

وفاتهِ طلب احد كهنة الارمن الكاثوليك واعترف لديهِ بخطاياه ومات على الدين المسيحي كما شهد على ذلك خليل افندي يعقوب الذي حضر وفاتهُ وكان يصحبهُ منذ سنين عديدة. وكانت امرأة فارس الشدياق من بيت صولا تُدعى وردة

ولاحمد فارس مؤلفات جليلة غير التي ذكرناها اخصُّها سرّ الليال في القلب والابدال على شكل معجم لم يتمّهُ. وكتاب منتهى العجب في خصائص لغة العرب اتلفهُ الحريق قبل ان يُطبع. ثم الجاسوس على القاموس انتقد فيهِ على القاموس الفيروزابادي. وكتاب غنية الطالب ومنية الراغب. وكتابان في تعليم اللغتين الانكليزيَّة (الباكورة الشهيَّة) والافرنسيَّة (السند الراوي) وردود على انتقادات الشيخ ابراهيم اليازجي اللغويَّة. وبهمَّة المترجم طُبعت في مطبعة الجوائب عدَّة كتب ادبيَّة قديمة استخرجها من مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامبولي المُشرق. ومن مآثره ايضاً عدَّة قصائد ومنظومات طبع منها نبذة في ٢١٩ صفحة سنة ١٢٩١. فمن اقوالهِ الحسنة ما وصف بهِ الحرب السبعينيَّة بين فرنسة والمانية. وهذا مطلع تلك القصيدة التي تزيد عن مئة بيت :

أُصيبَت فرنسا بالرجال وبالمالِ ... فيا ويحها من بعد عزّ واقبالِ
اعدَّت جيوشاً للقتال وجهَّزت ... بوارجَ حربٍ في البحار كأجبالِ
وقالت الى برلين يا جنديَ انفُروا ... فتلك التي قد كدَّرت صفو احوالي
وتلك التي قد زاحمتني على العلى ... ولم تكُ قبل اليوم تخطرُ بالبالِ
وصولوا على جرمانيا كلّها فقد ... اراها بدا منها تحاوِلُ إذلالي
فلي قيصرٌ قرمٌ جليلٌ تهابهُ ... جميع ملوك الارض هيبةَ رئبالِ
اذا أنذر الأملاك حرباً تزلزلت ... ممالكهم من بأسهِ اي زلزالِ

وقال في مطاردة الالمان لنابوليون وفي موقعة سِيدان وخلع الامبراطور :

فطاردهُ جيش العدوّ معقباً ... فولّى الى شالونَ بجزعٍ كالرالِ
ومنها الى سيدانَ بالجيش كلّهِ ... عقيبَ مُعاناةٍ وبؤسى وآجالِ
وذلك حصنٌ عند بلجيكَ حولهُ ... ربًى وتلالٌ حبّذا الوَزَرُ العالي
ولكنّهم ناؤوا سفاهاً عن الربى ... فحلَّت بها الجرمان من دون امهالِ

هنالكَ عمَّ الويلُ والشرُّ والرَّدى ... بترميل ازواجٍ وتيتيم اطفالِ
وتبضيعِ آرابٍ وتقطيعِ اوصالِ ... وتفليقِ هاماتٍ وتدمير اطلالِ
وبزَّتهم الجرمانُ فاستسلموا لهم ... ثمانين الفًا او يزيدون في الحالِ
فلم يبقَ من ذا الجيش أجمعَ راجلٌ ... ولا فارسٌ فالجونُ من ذكرهم خالِ
فلما درت باريس ذا الخطبَ اعولت ... وضجَّت وباتت في شجونٍ وولوالِ
وقالت مُنيتُ دولةٌ قيصريَّةٌ ... باهلاك اجنادي واتلاف اموالي
وانَّ صلاحي دولةٌ جمهريَّةٌ ... تُسدِّدُ اعمالي وتُصلحُ احوالي
فنادت بخلع الأمبراطور وابنهِ ... وثارت لأخذ الثار ثورة قسطالِ

وختمها بهذا البيت الحكمي المقتبَس من المزامير وهو نِعمَ ختام :

اذا لم يكن للمرء من ربهِ هدًى ... فلا شيءَ يجديهِ من القيل والقالِ

﴿محمَّد سليم القصاب﴾ ومن فرسان حلبة الادب بين مسلمي الشام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمَّد سليم بن انيس الشهير بالقصّاب. طُبع لهُ ديوان حسن في دمشق في مطبعة الجمعيَّة الخيريَّة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) فمن اقواله الجيدة ما قالهُ من قصيدة في السيّد عبد القادر الجزائري واولادهِ :

لمَّا بأرض الشام حلَّ ركابهُ ... ناديتُها باهي البلادَ وفاخري
أمُّوا بنا فاليوم جلَّقُ اصبحت ... دارَ الخلافةِ وهو عبد القادرِ
يا دوحةً طابت مغارسها فلم ... تُثمر سوى ليثٍ وشبلٍ كاسرِ
من كل شهمٍ في الانام محمَّدٍ ... يعنو الى علياهُ كلَّ مفاخرِ
مولاي محيي الدين مصباحُ الهدى ... ذاك العليّ الشأن احمد شاكرِ
فكأنَّهم لمَّا تبدَّوا حولهُ ... اقمارُ تمٍّ حولَ بدرٍ سافرِ
أكرِمْ بهِ فرعًا يفاخر فرعهُ ... باصولهِ فلكُ السماءِ الدائرِ
لا زال في اوج المعارج نجمهُ ... يسمو بمجدٍ ما لهُ من آخرِ

وقال في جنينة شادها مدحت باشا لاهل دمشق دعاها جنينة الملّة سنة ١٢٩٦ :

هذه غرفةُ انسٍ أُزلفت ... في رُبى الشام تسرُّ الناظرينْ
قد بدت ازهارها تثني على ... مِدْحتَ العلياءِ صدر الاعظمينْ

شادها للملّة الغرّاء قُلْ　　فأدخلوها بسلام آمنين

ومن رثائهِ قولهُ في وجيه قومهِ حسين بَيْهم الّا توفي في بيروت سنة ١٢٩٨ :

هوى الكوكب الدّرّي من أُفُق العلى　　فجرّ القضا ذيلَ الظلام وأسبلا
مصابٌ كسا بيروت بُرْدَ حدادها　　وحقّ لها بالحزن ان تتسربلا
فما كان الّا روحها وحياتها　　وقد اصبحت من بعدهِ جسدًا بلا .
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ　　وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسّلا
أقيموا بني الآداب واجب نَعْيهِ　　فلم يبقَ ما للنفس ان تتعلّلا

وختم المرثاة بقولهِ :

فلمّا دعاهُ الله جلّ جلالهُ　　الى جنّة الفردوس لبّى مهلّلا
فقال بشير العفو تاريخهُ زها　　حسينُ المعالي قرّ في جنّة العلا

ومن محاسن وصفهِ قولهُ في وطنهِ الشام :

ما الشام الا جنّة الامصار　　تزهو بغوطتها على الاقطار
حصباؤها الدرّ النضيدُ وترجما　　م الكافورُ والبلّورُ فيها جاري
فيها الرياضُ الزاهرات محاسنًا　　فانهض بنا نتنشّقْ شذا الازهار
قد هبّ فيها الريح يُرقص غصنها　　والطيرُ غنّى في على الاشجار
وتفجّرت فيها المنابع أنّها　　ذَوْبُ اللُّجَين بجدول الانهار
هي موطني دون البلاد وبغيتي　　فيها انتعاشي وانقضا اوطاري

﴿ السيد محمود حمزة الحسيني ﴾ هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة اصلها من حرّان تُرقي نسبها الى الحسين . كان مولدهُ في دمشق سنة ١٢٣٦ ونيها توفي سنة ١٣٠٥ (١٨٢٠—١٨٨٧) واكبّ منذ صغرهِ على العلوم اللغويّة ثم انقطع الى العلوم الفقهيّة فاصبح فيها اماماً ومعظم مصنّفاتهِ في الدين وفي كل ابواب الشرع الّا القليل منها كاعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان . ولهُ قصائد حسنة وقد شرح بديعيّة لوالدهِ وعُرف بحسن الخطّ . وكان السيّد محمود رجلًا مهيباً جليل

القدر كريم الطباع تولّى الإفتاء في دمشق دهراً طويلاً وقد اظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة ١٨٦٠ مروءة أجازته عنها الدولة الفرنسوية بهبة سنية. وقد اجتمعنا مع السيّد محمود في دمشق غير مرة فلقينا منهُ شيخاً واسع المدارك غزير الاداب. ولهُ في تقريظ كتابنا مجاني الادب رسالة تنبئ بحسن ذوقهِ وتقديرهِ للمشروعات الادبية. وفيهِ يقول محمد القصّاب بمدحهِ :

مفتي الانام سليلُ المجد ملجأنا ... تاج الفخام فخار الفخر ذو الهممِ

ماضي العزائم لا ندٌّ يضارعهُ ... بالامر والنهي والاحسان والكرمِ

بحر المعارف بالامواج زاخرهُ ... يلقي لنا جوهر الارشاد والحكمِ

في كلّ فنّ لهُ باعٌ يصيد بهِ ... ما شتَّ ادراكهُ عن حاذقٍ فهمِ

﴿الامير عبد القادر الجزائري﴾ ونضمُّ الى ادباء اسلام الشام في آخر القرن التاسع عشر حسينياً آخر عاش زمناً طويلاً في دمشق وان لم يكن اصلهُ منها نريد السيّد الاجلّ والامير العظيم عبد القادر الجزائري فانهُ وان كان من رجال السيف الّا انهُ كان ايضاً من فرسان القلم. كان مولد هذا الامير في القيطنة من قرى ايالة وَهران في بلاد الجزائر سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧م) درس العلوم اللسانية في حداثتهِ على اساتذة وهران. ثم رافق والدهُ في رحلتهِ الى الحجاز والشام والعراق وعاد الى وطنهِ فعكف على العلوم الخاصّة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة ١٨٣٠ تلافياً لاهانةٍ لحقت هناك بسفير ملكهم كرلوس العاشر واحتلّوا جهاتها. فانتشبت الحرب بين اهلها والفرنسيس وبايع الجزائريون للامير عبد القادر فقاموا معهُ قيام الابطال للدفاع عن اوطانهم. وكانت تلك الحرب سجالاً تارةً لهم وتارة عليهم ودامت خمس عشرة سنة أُلجئَ الامير بعدها الى التسليم فسلّم ولقي من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وجعلوا لهُ راتباً سنوياً ثم تنقّل مدّة في مدن فرنسا وغيرها الى ان اتخذ لهُ دمشق سكناً في اواسط سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) فطابت لهُ هناك السكنى وفيها توفي في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ (حزيران ١٨٨٣). ومن مبرّاتهِ جازاهُ الله خيراً دفاعهُ عمّن احتمى في دارهِ من نصارى دمشق في مذابح سنة ١٨٦٠ وكان عددهم نحو اربعة آلاف. وكان الامير عبد القادر مُغرى بالعلوم محبّاً للعلماء يعظّمهم ويحسن اليهم. قيل انهُ كان يبلغ ما يوزّع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر. ولهُ

تآليف مفيدة في التصوُّف وعلم الكلام وبعض كتب ادبيّة منها « ذكر العاقل وتنبيه الغافل » اتمَّهُ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) . وقد نقلهُ الى الفرنسويّة المستشرق غوستاف دوغا (G. Dugat) فطبعهُ في باريس سنة ١٨٥٨ وكان للامير سليقة جيّدة في نظم القريض . ومن قصائدهِ رائيّةٌ اوّلها :

أَمسعودُ جاء السعد والخيرُ واليُسرُ ... وولَّت ليالي النحسِ ليس لها ذِكرُ

ومنها قصيدة حماسيّة كان يتمثَّل في معاركهِ باحد ابياتها الفخريّة :

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي ... وبي يحتمي جيشي وتُحرَس ابطالي

ومن ابياتهِ الفخريّة قولهُ يذكر فيها احد ايامهِ لمّا حارب الفرنسويين :

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمَّعا ... ولا فخر الّا ما لنا يرفع اللّوا
مناقب مختاريّة قادريّة ... تسامت وعبّاسيّةٌ مجدَها احتوى
فان شئتَ علماً تلقَني خير عالمٍ ... وفي الروع اخباري غدت توهن القوى
ونحن سقينا البيض في كل معركٍ ... دماء العدى لمّا وهت منهم القوى
ألم ترَ في خنق النطاح (١ نطاحنا ... غداةَ التقيناهم شجاع لهم لوى
وكم هامة ذاك النهار قددتُها ... بحدّ حسامي والقنا طعنهُ شوى
وأشقر تحتي كلّمتهُ رماحهم ... ثمانٍ ولم يشكُ الوحى بل ولا التوى
بيومٍ قضى نحباً اخي فارتقى الى ... جنانٍ لهُ فيها نبيُّ الرضى اوى
فما ارتدَّ من وقع السهام عنانهُ ... الى ان اتاهُ الفوز رغماً لمن عوى

ومنها في وصف الحرب :

واسيافنا قد جُرّدت من جفونها ... ولا رَدَّ الا بعد وِرْدٍ به الروا
ولمّا بدا قرني بيمناه حربةٌ ... وكفّي بها نارُها الكبشُ قد ثوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا ... يولّي فوافاهُ حسامي بما هوى
شددتُ عليهم شدَّةً هاشميّةً ... وقد وردوا وِردَ المنايا على الغوى

وقد مدح الشعراء الامير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتاباً ضخماً . ومما

١) خنق النطاح مكان قريب من وهران حارب فيهِ جيش الفرنسويين

قيل فيهِ لاحدهم :

بحر المعارف والعوارف والندى　　ذو الحكمة العليا الكريم العنصرِ
مولى يتيهُ بهِ الزمان وحسبهُ　　أن لم يفز بنظيرهِ منذ اعصرِ

وفي طرابلس الشام قضى نخبةً في العقد الاخير من القرن التاسع عشر نحو ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) الشيخ «محمد الشهّال الطرابلسي» كان لهُ في نظم الشعر حظٌّ وافر سلك فيهِ منهج الرقّة واللطف. فجمع ابنهُ عبد الفتّاح قصائدهُ في ديوان دعاهُ «عقد اللآل من نظم الشهّال» وطبعهُ في طرابلس سنة ١٣١٢ هـ . فمن حسن اقوالهِ ما قالهُ مراسلًا بعض اصدقائهِ :

متى يجمعُ الرحمانُ شملي عُشيّتي　　وأحظى بطيب الوصل بعد تشتُّتي
أأحبابنا كم ذا أبثُّ شكايتي　　ولم تسمعوا دعوى حليف المحبَّةِ
قضى الله بالهجران بيني وبينكم　　فيا ليت قبل الهجر كانت منيَّتي
تحجَّبتمُ عن ناظريَّ وشخصُكم　　مقيمٌ بقلبي اينما كان وجهتي
وذكركمُ ما زال وسط ضمائري　　يجارُ في كل يومٍ وليلةِ
نأيتم فخلَّفتم جفوني قريحةً　　فباحت بأسرار الشجون الخفيَّةِ
عسى الله ان يجلوا دُجى البُعد باللقا　　ويجمعني فيهِ بأحسن حالةِ

وقال يهنِّئ احد اصحابهِ بقدومهِ الى الفيحاء بغتةً :

خليلَ العُلى والمجد عن غير موعدٍ　　لقد واصلَ الفيحا فطابت بهِ نشرا
وأضحى لسانُ العزّ عند قدومهِ　　ينادي لقد وافى الخليلُ فيا بُشرى

وممَّن يجب نظمهُ بين شعراء اواخر القرن التاسع عشر «الشيخ محمّد الهلالي» هو محمّد بن هلال بن حمّود المولود في حماة السنة ١٢٣٥ (١٨١٩م) والمتوفَّى في ٢٩ ذي الحجّة ١٣١١ (حزيران ١٨٩٤) نشأ بحماة ودرس على علماء اهل ملّته العلوم الدينيَّة ثمَّ انقطع لدرس الآداب ونظم الشعر فقصّد القصائد على نمط ذلك العهد ومدح كثيرين من وجهاء بلادهِ ثم ارتحل الى دمشق سنة ١٢٩٨ (١٨٨١م) فاستوطنها ونعِمَ في سكناها وأنس بأهلها وعاشر ادباءها وكرام اهلها وامراءها

فنال الحظوة من فضلهم ولم يزل في هناء عيش الى وفاتهِ في الفيحاء. فقال الشيخ عبد المجيد الخاني يؤرخ سنة موتهِ :

لقد تُوُفّي الهلالي سيّدُ الشعرا وكوكبُ الادب العالي الذي اشتهرا
فلا غريبٌ اذا نادى مؤرخهُ ألا توفي الهلالي سيّدُ الشعرا (١٣١١)

وقد جمع بعض مواطنيهِ ديوانهُ فطبعوهُ في حماة سنة ١٣٢٩ وقسموهُ ابواباً على حسب معاني الشعراء من مديح وتهانئ ورثاء وتواريخ . فممَّا قالهُ لمَّا هاجر من حماة الى دمشق باهلهِ يستمنح فضل الامير السيّد عبد القادر الجزائري :

هاجرتُ من بلدي بأهلي غازياً بعساكر الآمال خير همام
ورميتُ سهم الظنّ عن قوس الرجا طمعاً وحاشا ان تطيش سهامي
وبجيش فقري قد اتيتُ الى حمىً أغنى وأندى كل بحر طامي
مستمطياً حسن الطويَّة راكباً فرسَ الفراسةِ ناشراً اعلامي
مستبشراً من سيدي بعنايةٍ عني يزولُ بها عناهُ أوامي
مولاي عبد القادر الحسنيّ الذي في ظلّ نعمتهِ نصبتُ خيامي
الكاشف الفاقات ماحي ليلها بسناء صبح الجود والإنعام
وافيتُ جنّة قربهِ لافوزَ من مأوى مكارمهِ بدار سلام
ولما أؤمّل من عوائد فضلهِ طال انتظاري في دمشق الشام
ماذا جوابي ان رجعتُ الى حما ةَ بزوجتي من بعد غربة عام

فأمر لهُ الامير بجائزة سنيَّة. ومن ظريف قولهِ يؤرخ انشاء سبيل في دمشق سنة ١٣٠٤ :

بادِرْ لأعذب سلسبيلٍ فيهِ ما بجمينهِ يشفي العليلَ من الظما
لله فاعلُ خيرِ فعلٍ دائمٍ لينال من مولاهُ اجراً أعظما
حوضٌ لواردهِ الصفا منهُ شدا ارخ وناد أسقِ العطاش تكرُّما

وقال ايضاً مؤرخاً وفاة والدهِ هلالاً سنة ١٨٨٠ :

لِنِعْمَ عقبى الدار دارُ البقا وحبَّذا الى النعيم المآلْ
يا زائراً هذا الضريحَ الذي حوى هلالاً فاز بالانتقالْ

لنصف ذي الحجة قل أرخوا عاماً بهِ آن غياب الهلال

«ادباء مصر» لم يبلغ ادباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغهُ ذوو دينهم في الشام واشرنا الى سبب ذلك في ما تقدَّم. على انَّ مدرسة الازهر بعد الاحتلال الانكليزي كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربية نائلة لقصبات السبق في القطر المصري على الرغم مما اصابها من التأخر في ذلك الزمن كما اقرَّ بهِ ارباب الامر ومن ثم انشأوا سنة ١٢١٢ (١٨٩٤) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتُصلح طرق التعليم

وممَّن نالوا بعض الشهرة في اواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الازهر واساتذتهِ الشيخ «مصطفى العروسي» الذي تولى ست سنين (١٢٨١-١٢٨٧) رئاسة الازهر ولهُ ما خلا الكتب الاعتقاديَّة أحكام المفاكهة في انواع الفنون المتفرّقات توفي سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦). ومنهم الشيخ «محمد المهدي العباسي» ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨م) واشتهر في العلوم الدينيَّة وصارت اليهِ رئاسة الافتاء في الديار المصريَّة مع شياخة الاسلام واختارته عمدة الازهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلّدها سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ وعاش الى سنة ١٣١٥ (١٨٩٧) قال بعضهم مؤرخاً لوفاته :

عليهِ دمع الفتاوى بات منحدراً وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدّ
فيها المسائل قد باتت تؤرّخهُ مات المجيب الإمام المقتدى المهدي

ومن تآليفهِ الفتاوى المنسوبة اليهِ المعروفة بالفتاوى المهديَّة في الوقائع المصرية

ومنهم الشيخ «محمد الانبابي» ألف عدَّة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرَّج على يديهِ كثيرٌ ممَّن تصدَّروا للتدريس. وتولّى مشيخة الازهر مرَّتين. كان مولدهُ سنة ١٢٤٠ ووفاته سنة ١٣١٣ (١٨٢٤-١٨٩٦)

ومنهم «الشيخ عليش» احد مشايخ السادة المالكيَّة في مصر ولد بالقاهرة سنة ١٢١٧ وبها توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٠٢-١٨٨٢) اشتغل بالعلم في الازهر حتى ادرك الجهابذة واخذ عنهُ جلّ الازهريين لهُ تآليف عديدة في الفقه والبيان والمنطق وكتاب مواعظ. نُكب في آخر حياتهِ بسبب الثورة العسكريَّة العرابيَّة

ومنهم «حسين بن احمد المرصفي» كان مكفوفاً وبلغ باجتهاده الى ان يدرّس في الازهر ومن تآليفهِ الوسيلة الادبية الى العلوم العربية والكلم الثمان في الادب توفي

سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩م)

واشتهر غير الازهريين رجال يعدّهم المصريّون كان النهضة العلميّة في وطنهم في العشرين الاخيرين من القرن السابق نختصر هنا اخبارهم

«عبدالله باشا فكري» هو احد نوابغ الناشئة المصريّة في القرن الاخير ولد في مكّة اذ كان ابوهُ محمد مرافقاً في الحجاز للجنود المصريّة سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلّع في كل علم . وقلّدتهُ الحكومة المصريّة للمناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف. وكان سار قبلها في رفقة الخديوي اسماعيل باشا الى استنبول سنة ١٨٦١ ثم عُهد اليهِ تهذيب وليّ العهد محمد توفيق باشا مع اخويهِ الحسن والحسين فقام بتلك المهمّة احسن قيام. ولمّا ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنّف للدارسين كتباً يدرسون فيها ومن خدمهِ الطيبة انهُ لم يزل يحضّ الحكومة حتى انشأت المكتبة الخديويّة التي تُعَدّ من اغنى الخزائن الكتبيّة بالمخطوطات والمآثر العربية. ولمّا حدثت الثورة العرابيّة سنة ١٨٨٢ أُلقي القبض على عبدالله باشا فكري وبقي مدّة تحت الاستنطاق الى ان عُرفت برارتهُ وبُرئت ساحتهُ وكان الخديوي قد قطع معاشهُ فكتب اليهِ من قصيدةٍ:

مليكي ومولاي العزيز وسيّدي ... ومَنْ ارتجي آلاءَ معروفهِ العمرا
لئن كان اقوامٌ عليّ تقوَّلوا ... بامرٍ فقد جاؤوا بما زوّروا نكرا
فما كان لي في الشرّ باعٌ ولا يدٌ ... ولا كنتُ مَن يبغي مدى عمرهِ الشرّا
فعفوًا ابا العبّاس لا زلتَ قادرًا ... على الامر انّ العفو من قادرٍ احرى
وحسبيَ ما قد مرّ من ضنك اشهرٍ ... تجرّعتُ فيها الصبر أطعمهُ مرّا
يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ... ويعدل منها اليومُ في طوله شهرا
أيجمل في دين المروءة أنّني ... أُكابد في ايّامك البؤس والعسرا

فما لبث أن اعادهُ الخديوي الى مقامهِ السابق فقال يشكرهُ من قصيدة طويلة:

ألا انّ شكر الصنع حقٌّ لمنعمٍ ... فشكرًا لآلاء الخديوي المعظَّمِ
مليكٌ لهُ في الجود فضلٌ ومفخرٌ ... على كل منهلٍّ من السحب مرهمِ
ساشكرهُ النعماء ما عانقت يدي ... براعي او استولى على منطقي فمي
فلا زال محروسَ الحمى متمتّعًا ... مع الخيرة الاشبال في خير أنعمِ

وتجوّل عبدالله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام . ولمّا عُقد في استوكهلم مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٨ اوفدتهُ الحكومة للنيابة عنهـا وزار معظم الحواضر الاوربيَّة وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاه «ارشاد الالبَّاء الى محاسن اوربّا» لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي قبل اتمامهِ في اواخر سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠م) فانجزهُ نجلهُ بعد وفاتهِ . وقد خلَّف عبدالله باشا فكري آثارًا ادبيَّة جليلة كنظم اللآل في الحكم والامثال والمقامة الفكريَّة في المملكة الباطنيَّة والفوائد الفكريَّة للمكاتب المصريَّـة جمع فيهِ فصولًا تهذيبيَّة حسنة لناشئة وطنهِ . ولهُ شرح على ديوان حسان بن ثابت لم يتمَّهُ وقد جمع ابنهُ كثيرًا من كتاباتهِ وقصائدهِ في كتاب دعاهُ الآثار الفكريَّة (وصفناهُ في المشرق ١ [١٨٩٨] : ١٨٩) وكان المترجم بارعاً بالنظم والنثر راسخ القـدم في بلاغة التعبير وكان بالخصوص اماماً في الانشاءات الديوانيَّة فاستخدمهُ خديويّا مصر سعيد باشا واسماعيل باشا في اشغال الكتابة عنهما باللغتين التركيَّة والعربيَّة الى الملوك والسلاطين . ومن حكمهِ قولهُ :

اذا رُمتَ المروَّةَ والمعالي ... وأن تلقى إلهَ العرش بَرًّا
فلا تقرب لدى الخلوات سرًّا ... من الافعال ما تخشاهُ جَهرا

وقال يصف ثامن مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من قصيدة :

نادٍ بهِ احتفل الافاضلُ حفلةً ... بحديثها تتقادمُ الاعصارُ
جمعتْ لثامن مرَّةٍ معدودةٍ ... في الدهر لا يُنسى لها تذكارُ
متآلفين بعيدهم بقريبهم ... والفضلُ اقربُ وصلةٍ تُختارُ
من كل فيَّاض القريحة وِرْدهُ ... عذبٌ وبحرُ علومهِ زخَّارُ
وموزَّرٍ بالفضل مشتملٍ بهِ ... منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملك الفضل معمور الذرى ... بذويهِ معدودًا لهُ الاعمارُ

وكان لعبد الله باشا ولد تقفَّى آثار والدهِ اسمـهُ «امين باشا فكري» درس الحقوق في فرنسا ثم عاد الى بلدهِ فتعاطى فنَّ الدعاوي وبرز فيهِ حتى رقَّتهُ الحكومة المصريَّة الى رئاسة النيابة سنة ١٨٨٨ ثم ولَّتهُ قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظـة الاسكندريَّة حتى انتدبتهُ لنظارة الدائرة السنيَّـة لكنَّ الموت اهتصر غصن حياتهِ فمات سنة ١٨٩٩ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦ . ومن تركتهِ الطبيَّـة كتاب مطوَّل في

جغرافيَّة مصر والسودان . وكان رافق اباهُ مع الوفد المصري الى استوكهلم عاصمة بلاد اسوج فانجز اخبار رحلة ابيه فدعاها «ارشاد الالباء الى محاسن اوربّا» كما انهُ جمع مآثرهُ المتفرّقة على ما سبق ذكرهُ ولهُ ايضاً فضلاً عمَّا تقدَّم رسائل وقصائد لم يُنشر منها الَّا النزر القليل

﴿علي باشا مبارك﴾ هو احد اركان النهضة المصريّة ولد من عائلة فقيرة في قرية برنبال من مديريّة الدقهليَّة سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) فتقلّبت بهِ الاحوال الى ان توفَّق الى دخول مدرسة القصر العينيّ وأُرسل الى باريس فدرس فيها فنَّ الحرب ثم أُلحق بالجيش المصري وحضر حرب القريم سنة ١٨٥٤ . ثم انتدبتهُ الحكومة المصريّة لوكالات ونظارات ودواوين مختلفة ابدى في جميعها عن مقدرة عظيمة . وقد خدم الآداب العربيَّة بتنظيم مكاتب القاهرة والبنادر وانشاء مدارس جديدة اخصّها مدرسة دار العلوم وفتحَ المكتبة الخديويَّة وتولى نظارة المعارف فاجرى فيها اصلاحات مهمَّة . وفي آخر حياتهِ اعتزل الاعمال الى سنة وفاتهِ ١٣١١ (١٨٩٣) ولهُ تآليف ذات شأن اجلّها الخطط التوفيقيَّة حذا فيها حذو الخطط المقريزيَّة فوصف الخطط الجديدة التي أُنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستَّة مجلَّدات . ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والاوزان وكتاب علم الدين في عدَّة اجزاء على طرز رواية ادبيَّة عمرانيَّة اودعها كثيرًا من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافية والهندسة والطبيعيَّات وغير ذلك ممَّا قرَّب الى قرَّائهِ فهمَهُ بعرضٍ شهيّ

﴿الشيخ الابياري﴾ هو الشيخ عبد الهادي نجا الابياري احد الكتبة المعدودين في اواخر القرن السابق . ولد في ابيار في جهات مصر السفلى سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) واخذ عن والدهِ مبادئ الآداب ثم حضر دروس اساتذة الازهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما . ولم يزل يكدُّ ويجدُّ في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينلهُ الَّا القليلون من معاصريهِ فعهد اليهِ الخديوي اسماعيل باشا تثقيف اولادهِ . وتصدَّر للتعليم في الجامع الازهر فذاع صيتهُ في انحاء القطر المصري وجعلهُ الخديوي توفيق باشا إمام المعيَّة ومفتيها فقام بمهامّ رتبتهِ الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) وكان يجالسهُ الادباء ويراسلهُ فضلاء عصرهِ وقد جُمعت مكاتباتهُ للشيخ ابراهيم الاحدب في كتاب الوسائل الادبيَّة في الرسائل الاحدبيَّة . ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب سعود المطالع في

مجلدين ضمّنهُ كلاماً واسعاً في ضروب العلوم العربيَّة. ومنها كتابةُ نفح الاكمام في مثلثات الكلام كمثلثات قطرب. وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذهُ صاحبا الجوائب والبرجيس كحكَم ليفصل المناظرات اللغويَّة التي قامت بينهما فكتب كتابةُ النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب فنظم احمد فارس قصيدتهُ الداليَّة التي يقول فيها شاكرًا:

ابدى لنا في مصرَ نجماً ثاقباً لكن ثناهُ بكل مصرٍ هادِ
فيهِ الفوائد والفرائد فُصّلت موصولة البرهانِ بالإسنادِ
ان قال لم يترك لقوَّالٍ مدًى او صال هال وطال كلَّ معادِ
هو فَيصلٌ في الحكم يرضى فصلهُ من كان لم يقنع من الأشهاد
لولاهُ لم يُقطَع لسانُ المفتري عني ولم يُفصَل جدالُ بلادِ
فلذاك كان على الجوائب مدحهُ حقاً وايجاباً مدى الآبادِ

﴿الشيخ عليّ الليثي﴾ كان من اشعر شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة ١٨٣٠ وصرف همّهُ الى العلوم اللغويَّة والادبيَّة فصار منشئاً بليغاً وشاعرًا مفلقاً حتى نظمهُ أُولو الامر في سلك رؤساء المعيَّة السنيَّة. ورافق الخديوي اسماعيل باشا في سفرهِ الى الاستانة سنة ١٢٩٠ ومدح السلطان عبد العزيز. وكان الادباء يتسابقون الى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبتهِ. وقد طال عمرهُ حتى توفي مأسوفاً عليهِ في ٢٥ ك ٢ سنة ١٨٩٦ (١٣١٣ هـ). ولهُ منظومات جمَّة يُجمع منها ديوان الا انها لا تزال متفرّقة. فمن محاسن اقوالهِ رثاؤهُ لعبدالله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النقد أعدلُ غداة انتقت مولى بهِ الفضلُ يكملُ
كأنَّ المنايا في انتقاها خبيرةٌ بكسب النفوس العاليات تُعجّلُ
فتىً لها من منتقى الدُّرِّ حليةٌ بها العالَمُ العُلويُّ انسًا يجلَّلُ

ومنها في وصف الفقيد:

لقد كان ذا برٍّ عطوفاً مهذَّباً سجاياهُ صفوُ القطر بل هي امثلُ
رقيق حواشي الطبع سهلٌ محبَّب الى كل قلبٍ حيث كان مبجَّلُ
كريم السجايا لا الدنايا تشينهُ عظيم المزايا اذ يقول ويفعلُ

شمائلهُ لو قُسّمت في زماننا على الناس لازدانوا بها وتجمّلوا
فقدنا محيّاهُ ولكنَّ بيننا بديع مزاياهُ بها نتمثّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسه سنة ١٢٩٠ :

دعْ ذكر كسرى وقصرٌ ان اردتَ ثنا عن قيصر الروم حيث النفعُ مفقودُ
واشرحْ مآثر مَن سارت بسيرتهِ ركائبُ المجد تحدوها الصناديدُ
مولى الملوك الذي من يُمن دولتهِ ظلُّ العدالةِ في الآفاق ممدودُ
عبدُ العزيز الذي آثارهُ حُمدت ابُ الأُلى جدُّهم في المجد محمودُ
اجاد نظم امور الملك في نسَقٍ لا يعتريهِ مدى الازمانِ تبديدُ
وشاد فوق العلى اركانهُ فغدا لهُ على هامةِ الجوزاء تشييدُ
فلا تَقِسْهُ بأسلافٍ لهُ كرُمتْ والشبلُ من هؤلاء الأُسد مولودُ
ففخرُهم عقدُ درٍّ وهو واسطةٌ في جيد آل بني عثمانَ معقودُ

ولهُ اللاميَّة المشهورة قالها بعد الفتنة العرابيَّة مستعطفاً مستصفحاً عن الجناة :

كلُّ حالٍ لضدّهِ يتحوَّلْ فالزم الصبرَ اذ عليهِ المعوَّلْ
يا فؤادي استرحْ فما الصبرُ الّا ما بهِ مظهرُ القضاء تنزّلْ
قدرٌ غالبٌ وسرُّ الخفايا فوق عقل الاريب مهما تكمَّلْ
رُبَّ ساعٍ لحتفهِ وهو ممّن ظنَّ بالسعي للعلى يتوصّلْ

﴿السيّد عبد الله نديم﴾ هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنهِ فأنشأ عدَّة جرائد سياسيَّة كان يزرع فيها بذور آمالهِ ويُنهض همم مواطنيهِ حتى لُقِّب بخطيب الشرق . ولمَّا ثارت الفتنة العرابيَّة نُفي من وطنهِ ثم صُفح عنهُ وبعد قليل اضطرَّ الى مغادرة بلادهِ فتوجَّه الى الاستانة ونال الحظوة لدى السلطان وما لبث ان توفي في القسطنطينيَّة سنة ١٣١٤هـ. وكان مولدهُ بالاسكندريَّة سنة ١٢٦١ (١٨٤٤–١٨٩٦)

وكان عبد النديم خطيباً لسناً متوقد الذهن صافي القريحة شديد العارضة متفنّناً في الكتابة نثراً ونظماً لهُ ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغويَّة وادبية طُبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم وهو في نثرهِ سهل

العبارة قريب المعاني يتحاشى كل تصنُّع . فمن اقوالهِ ما ذمَّ بهِ الخمرة :

طافَ النديمُ بكأسهِ في الحانِ ومشى يزفُّ البكرَ بالالحانِ
برزتْ تُقهقهُ بين ندمانِ الطلا فخجلتُ اذ ضحكتْ على الاذقانِ
ذلَّت لدولة حُكمها دُوَلُ الورى من غير ما حربٍ ولا اعوانِ
خفَّت فطارت بالعقولِ وخلَّفت تلك الجسوم بحالةِ الحَيْرانِ
ايُّ المحاسن ابصروا في وجهها وهي العتيقة من قديمِ زمانِ
أمُّ الخبائث بنتُ عُسلوج الهوى اخت الحشائش زوجة الشيطانِ
مَن زفَّها من خدرها لفؤادهِ صرعتْهُ عند مزالق الأطيانِ
واذا تستَّر في ترشُّفها بدتْ من فيهِ تفضحهُ لدى الاخوانِ
واذا مشى لعبتْ بهِ من مكرها فيقال هذي مشية السكرانِ

ومن اوصافهِ الحسنة قولهُ يصف قطارًا بخاريًّا :

نظر الحكيم صفاتهِ فتحيَّرا شكلًا كطَوْدٍ بالبخار مُسيَّرا
دومًا يحنُّ الى ديار اصولهِ بحديد قلب باللهيب تسعَّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تربدهُ وُجدًا فيجري في الفضاء تسترا
تلقاهُ حالَ السَّير أفعى تلتوي او فارسَ الهيجا اثار العِثْيرا
او سبعَ غابٍ قد احسَّ بصائدٍ في غابهِ فعدا عليهِ وزمجرا
او انَّها شهبٌ هوت من افقها او قبَّة المنطادِ تنبذ بالعرا

ولهُ في الفخر والحماسة :

اذا ما المجدُ نادانا اجبنا فيظهر حين ينظرنا حنينا
فانَّا في عداد الناس قومٌ بما يرضى الالهُ لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلُمنا ولكنَّا نُحبنا ان نَحينا
وان شئنا نثرنا القول درًّا وان شئنا نظمناهُ ثمينا
وان شئنا سلبنا كلَّ لبٍّ وان شئنا سحرنا المنشئينا

﴿محمد عثمان جلال﴾ هو ابن يوسف الحسني الوناني ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) ودرس في صغرهِ اللغات في مدرسة الالسن في حيّ الازبكيّة ثم دخل سنة ١٢٦١

(١٨٤٤) في قلم الترجمة ثم انتدبتهُ الحكومة لاشغال الكتابة في وزارتها الى ان استوزره توفيق باشا الخديوي واتخذهُ لصحبتهِ في رحلتهِ الى جهات القطر المصري فكتب تأليفهُ «السياحة الخديوية» ثمَّ تقلَّد القضاء في محكمة الاستئناف وأحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاتهُ في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨ . وللمترجم عدَّة تآليف نقل بعضها من الافرنسيَّة كرواية پول وڤرجيني وكامثال لافونتين نظمَها بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ دونك مثالًا منها وهو مثل البخيل والدجاجة :

كان البخيلُ عنده دجاجهْ ... تكفيهِ طولَ الدهر شرَّ الحاجهْ
في كل يومٍ مرَّ تُعطيهِ العجبْ ... وهي تبيضُ بيضةً من الذهبْ
فظنَّ يومًا انَّ فيها كنزا ... وانهُ يزداد منهُ عزّا
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ ... وكان في يمينهِ سكّينُ
وشقَّها نصفَينِ من غفلتهِ ... اذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزًا ولا لَقيَهْ ... بل رِمَّةً في حُجرِهِ مرميَّهْ
فقال : لا شكَّ بأنَّ الطمعا ... ضيَّع للانسانِ ما قد جمعا

وكان محمد عثمان يحبُّ اللغة المصريَّة العاميَّة فنقل اليها عدَّة روايات تمثيليَّة عن الشاعرين راسين وموليار تصرَّف فيها بعض التصرُّف . ومن ظريف شعرهِ قولهُ يمدح الحضرة الخديويَّة العباسيَّة سنة ١٣٠٩ :

مَنْ يضاهيكَ في العلى مَنْ يُداني ... يا عزيزًا لهُ علينا يدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يعتريها ... عارضُ الميل فهي كالميزانِ
ويدٌ في العطاء كالنيل قد فا ... ض بإنعامهِ على البلدانِ

ولهُ في رثاء عبد الله باشا فكري :

همامٌ علا فوق السماك بفكرهِ ... فمن ثمَّ سمَّتهُ الافاضلُ بالفكري
فتى غاص في بحر المدارس رأيُهُ ... فأخرج من حصبائهِ غاليَ الدرِّ
وسال غديرٌ من عذوبة لفظهِ ... فأنضج اثمارًا على يانع الزهرِ
زها نجمهُ دهرًا بمصرٍ فلم يجدْ ... قرينًا ولكن لا امانَ الى الدهرِ

ثلاثُ لغاتٍ كالعرائس حازها جميعَه لا بالجهاز ولا المَهرِ
من العرب العرباء كان اذا حكى وحرّر بالنظم البديع او النثرِ
وكان لاهل الفارسيّة تحفةً بعلومه الوهبيّ يحكي ليزدَجِرِ(١
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضّلةً من فضل زيد على عمرِو
فوا اسفًا واراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداء القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ أورث الغاب شِبلَهُ ولا كان هذا الغابُ يخلو من الزأرِ

ومن جمع في مصر بين الآداب التركيّة والعربيّة ﴿حسن حُسني الطويراني﴾ وُلد في مصر سنة ١٢٦٦هـ (١٨٥٠م) وتوفي في الاستانة سنة ١٣١٥ (١٨٩٧م) نشط مُنذ حداثتهِ الى العلم والادب حتى برز بين كتّاب زمانهِ وقضى قسماً من عمرهِ في السياحة في افريقية وآسية وبلاد الروملي وانشأ عدَّة جرائد كالزمان والانسان والنيل والعدل ومجلّة المعارف والمجلة الزراعيّة. وألف تآليف عديدة دينيّة واجتماعيّة وادبيّة بعضها تركيّة وبعضها عربيّة. ولهُ ديوان شعر دعاهُ ثمرات الحياة اختار منهُ قسماً عبد الغني العريسي وطبعهُ في مصر سنة ١٣٢٥ . فهذه بعض امثال نقتطفها منهُ قال مفتخرًا :

ان كنتَ محتقرًا حالي وتجهلُها سَلْ عارفًا عن شأني فتعرفَني
انا الذي ما سعتْ بي للخنا قدمٌ ولا شكا همّتي مَن كان يصحبُني
لي جانبٌ لصديقي هيّنٌ ابدًا وجانبٌ لعدوّي ثمّ لم يلنِ
ولي لسانٌ ارى ان تبقى بضاعتهُ ولي فؤاد بحبّ الباقياتِ فَني

وقال ايضاً :

غيري تغيّرهُ الصروفْ وسِواي تُفزِعهُ الحتوفْ
وانا الذي لا عيبَ لي إلّا افتحامي للمَخوفْ
لا أتّقي بأس القوي ولا يَرى بأسي الضعيفْ
حسبي يُقال : سكوتهُ ادبٌ ومَنطِقهُ شريفْ

ومن حكمهِ :

١) اراد يزدجرد وهو ازدشير فرخشه

لا تقلْ اني صديقٌ او فلانٌ لي صديقْ
انّما انت وهذا لرفيقٍ في طريقْ
فاجتماعٌ في اتساعٍ وافتراقٌ وقت ضيقْ

ومن محاسن اقواله :

انّ الحياة وطيبها ونعيمها مما يؤمَّلُ في الزمان ويُعشَقُ
غاياتنا فيها بدايةُ غيرنا كالشمس مَغرِبُها لغيرك مَشرِقُ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممن تخصّصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الاعمال فصنّفوا فيها المصنّفات المفيدة . منهم «محمود باشا الفلكي» ولد سنة ١٢٢٠ في مديريّة الغربيّة وتوفي في مصر سنة ١٣٠٣ (١٨٠٥—١٨٨٦) تقلّب في المناصب الخطيرة وتولّى وزارة المعارف . وقد عُرف خصوصاً بتآليفهِ الفلكيّة ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخيّة لاسيما العربيّة ووصف مقياس النيل . ولهُ ايضاً بعض التآليف الاثريّة كرسالتهِ في الاسكندريّة القديمة وفي الاهرام وغير ذلك وقد صنّف بعض هذهِ التآليف في الافرنسيّة فحلّ بين علماء الافرنج محلًّا اثيرًا

ومنهم «محمّد مختار باشا» كان مولدهُ في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ تعلّم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجنديّة وترقّى فيها الى رتبة لواء سنة ١٨٨٦ وقد اشتهر في حروب السودان . وكان متضلّعاً بالعلوم الفلكيّة والرياضيّة ألّف فيها عدّة تآليف بالعربيّة والافرنسيّة . ولهُ ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصّة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الاميركيّ وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة رسائل حسنة

ومنهم «محمد علي باشا الحكيم» ولد سنة ١٢٢٨ في مديريّة المنوفيّة درس العلوم الطبيّة فنال منها حظًّا وافرًا الى ان تعيّن رئيساً للمدرسة الطبيّة في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلتهِ الى اوربّا . ولمّا انتشبت الحرب المصريّة مع الحبشة سنة ١٨٧٧ سار في رفقة الحملة الى تلك البلاد وفيها توفي سنة ١٢٩٣ (١٨١٣—١٨٧٧) ولهُ تآليف طبيّة في فنون الجراحة وقانون طبي ورسائل مختلفة

وقد اشتهر مثله في الطبّ والجراحة «الدكتور درّي باشا» الذي وُلد وتوفي في القاهرة (١٢٥٧—١٣١٨=١٨٤١—١٩٠٠) ودرّس في مدرسة القصر العيني وألّف

التآليف المشهورة في الطب كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنّف غير ذلك ايضاً كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدرّية في مآثر العائلة الخديويّة. وفيهِ قال الشيخ علي ابو يوسف الازهري يمدحهُ :

لو نلتُ في الدهر ما ابغيهِ لم ترَني في مدحِ من شئت الّا ناظمَ الدُرَرِ
او كنتُ ادلجتُ في المسرى فليس الى شيء يكون سوى للكوكب الدرّي
او ان ألمَّت بيَ الاسقامُ في زمنٍ لم استطبَّ سوى بالماهر الدرّي
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ الّا ونادى بهِ يا كاشف الضررِ

وممّن حصل لهُ شهرة في الطبّ في مصر «حسين بك عوف الكحّال» المتوفى سنة ١٣٠١ (١٨٨٣) و«محمد بك حافظ» المتوفى سنة ١٣٠٥ (١٨٨٧) درسا امراض العيون في القصر العيني ثمّ في اوربا. ونشر الاول كتاباً في الرَّمَد والثاني في تشخيص امراض العين. وفاق عليها شهرةً «سالم باشا سالم» في العلوم الجراحيّة التي اتقنها في مدارس المانية ثمّ أُسندت اليهِ رئاسة مدرسة الطبّ في القاهرة فنشر عدّة تآليف طبيّة اشهرها وسائل الابتهاج الى الطبّ الباطني والعلاج. توفي سنة ١٣١١ (١٨٩٣). ونال في الصيدلة نصيباً حسناً «علي بك رياض الصيدلي» المتوفى سنة ١٣١٧ (١٨٩٩) لهُ تآليف في الاعمال الاقرباذينيّة والمادّة الطبيّة والتاريخ الطبيعي

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضيات والموسيقى الشرقية «شفيق بك» ابن منصور باشا يكن ولد في القاهرة ١٨٥٦ ومات في عزّ شبابهِ سنة ١٨٩٠ بعد ان خدم العلم مدّةً بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفهِ كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في اصول الحساب والجبر والهندسة والهيئة ورسالة في الموسيقى عرّب تأليف مختار باشا «رياض المختار» من التركيّة ونقل تاريخ مصر للجبرتي الى الافرنسيّة. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات الى غير ذلك ممّا أثار الاسف على فقدهِ قبل بلوغهِ الكهولية

وقد كان لغير هؤلاء المدريين بعض الشهرة ايضاً في فنون شتّى كالشيخ (ابراهيم ابن عبد الغفّار الدسوقي) الذي ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٣٠١ (١٨١١—١٨٨٣م) ثم بعد ان درس في الازهر تولى فيهِ تعليم العربيّة ثم نُقل الى الهندسخانة الخديويّة

واشتغل في الرياضيَّات وسعى بطبع الروضة السندسيَّة في الحسابات المثلثيَّة · وتعيَّن مدَّة لتصحيح مطبوعات بولاق وانشأ جريدة الوقائع المصريَّة · ومن تآليفهِ حاشية على المغني · وعليهِ درس العربيَّة المستشرق الانكليزي لان (E. W. Lane) الشهير بمصنَّفاتهِ الشرقيَّة ولاسيما معجمهُ العربي الانكليزي الواسع

ومنهم الاديب عبده حمولي (١٨٤٥ – ١٩٠١) نبغ بالموسيقى العربية واعاد لها شيئاً من رونقها المطموس بما وضعهُ من الأنغام واحدثه من اصول الفنّ

«ادباء العراق» اصاب قطرَ العراق بعض الخمول في اواخر القرن التاسع عشر فلم ينلْ فيهِ الشهرة في الكتابة الَّا القليلون · هذا الى انقطاع اخبارهم عنَّا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات

ومن اتَّصلت بنا منظوماتهُ «الملَّا حسن الموصلي البزَّاز» اشتهر في اواسط القرن التاسع عشر وتوفي في عشرهِ الاخير · لهُ ديوان شعر طُبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهمَّة تلميذه الحاج محمد شيث الجومرد الموصلي الذي ذيَّل الديوان بنبذٍ من شعرهِ · وقد اتَّسع حسن البزَّاز في قصائدهِ بمدح اصحاب الطرائق المتصوّفين · ومن شعرهِ ما وصف بهِ اشتداد البرد وسقوط الثلوج في الموصل في اواخر رجب سنة ١٢٧٧ (كانون الثاني ١٨٦١) :

تجلَّى علينا عارضٌ غيرُ ماطرٍ ... ولكنَّهُ بالثلج عمَّ نواحيا
فاصبحتِ الخضراءُ بيضاءَ قدزهت ... وعادت رباها والبطاحُ كواسيا
وكم بسطت منهُ يدُ البردِ والشتا ... بساطاً على وجه البسيطة باهيا
وكم جبلٍ راسٍ يقول مُفاخرًا ... ألم تنظروا قد عمَّم الثلجُ راسيا
فقلتُ بهِ اذ كان شاذًا وقوعهُ ... ليذكرهُ من بعدُ من كان باقيا
غمامٌ بكانونٍ بدا يا مؤرخاً ... حبا مصرنا بردًا من الثلج زاهيا (١٢٧٧)

ومن ظريف قولهِ في حبهِ تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عزَّ وجلَّ :

لئن لم يكن في الصالحات مَثوبةٌ ... وليس على العصيان منهُ عقابُ
لَطاعتهُ عندي نعيمٌ وجنَّةٌ ... وعصيانهُ قبل العذاب عذابُ

وقال يرثي اخويهِ عليًا ومصطفى :

يبكينَ حماماتُ الأراك لغربتي ونحنَ على فقدان ما انا فاقدُ
لقد غاب عني فرقدٌ بعد فرقدٍ وقد بات عني ماجدٌ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير انني جم ملحقٌ يوماً وما انا خالدُ

ومن أدباء العراقيين «ابراهيم فصيح الحيدري» كان مولدهُ في بغداد سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) من بيت علم وفضل وسافر الى دار الخلافة وحصلت لهُ رتبة الحرَمين مدَّة وتولَّى نيابة القضاء في بغداد ولهُ بعض التآليف وفيها الغثّ والسمين توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٨١م)

ومنهم السيد «صالح القزويني» هو ابن السيد مهدي الحسيني. ولد في النجف في اواسط شهر رجب ١٢٠٨ (١٧٩٣ م) وبها توفي في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٠١ (اوائل كانون الثاني سنة ١٨٨٣ م انقطع منذ حداثتهِ الى درس العلوم الدينيَّة والدنيويَّة على مشايخ وطنهِ فتضلَّع منها ثمَّ نبغ بالشعر فقصد القصائد وتفنَّن في المنظومات. وقد جمع شعرهُ في ديوانين واسعين. وانتقل في شبابهِ الى بغداد فوجد بين اهلها اطيب مثوى الى آخر حياتهِ. فمن شعرهِ قولهُ في وصف بغداد:

تاللهِ ما الزوراء الّا جنَّة الفردوس فيها وافرُ النعماء
ما الترب الّا عنبرٌ ما الماء الّا كوثرٌ يبري عُضالَ الداء
وكأنَّ بين رياضها وحصائها دررٌ على ديباجةٍ خضراء

ومن حكمهِ قولهُ:

لم يشرَبِ الصَّفوَ من لم يشرب الكدرا وليس يحظُرُ من لم يركبِ الخطرا
ولم يفُزْ بالمُنى من ذلَّ جانبهُ ولم يطُلْ في الورى مَنْ باعهُ قَصُرا
أولى الورى بالعُلى من كان اكرَمها كفًا واشرفها ذكرًا اذا ذُكرا
جرِّدْ لنيل المعالي صارماً ذكرًا من العزائم يبري الصارمَ الذكرا
ومُدَّ كفًّا الى العلياء باسطةً للمجد بُردًا بطيِّ اليدِ منتشرا
شمِّر من العزم اذيالًا وكن رجلًا بالحزم يملا سماعَ الدهرِ والبصرا

ومنهم «الشيخ اسماعيل الموصلي» ولد في الموصل وجاء الى بغداد في ابان شبابهِ ودرَّس في مدرسة الصاغة عدة سنين حتى وفاتهِ في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٢

(١٨٨٤) وكان حنفيَّ المذهب على الطريقة النقشبنديَّة. وكان إماماً في العلوم اللدنيَّة وبرز في النحو وفي الفنون النقليَّة والعقليَّة. وقد اعقب جملةً من الابنـاء كلُّهم من طلبة العلم اكبرهم محمد راغب خلف اباهُ في التدريس. ولاحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم ويثني على معارفهِ منها:

كل ما لذَّ فذلك عندي   أَلَمٌ غير ذكر إبراهيما
عبقريٌّ مهذَّبٌ قد حوى في   صدرهِ قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحاً وقد جا   ء فصيحاً بكل فنٍّ عليما
كم لهُ من متنٍ وشرحٍ افادا   واجاد المنثورَ والمنظوما
وقوافٍ من كل بحرٍ اذا ما   سُردت خلتهنَّ درًّا نظيما
عن ابيهِ وجدّهِ مستفيضٌ   كلُّ فضلٍ فكان ارثًا مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعتهِ عنهُ وانتصارهِ لهُ :

ردَّ عني السفيهَ بالنظم والنثـ   ـرِ فكانا لذا الرجيم رُجوما
عَلِم الناسُ ابرهيمَ خليلاً   وصديقاً لي ان دعوت حميا
هذه مدحتي فان كنت قصَّر   تُ فاني مدحتُ برًّا حليما

ومنهم ﴿عبد الله افندي العمري الموصليّ﴾ من ادباء وطنهِ المعدودين واحـد روساء علماء العراق. لهُ فصول نثريَّة واشعار متفرّقة لم تُجمع حتى اليوم وقـد مدحهُ علماء زمانهِ منهم عبد الباقي العمري نسيبهُ حيث قال :

ليت شعري ماذا اقول بمولًى   قد اقرَّت بفضلهِ الاعداء
فيهِ قرَّت عيونُنا واستنارت   وازدهت في ورودهِ الحضراء
يا اديباً سما سماء المعالي   كيف ترقى رُقيَّك الادباء
نلتَ حدَّ الإعجاز نظماً لهذا   خرستْ دون نطقك الفصحاء
انت يا سيدي بغير رثاهِ   خُتِمَ النظمُ فيك والانشاء

ورثاهُ حسن البزَّاز فقال من قصيدةٍ :

قضى الحبرُ الذي للعلم جبرٌ   بهِ فرجاءُ اهل العلم يأسُ
كفى ما قد جرى ان غاض بحرٌ   وغابت من سماء المجد شمسُ

اساء الموتُ فيهِ كلَّ نفسٍ وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهير بكل فضلٍ تباهى فيهِ العلياء رأسُ
كأن الموت نقّاد بصيرٌ احسَّ بما يحاول منهُ حسُّ
تفرَّد فانتقى منا نقياً تحسَّر بعده عربٌ وفُرسُ

وجارى عبد الله افندي العمريَّ في معارفهِ وبلاغة كتاباتهِ ﴿ شهابُ الدين العلويّ ﴾ احد رجال وطنهِ المقدَّمين يعدُّهُ العراقيُّون كفارس حَلْبة الآداب في زمانهِ . لهُ ديوان شعر لم يُنشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصره ويُناوبهم الرسائل الادبيَّة والقصائد الرنَّانة ومن شعرهِ الذي قالهُ في الوصف قصيدتهُ التي رويناها في المشرق (١٠ : ٧٤٠) يصف فيها طغيان دجلة اوَّلها :

طغيان دجلة خطبٌ من الخطوب المخلَّهْ

ومن شعرهِ ابيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي :

حديقةٌ أَثمرتْ اوراقُها حِكَماً لنا ثماريجُها امتدَّت وقد ينعتْ
فمن يشأْ يتفكَّهْ في مناقبها ومن يشأْ يتفقَّهْ بالذي شرعتْ
طالعْ تُقابلْكَ مرآة الزمان بها وانظرْ الى صورة الدنيا وقد نصعتْ
كم أَودعتْ نُبَذاً للسمع قد عَذُبتْ ومن ذا ومن قلب ذاك الصدر قد نبعتْ
على الكمالات طبع اللطف أرَّخها لطفاً مقاماتُ ناصيفَ التي طُبعتْ (١٨٨٥)

ولهُ قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان سنة ١٨٩٠ اوَّلها :

من قوم عيسى جانبٌ تهدَّما والدهرُ قد نكَّس منهُ علَما
خطبٌ جسيم ومصابٌ عَظُما بموت من ابكى عليهِ الأُمَما
قد فقدوا منهُ حكيماً حكَما وكان ذا علم بطبِّ الحُكَما

وممَّن مدح الشيخَ شهابَ الموصلي صاحبُ الجوائب فقال فيهِ من ابيات :

شِهابُ العصر خلَّاقُ المعاني فهل من ذاكر للأرَّجاني
عزيز الشأن تفتخر المعاني بهِ فخر المعالي والمغاني
ولعمرُكَ انَّ ما يلقيهِ قولاً ليحكي ما يُنسَّق بالبنانِ

فذاك الدرُّ للأسماعِ حليٌ وهذا الشذرُ نورٌ للعيانِ
وصفتُ حلاهُ عن بُعدٍ كأني اراهُ في علاهُ على التداني

ولا نعلم ايَّ سنة توفي الشهاب الموصليّ . كما أننا لم نقف على تفاصيل اخباره

ونُلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين اشتهروا في الهند احدهما « السيد صديق حسن خان » وهو ابو الطيّب القَنوجيّ البخاري ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٤) في قنوج واتّصل بخدمة بعض ملوك الهند خان بهادر وافاد مالًا كثيرًا حتى تزوّج بملكة بهوپال في الاقليم الهندي المسمى دِكان وجمع مكتبةً واسعةً واشتغل بالعلم ونشر عدّة مصنّفات زعم البعض انّها ليست لهُ وانّما كلّف العلماء بتصنيفها فعزاها لنفسهِ كفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب العبرة ممّا جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبلغة في اصول اللغة والعلَم الخفّاق في الاشتقاق ولفّ القماط على تصحيح بعض ما استعملتهُ العامّة من المعرّب والدخيل والمولّد والاغلاط وكتاب لقطة المجلان وكتاب غصن الباق المورق بمحسّنات البيان وكتاب ابجد العلوم . وقد جمع في كتاب دعاهُ قرّة الأعيان ومسرّة الاذهان ما اثنى بهِ عليهِ أُدباء الزمان . توفي صديق حسن خان سنة ١٨٨٩ بعد ان تجوّل مدّة في البلاد وصارت لهُ سمعة واسعة

والاديب الثاني هو السيّد « حيدر الحلّي » وُلد سنة ١٢٤٦ (١٨٣١ م) وتوفي سنة ١٣٠٤ (١٨٨٧م) برز بنظم الشعر منذ شبابهِ فدُعي بشاعر العراق . طُبع لهُ ديوان في بمباي في الهند معظم قصائدهِ في النسيب والفخر والمديح . وهذه ابيات من محاسن قولهِ في الرثاء :

أأحبابنا هل عائدٌ بكمُ الدهرُ طواكم وعندي عن شمائلكم نشرُ
سلامٌ على تلك المحاسنِ انّها مضتْ فمضى في إثرها الزمنُ النَّضْرُ
ليَ الله بعدَ اليوم مَنْ لي بقربكم وأبعدُ غادٍ مَنْ أتى دونهُ القبرُ
قِفوا زوِّدونا انّما هي ساعةٌ ووعدُ التلاقي بيننا بَعدها الحشرُ
رحلتم وقلبي شطرهُ في ظعونكم وللوَجدِ باقٍ منهُ في أضلُعي شطرُ
وشيَّعتكم والدمعُ يوم نواكمُ غريقانِ فيهِ خلفكم انا والصبرُ
فكم خلفكم لي أنّةٌ ما لوتْ بكم على أنّها قد لانَ شجوًا لها الصخرُ
سابكيكمُ ما ناحَ في الوكر طائرٌ فطائرُ قلبي بعدكم ما لهُ وكرُ

وقال يمدح صَرعى العلويين :

سَقيًا لثاوين لم تُبْلَلْ مضاجعهم ... إلّا الدماء وإلّا الأدمعُ السُّجُمُ
افناهمُ صبرُهم تحت الظُبا كرمًا ... حتى مضَوا ورداهم بِلَوْهِ كرَمُ
مشَوا الى الحربِ مَشْيَ الضاريات لها ... فصارعوا الموتَ فيها والقَنا أجُمُ
فالحربُ تعلمُ إن ماتوا بها فلقدْ ... ماتتْ بها منهمُ الاسيافُ لا الهمَمُ
عهدي بهم قِصَرُ الاعمارِ شأنُهمُ ... لا يهرَمونَ وللهيَّابةِ الهرَمُ

واشتهر كذلك في العراق السيّد « جعفر الحِلّي » المولود في اعمال الحلّة سنة ١٢٧٧ والمتوفي في عزّ شبابهِ في النجف سنة ١٣١٥ (١٨٦٠–١٨٩٧م). كان شاعرًا مكثرًا في شعرهِ الحسَنُ والسقيمُ وقد طبع شعرهُ في صيداء سنة ١٣٣١ مدح اشراف القوم وخصوصاً امراء نجد. ومن لطيف قولهِ يهنئ شاه العجم مظفَّر الدين بعد قتل سلفهِ ناصر الدين :

حَلَّ المظفَّرُ لمّا الناصرُ ارتحلا ... فما خلا الدستُ حتى قيل فيه حلا
وجهٌ تخفّى ووجهٌ بانَ رونقهُ ... كالنيِّرَين بدا هذا وذا أفَلا
نحسٌ وسعدٌ بآفاق العُلى اعتركا ... فالحمدُ لله اذ نجمُ السعودِ علا
مالت جوانبُ تختِ الملكِ واعتدلتْ ... برهانَ ما مالَ تختُ الملكِ واعتدلا
ما جرَّع الدينَ صابًا فقدُ ناصرهِ ... حتى دعاهُ ابنهُ ان يجتني العسَلا
كذي يدَين اباد الله واحدةً ... بقوّةِ البطشِ والاخرى اتّقوتْ شللا
فسلَّمَ الله للاسلامِ حارسَهُ ... ويرحمِ الله من في نصرهِ قُتلا
قام الزمان سريعًا من تعثُّرهِ ... كبا على وجههِ ثمَّ استوى عجلا
لقد بكينا على مَنْ قد مضى حزَنًا ... كما ضحكنا بمن أبقى لنا جذلا

ومن شعراء العراق في اواخر القرن التاسع عشر « الشيخ ملّا كاظم الازري » تفنّن ايضاً في الشعر فعُدَّ من فحولهِ وكُثر ديوانهُ في بمباي. وممّا استحسنّا لهُ من الحكم قولهُ :

ان رُمتَ توطئةَ المرامِ الأصعبِ ... فاركبْ من الإقدامِ اخشنَ مركبِ
إربأْ بنفسك ان تَذودك شهوةٌ ... دون انتصابِكَ فوق اشرفِ منصبِ

لا تكثرنَّ من الشبابِ وذكرهِ   انتَ ابنُ يومِكَ لا ابنُ ماضي الاحقبِ

ومنها :

كم من اخٍ لك غيرِ أُمّك امُّهُ   تُنسيك سيرتُهُ إخاء المَنسبِ
من لم تُؤدّبه خلائقُ طبعهِ   أَلفيتَهُ بالسيفِ غيرَ مؤدَّبِ
فاحذر عداواتِ الرجالِ ودارها   إن لم تكن جَدَّتْ لديك فرحِّبِ
وافطَنْ لأدويةِ الامور فانَّما   سمُّ الافاعي غيرُ سمّ العقربِ
واذا تنكّبهُ من مكان ريحهُ   فتخطَّ منهُ الى المكانِ الاطيبِ

وفي هذه الحقبة ازهر في مكة شيخ علمائها «احمد بن زيني المعروف بدحلان» ولد في حاضرة الحجاز وتولّى الافتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدّة وفي زمانهِ أُنشئت في مكّة اوّل مطابعها فكان السيّد دحلان متولياً نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمهِ كالجداول المرضيّة في تاريخ الدول الاسلامية وكتاب الفتوحات الاسلاميّة في جزءين كبيرين . وكان طبع في مصر قبل ذلك كتباً أُخرى كالسيرة النبويّة والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام طبعهُ في مصر ثم اضاف اليهِ ملحقاً طبعهُ في مكة . توفي الشيخ دحلان سنة ١٨٨٦ في المدينة بعد ان سار اليها في رفقة الشيخ عون الرفيق لمّا خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا

ونختم هذا الفصل في ادباء المسلمين بذكر احد مشاهير رجال الدولة التركيّة الذي رفع في أُمّتهِ لواء الاداب فضلاً عما احرزهُ من المجد في تدبير الامور وحسن السياسة نعني بهِ الوزير الخطير «احمد جودت باشا» . وُلد في لوفجة في ولاية الطونة سنة ١٢٣٨ (٨٢٢) وانكبَّ منذ حداثتهِ على درس العلوم الدينيّة والدنيويّة وبرع في اللغتين الفارسيّة والعربيّة فضلاً عن لغتهِ التركيّة . وليس من غايتنا ان نتقفّى آثار المترجم في المأموريّات التي تولّاها والمناصب التي تقلّب فيها في كل الدواوين منها الاحكام العدليّة ونظارة المعارف الى ان بلغ رتبة الوزارة السامية وانتظم في سلك شورى الدولة . وانَّما نكتفي بذكر مؤلفاتهِ فاعظمها شأناً تاريخهُ لآل عثمان في تسعة مجلّدات عرّب جزءهُ الاوّل جناب عبد القادر افندي الدنا فطبعهُ في بيروت سنة ١٣٠٨ . ولهُ رسائل عربيّة وتعليقات . ونقل قسماً من مقدّمة ابن خلدون الى

التركيَّة وصنف عدَّة كتب مدارسيَّة للاحداث ظهر بعضها في العربيَّة. وكان جودت باشا احد الاتراك القليلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغاً واسعاً. امَّا معارفهُ في اللغة التركيَّة فيُعدُّ فيها اماماً وحجَّةً. كانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ (١٨٩٤)

ومن أدباء الاسلام في تونس ﴿الشيخ محمد بيرم﴾ ولد فيها سنة ١٢٥٦ وتوفي في مصر سنة ١٣٠٧ (١٨٤٠-١٨٨٩) تقلَّب في بلادهِ في المناصب الخطيرة كنظارة المطابع ونظارة الاوقاف. وقد لعب دوراً مهماً في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنهِ وعَضد الشورى الَّا انَّ آمالهُ خابت بعدَ فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل الى مصر وخدم فيها السياسة الانكليزيَّة ووُلّي القضاء في محكمتها الابتدائيَّة. ولهُ آثار ادبيَّة اخطرها كتابهُ صفوة الاخبار بمستودع الامصار ضمَّنهُ تاريخ تونس واخبار سياحاتهِ في انحاء اوربَّا. ولهُ ردٌّ على رينان في ما كتبهُ عن الاسلام وكتاب في فنّ العروض ومقالات اجتماعيَّة حاول فيها بيان طرق اصلاح الاسلام وتقريبهم من عوامل التمدُّن الحديث

أدباء النصرانيَّة في هذهِ المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تلقَّنوا الآداب العربيَّة في مكاتب مللهم الخاصَّة او في نوادي العلوم التي انشأها المرسلون ولو اردنا ذكرهم فرداً فرداً لاتَّسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برَز بينهم بمعارفهِ

كان في مقدَّمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة واساقفة وكهنة افاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيّبة في ترويج اسواقها فضلاً عمَّا خلَّفوهُ من آثار قلمهم. فكان على الطائفة المارونيَّة السيد السند ﴿البطريرك بولس مسعد﴾ رعاها مدَّة ٣٦ سنة بتُقى واجتهاد وكانت وفاتهُ في اواسط نيسان من السنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة. وكان متضلّعاً بالتاريخ الشرقي الديني والعالميّ ومن آثارهِ كتابهُ التحفة الغرَّاء في دوام بتولية العذراء وكتابهُ الدرّ المنظوم الذي طبع في طاميش وسعى هناك بطبع لاهوت القديس الفونس ليغوري معرَّباً الى غير ذلك من الاعمال المفيدة

واشتهر بين اساقفة الموارنة المطران ﴿يوحنا حبيب﴾ مطران الناصرة شرفاً

(١٨١٦—١٨٩٤) ومنشئ جمعيَّة المرسلين الكريميين · تولى في لبنان القضاء زمناً على عهد الامير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تأليفاً · ومن مآثرهِ تعريب اللاهوت الادبيّ للاب يوحنا غوري اليسوعي في مجلدين وذيَّل ترجمتهُ بملحوظات فقهيَّة من الشرع الحنفي · وله ردّ على الشيعة الماسونيَّة وعدَّة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة اماً جمعيَّة المرسلين اللبنانيين فانَّما انشأها سنة ١٨٦٥ ونُسبت الى الكريم وهو الدير الذي اتخذه في لبنان لادارتها

وممن عُرفوا بسموّ الهمَّة في تعزيز الآداب في الربع الاخير من القرن السابق اساقفة حلب الموارنة « السيّد يوسف مطر ١٨١٤—١٨٨٢» انشأ في الشهباء مكتباً لملَّتهِ واستجلب اليها مطبعة ادَّت للحلبيين خدماً مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٣٥٨) · ودرج ادراجهُ خلفهُ « السيد بولس حكيم الحلبي ١٨١٧—١٨٨٨ » له مواعظ وخطب شتى · وكان يقول بديهاً القدود والقصائد والزجليَّات اللطيفة والاناشيد التقويَّة على اللهجة العاميَّة

وأناف عليها شهرةً خلفها السيّد « جرمانوس الشمالي » من سُهَيلة كسروان المولود سنة ١٨٢٨ والمتوفى في ٨ ك ١ ١٨٩٥ تهذَّب في مدرسة مار عبدا هرهريا الاكليريكيَّة وبرع في معرفة اللغتين العربيَّة والسريانيَّة وعلَّم هناك مدَّة عشر سنين بعد كهنوتهِ سنة ١٨٥٥ ثمَّ انضوى الى جمعيَّة المرسلين اللبنانيين فكان احد اعضائها المتازين باعمالهِ الرسوليَّة وتقاه وبلاغتهِ الى ان رقَّاهُ غبطة البطريرك يوحنا الحاج الى رئاسة اسقفيَّة حلب سنة ١٨٨٨ فاخذ اسم جرمانوس ذكراً بنابغة حلب السيد جرمانوس فرحات فساسها مدَّة سبع سنين بحكمة عجيبة وغيرةٍ لم تعرف الملل حتى أدَّى بهِ تفانيهِ في خدمة رعيَّتهِ الى انحلال القوى ثم الى انقضاء الاجل يوم عيد حبل العذراء بلا دنس · وكان السيد جرمانوس مثالاً حيَّاً لكل الفضائل الاسقفيَّة · امَّا شهرتهُ في الآداب العربيَّة فتشهد عليها آثارهُ الباقية · منها مجلدان ضمَّنهما مجموع خطبهِ وعظاته ثم ديوانه المسمَّى « نظم اللآلئ » وفيهِ كثير من المنظومات الجيِّدة · وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياتهِ مطوَّلةً (٥ : ٨٥٠—٨٦٠) فنحيل اليها القرَّاء · وهذا مثال من شعرهِ نضيفهُ الى ما هنالك وهو مدحهُ لمصر قالهُ سنة ١٨٨٩ :

أحسن بمصرَ وما شاءت مَواليها — مَن لي بجادٍ الى مدحٍ يوازيها
عاينتُ اكثرَ مما كُنت اسمعهُ — من عزّةِ النفس والتقوى بأهليها
محروسةٌ صانها المولى بقدرتهِ — وعينهُ لم تزل يَقظى تراعيها
فيها مباني عِمادِ المجد من قِدَمٍ — تُعدُّ اعجوبةً الدنيا مبانيها
من فائض النيل تُسقى مثلما شرعت — من فائض العلم تَسقي مَن ثوى فيها
تبارك الله ما اشهى خمائلها — تستنشق الروح ريَّاها فتُحييها
فالبحرُ اوسطُها والبرُّ حاط بها — والسهلُ والوعر كلٌّ من فحاويها
سبحان من يجمع الدنيا بواحدةٍ — فتحتوي كلَّ ما تحوي اقاصيها
أهرامها الشمُّ والآثار شاهدةٌ — بعزّةِ الملك من اعصار بانيها
تُدعى بقاهرة الاعداء عن ثقةٍ — ومنبعُ العلم من أسمى اساميها
ودَّعتُ قلبي لدى نظمي مؤرّخهُ — وِداعَ مصرٍ فاني غير ناسيها (١٨٨٩)

وعُرف ايضاً في هذا الزمان احد رؤساء اساقفة قبرس المطران «يوسف الزغبي» درس في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثم علم في كليَّة ليل من اعمال فرنسة اللغتين العربيَّة والسريانيَّة وسعى في أيَّام اسقفيَّتهِ بانشاء مدرسة قرنة شهوان سنة ١٨٨٥ فنالت بهمَّتهِ نجاحاً. ولهُ كتاب في الفلسفة لم يسعدهُ الوقت على اتمامهِ. توفي في اواسط كانون الاوَّل من السنة ١٨٩٠

امَّا الكهنة الموارنة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري «ارسانيوس الفاخوري» وُلد في بعبدا سنة ١٨٠٠ وتوفي في غزير سنة ١٨٨٣ خدم الكنيسة والوطن بكلّ تفانٍ فاتخذه القصّاد الرسوليّون كمعاون لهم في اشغالهم. ولزم مدَّةً اعمال القضاء في لبنان ودرَّس العلوم العربيَّة والقوانين الفقهيَّة لكثير من الطالبين كما ذُكر في ترجمتهِ المطوّلة التي نشرناها في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٦٠٦-٦١٦) . وعدَّدنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطوَّل في الصرف والنحو. وقد طُبع من تآليفهِ كتابهُ روض الجنان في المعاني والبيان وكتابهُ زهر الربيع في فنّ البديع والميزان الذهبي في الشعر العربيّ . ولهُ ديوان كبير اقتطفنا منهُ بعض قصائدهِ في المشرق منها بديعيَّتهُ (المشرق ٤ [١٩٠١]: ٢٦) وقصيدتهُ في خميس الاسرار (٢٠ [١٩٢٢]: ٣٨٥) وفي قبر المسيح (٣ [١٩٠٠]: ٣٦٣) وغير ذلك.

ومن شعرهِ في الطهارة من ابيات :

يا صاحِ عِش متسربلاً بطهارةٍ تُصِبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات ان يأوي السما مع آلها
فالله من دون الطهارة لن يُرى انَّ النعيم معلَّق بكمالها

وقال مخمساً لبيتين نظمهما احد الشعراء :

أتوق لودِّ مَن يهوى ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحادِ
كأني في وفاقي بالفؤادِ رأيتُ بنفسجاً في ظلِّ وادي
وغصنَ البانِ منعكفاً عليهِ

فكلٌّ يجذبُ الثاني لحبِّ كمغناطيسَ قد كنا بجذبِ
وقلبهُ شاخصٌ عيناً لقلبي فقلتُ تأمَّلوا بصنيعِ ربي
شبيه الشكل منجذبٌ اليهِ

ولهُ ارجوزة طويلة قالها سنة ١٨٦٩ ليبيِّن فيها حريَّة الانسان وخلوَّ ارادتهِ من الاضطرار السابق هاكَ اوَّلها :

الحمدُ لله القدير السرمدي حمدًا يقينًا من شرور المعتدي
خلقَنا الله على صورتهِ وشبهِهِ جلَّ علَى قدرتهِ
لكي نحبَّهُ هنا ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلِّدا
فينا اختيارًا كاملًا قد اوجدا لكلِّ قولٍ ثم فعلٍ يُبتدا
حرّيّةٌ مطلقةٌ وفيهْ في فعل ما تريدهُ المشيَّهْ
قد ضلَّ من قال بهِ الخلافا ولا يرى رأيًا بذا مُعافى
أمامك النيرانُ والماءُ فما تختارُ منهما لهُ امددْ معصما
بذا ابنُ سيراخَ الحكيمُ علَّما كذا لنا الدينُ القويمُ سلَّما
لولا اختيارٌ لفعالٍ فاعلِ لم يُجزَ عنها من وليِّ عادلِ

وفي هذا العُشر التاسع اي نحو سنة ١٨٨٠ توفي احد شعراء لبنان الراهب الفاضل ﴿القس اغناطيوس الخازن﴾ من الاسرة الخازنيَّة والرهبانيَّة اللبنانيَّة تولى زمناً طويلاً رئاسة دير البنات وكان معروفاً بفضلهِ وجودة قريحتهِ عارفاً بالفقه . وقد وقفنا لهُ على

ديوان مخطوط يدلّ على توقّد فهمهِ وذكاء عقلهِ ضمّنهُ كثيرًا من تواريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٧ لكنَّ نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوَّهت اكثر قصائدها باغلاط النُسَّاخ . ومما يُروى لهُ قولهُ في دير سيّدة ميفوق يشكو اثقال الرئاسة :

وبلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى ... فارفعْ بالخفض استبانَ ما ولى
كم بات مضطربًا لصرف ملمَّةٍ ... كم ضاق من تعب الفؤاد فولولا
تبًّا لها من مهنةٍ بل محنة ... يُلهى بها النُّسَّاك عن ربّ الملا
كم حاسدٍ جلبت وردّت حاسدًا ... والبالُ فيها لا يزال مُبلبلا
مملوءةٌ مرًّا ولا حلوٌ بها ... تخلو من الحلوى وهل صبرٌ حلا
ان قيل كلٌّ للرئاسةِ مائلٌ ... قلتُ الفراشةُ تشتهي ضوءًا صلى

وقال مؤرخًا وفاة الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة ١٨٥٤ :

بكتِ العيونُ أمير عُربٍ حيدرا ... من بعدهِ هجر القلوبُ سلاما
اذ غابَ عنها صاح كل مؤرخٍ ... آهًا بيتِ اللمعِ صار ظلاما

وقال متفكهًا في أقرع اتتهُ من بعض اصحابهِ قرعة مملوءَة من الخمر الجيّدة فعثرت رجلهُ بها وافاض الخمر :

قد صبَّ اقرعُ في طريقٍ قرعةً ... وأتى بعذرٍ يشتكي من تعبهِ
عزّيتُهُ بالقول طِبْ نفسًا وسِرْ ... فلكل شيءٍ آفةٌ من جنسهِ

واشتهر بفنون الآداب كاهنان مارونيان من غزير وقعت وفاتها في الربع الاخير من القرن السابق . الاول « الخوري يوسف الهاني » وكان يُدعى قبل كهنوتهِ منصور الهمش تعلَّم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وعلَّم فيها العربيَّة . ومن آثارهِ مقامتهُ الغزيريَّة التي طُبعت سنة ١٨٧٢ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وفي آخرها قصيدتهُ العامرة الابيات في لاموريسيار وجنودهِ المتطوعين البسلاء المعروفين بالزُّواوة الذين ماتوا شهداء في خدمة الكرسي الرسولي في كستلفيدَرْدو سنة ١٨٦٠ وكانوا من نخبة الشبيبة وانجال اشرف الاسر الكاثوليكيَّة . هذا مطلعها :

كريمَ النفس قُمْ بالنفس فادِ فقد نَسِيَ العقوقُ ثدى الولادِ
عهدتُ الحرَّ يعتنق العوالي ويدفعُ عنقهُ عن ذي ودادِ
وان خان الدعيُّ حليبَ امٍّ فذاك بنفسهِ عنها يُفادي

ومنها يصف ثورة اعداء الدين وشهامة انصاره :

أثاروا ضدَّ رأس الدين حرباً جرائمهمُ بها كانت صوادي
ونادوا اين مَن يحمي ذمارًا تروم نزالهُ في اي نادِ
فما لبث الزواوةُ ان أتوهم بأسرعَ من صدى صوت المُنادي
وصاحوا يا لحقٍّ بابويٍّ متينِ الاصل مرتفعِ العمادِ
وشاقتْهم كؤوس الحتف شربًا وحنّوا للمهنَّدةِ الحدادِ
رويدًا أيُّها الابطال مهلًا فسيفُ عُداتكم للدم صادِ
حسامٌ من جهنّمَ قلَّدوهُ تقدُّ شفارهُ صُمَّ الجمادِ
ألا دَعْنا نُلاقي الحتف عفوًا ولا نحرمْ جياعًا حُسن زادِ
يرَ الأعضاء تحيا بعد رأسٍ وكيفَ الجسمُ دون القلب هادِ
فكُفَّ ملامةَ الحُسَّادِ عنّا ونادِ على السطوح وفي المهادِ
دَعوهم ينصرون الحقَّ جهرًا على اهل الضلالةِ والفسادِ
دعوهم في الفخار لجرِّ ذيلٍ ونيلِ أكلَّةٍ عُقبى جهادِ
ولا تخشوا عليهم من ضلالٍ فلاموريسارُ احقُّ هادِ

الى ان قال يمدحهم بفوزهم اكليل الشهادة :

فاذ شهد الزواوةُ في الرزايا ونارَ الحرب تُضرَمُ باتّقادِ
بدمّهم المزكّى أطفأوها وما أحلى الدماء بذا الجهادِ
فلا تحزن عليهم نادباتٌ خرائدُ سافراتٌ في حدادِ
فان غابوا فأقمار توارت وليس أفولها حدَّ النفادِ
وان فقدوا الحياةَ فقد اصابوا بدار الخُلد مجدًا بازديادِ
أتوا مولاهمُ شهداء حقٍّ وعدُّوا القتل أشهى من شهادِ

وللخوري يوسف الهاني مآثر أخرى اخصُّها كتاب منارة الطُّلاب في التصريف

والاعراب طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية. ولهُ اناشيد متفرّقة كقولهِ على لسان مريم العذراء عند مهد طفلها يسوع:

نَمْ يا حياتي بالهنا . يا نور عيني والمُنى

ذوقَنْ بطرفٍ أنعسِ وسَنًا يَلَذُّ لنُعّسِ
في جَنحِ ليلِ الحندسِ فالى جفونك قد دنا

ولدي ايا زهر الرُّبى تسمو البنين كما الصَّبا
قد فُقْتَ عِقدًا مذهبا بل عقدَ درٍ بالسنا

ما سوسنٌ في جامهِ قد ذرّ من أكمامهِ
مع وردهِ وخُزامهِ يحكيك يا بدر المُنى

كانت وفاة الخوري يوسف الهانيّ في السنة ١٨٨٥. أما وطنيُّهُ الآخر «فالخوري حنّا رعد» المعروف بالعاصي ايضاً كان ذا قلم سيّال يُحسن الكتابة نظماً ونثرًا. ولهُ ديوان شعر مخطوط يضنّ بهِ آلهُ ويحاولون نشرهُ سلس مطبوع روينا منهُ سابقاً قصيدة في مريم العذراء (المشرق ٧: ٤٣١). ومن جملة اقوالهِ قصيدة دعاها جَبر الكَسْر يذكر فيها وفاة البطريرك بولس مسعد ويهنّئ بها خلفهُ السيّد يوحنّا الحاج سنة ١٨٩٠:

بالامس كان الرثا والدمعُ ينسجمُ واليومَ عمَّ الهنا والثغرُ يبتسمُ
طافت بنا الكاسُ من صابٍ ومن عسلٍ والحمدُ لله في الحالين ملتزمُ
لا جلَّ الله في الجُلّى كنيستَهُ ولو احاطت بها الارزاءُ تلتطمُ
ازال بالجبر يوحنّاً مصائبنا فالكَسْرُ منجَبِرٌ والجرح ملتئمُ

وهي طويلة ختمها بقولهِ:

انت المؤمَّل أن تُضحي رئاستُهُ لنا وللدين حصناً ليس ينثلمُ
آمالنا فيك كالالحاظ شاخصةٌ لها معانٍ ولكن ما لها كَلِمُ

جئنا نحيّيك لكنْ الحناء لنا ... فانّ نعماك للابناء مغتنمِ
فاقبل ثناءً بلا منٍّ وتهنئةً ... بما يُترجمُ عن فحوى الفؤادِ فمُ

وكان المترجم مولعاً بفرنسا يعظِّم مفاخرها ويطريْ بشهامة ابنائها ويشكر لدولتهم التي انقذت نصارى الشرق من نكبات المعتدين فمن ذلك عينيَّتهُ الشهيرة التي قالها سنة ١٨٦٠ بعد حوادث الشام :

كفَّ البكا وامسحْ عيوناً تدمعُ ... واحفَظْ بقيَّةَ مهجةٍ تتصدَّعُ
صبراً ولا تملِكْ أسىً وتوجُّعاً ... فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ امرُكَ مذهلٌ او مُعضلٌ ... والقلبُ حيران لذاكَ وموجعُ
قد كُنتَ آلفتَ المصائبَ ذلَّةً ... حتى دهتكَ مصيبةٌ لا توسعُ
لبنانُ ما هذه الجماجمُ والدما ... ما للمنازلِ وهي قفرٌ بلقعُ

الى ان قال على لسان الربّ ملبياً دعوة المنكوبين :

حتّام تفترسُ الذئاب رعيَّتي ... فقطيعيَ المختارُ كادَ يُقطَّعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافراً ... بطلاً تخرُّ لهُ الجهات الاربعُ
صحنا وكان الى فرنسَ الصوتَ: يا ... نابوليُون . اجابنا : لا تجزعوا
اني لَمُنجدكم وكاشفُ كَرْبكم ... برضى الالهِ سواهُ فخراً يُتبعُ

ومنها في وصف الحملة الفرنسويَّة :

وكواسرٌ لا الهَوْلُ في اوهامها ... هولٌ ولا الموتُ الربيع بروَّعُ
لاترهبُ الاسيافَ ان سُلَّت ولا ... تحمي الجيوشُ ولا المدافعُ تدفعُ
منها الرؤافُ ولم تكن يوماً سوى ... الموتِ الرؤافُ وكلُّ عاتٍ موقعُ
تلك البُحورُ على البرور طمَتْ ولا ... سدٌّ يصدُّ ولا حجابٌ يمنعُ
لبس الملا الا المراكبُ والموا ... كبُ والقواضبُ والقنا والأدرعُ
وهي السوابقُ والسرادق والبنا ... دقُ والصواعقُ والمنيَّةُ تتبعُ
سعداً ليومٍ بشَّرت أعلامهُ ... انَّ الحياةَ من المنيةِ اسرعُ
لله درُّكِ يا فرنسا مركزاً ... للدين والدنيا اليكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامةٍ ... فينا ولا زال الشقا المستفظعُ

وهي طويلة ابياتُها من غرر الاقوال تتدفّق جودًا ورقّةً · ولهُ قصيدة مثلها في بلاغتها وهي نونيّة قالها سنة ١٨٧١ لمّا زار لبنــان القنصل الفرنسويّ روستان مطلعها :

حبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركانِ · لفرنسَ قام على ذُرى لبنانِ

وللخوري حنّا رعد عدّة اناشيد يتغنى بها النصارى الى يومنا في المجتمعات التقوية كقولهِ في مدح البتول :

مجدُ مريم يتعظّمْ · في المشارقْ والغروبْ

وقوله :

عليك السلامُ بلا ملَلْ · يا نجمة البحر والاملْ

وقولهُ في القربان الاقدس :

لــك التسبيح والشكرانْ · لك المجد يا سرّ القربانْ

توفي الخوري يوحنا رعد في ١٣ ايلول من السنة ١٩٠٠

وفي ١٩ شباط من السنة ١٨٨٩ فقدت الشهباء احد كهنتها الموارنة الاجــلاء «القس اغوسطينوس عازار» درس العلوم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وكان يسمَّى جرجس وبرع في اللغة العربية فلمَّا عاد الى وطنهِ انقطع الى التدريس والتأليف ونَقل الكتب الى العربية وخدم الآداب نحو عشر سنين · ومن تآليفهِ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة طُبع سنة ١٨٨٦ في بيروت (١ · ولهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع الَّا بعض القصائد التي نُشرت في المجاميع الادبيَّة · فمن قولهِ في رثاء يذكر الموت :

من ابن يرجو المرء خلدًا اذ يرى · كلًّا يزول مع الزمانِ ويُدفعُ
انّ الحياة لدى الحقيقةِ عهدُها · يمضي كلمح البرق او هو اسرعُ
كلٌّ لهُ يومٌ يودّع اهلَهُ · فيهِ وداعًا مطلقًا ويودَّعُ

١) ولاخيهِ القس بولس كتاب الادلَّة النظرية في وحدة النفس البشرية وكتاب الشعاع الساطع في حرفة الزارع · في مطبعة الاحوال سنة ١٨٩٨ (ص ٩٧)

لا فرق عند الموت بين اكابرٍ واصاغرٍ حين القضاء يُلعلعُ
ما هذهِ الدنيا لدى عيني سوى سفرٍ الى ابديّةٍ لا ترجعُ
ان رمتَ يا صاحِ السعادةَ والبقا فاسلك سبيل الله صدقًا تنجعُ

ولهُ في يوبيل البابا لاون (سنة ١٨٨٧—١٨٨٨) قصيدة غرّاء افتتحها بقولهِ :

نادى المنادي بوحيِ الله ما كتبا في آية النصر انَّ الليث قد غلبا
ليث من الانس تخشى الارض سطوتهُ في الغرب والشرق إن عجمًا وان عربا
فاعجب لهُ اسدًا بالبأس منتصرًا بالانس مشتهرًا في الكون مرحبا

ومنها :

رعيًا لراعٍ رعى حقَّ الاله ولم يُبدِ التساهلَ فيما العدلُ قد طلبا
مذ قام حقَّ قيامٍ في رسالتهِ بهمَّةٍ بلغت غاياتها الأربا
ووفَّق الدينَ والدنيا بحكمتهِ ولم يَدَعْ لهما عذرًا ولا سببا
بناهُ حاملةُ الانجيل ما برحت بسراه تعضدُ ساداتِ الورى الحسبا
قوَّى الملوكَ على اعداء سلطتهم بكبحهِ الثورة الشنعاء والغضبا
وقام يجهد في العمران طاقتهُ فردَّ ما كان منهُ الدهرُ قد سلبا
هزَّ العصا فأراع الكفر فارتعدت منها العُصاةُ فاذا لو جا ضربا

وهي طويلة بليغة ختمها بهذا التاريخ :

قد حاز لاوون ما التاريخ ينشدهُ اسمًا مدى الدهر يبقى ذكرهُ عجبا

ولم يتأخر الاكليروس السرياني الكاثوليكي في نهضة الآداب العربية في ختام القرن التاسع عشر ففي سنة ١٨٧٤ توفي البطريرك «فيلبُّس عركوس» وكان متضلعاً بعدَّة لغات شرقيَّة وغربيَّة . لهُ كتاب مخطوط عنوانهُ قوت النفس فيهِ ارشادات ومواعظ . فخلفهُ السيد البطريرك «اغناطيوس جرجس شلحت» الحلبي الاصل (١٨١٨—١٨٩١) اشتهر بالعلوم الطقسيَّة وعزَّز الموسيقى الكنسيَّة . ومن آثارهِ الطيّبة كتابان احدهما يحتوي على مواعظ وخطب دينيَّة والآخر ضمَّنهُ تاريخ الكنيسة الشرقيَّة . هذا فضلاً عن عدَّة كتب طقسيَّة سعى بتنقيحها وطبعها في السريانيَّة والعربيَّة

وقام من بعده السيد « اغناطيوس بهنام بني » الموصلي (١٨٩١-١٨٩٧) درس في رومية العظمى ونال شهادة الملفنة في اللاهوت والفلسفة. وقد نشر في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل كتاباً اثبت فيه حقيقة الكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الدرَّة النفيسة في حقيقة الكنيسة ولهُ كتاب كلندار السَّنة لابرشيَّة الموصل السريانيَّة. في رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين

وزيَّن الشام في اواخر ذلك العصر حبران جليلان من الطائفة نفسها اعني السيد « ثاوفيلس انطون قندلفت » الحلبي (١٨٣٦-١٨٩٨) الذي تعيَّن مطراناً على طرابلس وسكن بيروت. ولهُ تركة علميَّة واسعة منها دينيَّة كالسراج الوهَّاج في سنَّة الزواج والرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيَّة عند الشرقيين وكتاب مواعظ دعاهُ عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلَّدات اردفهُ بكتاب القلادة الدرّية في شرح الوصايا الالهيَّة وكتاب القيثارة الشجيَّة في التسابيح الالهيَّة جمع فيهِ تسابيح واناشيد تقويَّة أدرجها في الكنائس وكل هذه الكتب الَّا الاخير نُشرت بالطبع. امَّا كتبهُ الادبية فمنها رواية ظريفة تُدعى الذميم والذميمة وكتاب الذكرى لمن اعتبر يحتوي انتقادات وحكماً وشذرات ادبيَّة بالنثر والنظم لم يطبع. ولهُ عدَّة مقامات وقصائد وروايات طُبعت في مجلَّة النحلة وفي الجنان وفي بعض المجاميع فمن ذلك قولهُ في مدح احد أُدباء الاستانة يوسف نعمة الله جدّ :

ما لي وللدهر دَعني انني ثَمِلٌ … من راح اهل الوفا والفهم والكَرَمِ
مَن جدُّهم جاد واستملت معالمهم … حتى غدا فضلُهم نارًا على عَلَمِ
مِن اهل جدّ فتى رام العُلى فَعلا … بالفضل والعقل والاحسان والشيمِ
سمي رأيٍ سَني الفكر ذو حذقٍ … في وصف جانبهِ قد حار كل فمِ

ولهُ مجيباً لقدسي زاده قدري بك وكان ارسل اليه قصيدة يُعرب فيها عن اشواقه الى وطنهِ وخلّانهِ في الشهباء اوَّلها :

يا راقياً يبني ذرى الشهباء … ومعرّجاً للبلدة البيضاء

فوجَّه المطران انطون اليهِ بهذه القصيدة من بحرها وقافيتها :

يا صاعدًا أوج العلى بثناء … ولواك منعقدٌ على الجوزاء

وسواك يبغي المجد لكن جدُّهُ   هيهات مثلك يا ذُرى الفضلاءِ
حسبٌ وفضلٌ قد جمعت كليهما   مع رقَّةٍ ومكارمٍ وسناءِ
اوليتني الإحسانَ بالتوديع في   مصرٍ بخير قصيدة غرّاءِ
فيها الحنينُ الى المواطن والحما   والى الافاضل من بني الشهباءِ
فلثمتُها وتلوتها ونشرتها   وحسبتها من اوجهِ النعماءِ

ومنها :

انت الملاذُ لآلِ قُدسٍ وأنـتَ الفخرُ للاوطانِ يا مولاني
لم تنسَ شيمتكَ الكريمـةَ دائمًا بالحلِّ والترحالِ دون وناءِ
فلتفتخر حلبٌ بعبد القادر م القُدسي على الأقطار والانحاءِ

وختمها بقوله :

خذها لردِّ صدى الوداد على الندى   من ذي وفاءٍ ودُّهُ بصفاءِ
واصفحْ بفضلك عن قصوري انني   في كنفِ عفوكَ قد وجدتُ حمائي

وزاد على من سبق ذكرُهم شهرةً السيّد ﴿ اقليميس يوسف داود ﴾ ولد في الموصل من أسرة كلدانيَّة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ وبعد ان درس فيها مدَّةً في مدرسة الآباء الدومنيكيين ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير اتمَّ دروسهُ في رومية وحاز السبق على كل اقرانهِ في العلوم الدينيَّة والدنيويَّة ثمَّ انضوى الى الطائفة السريانيَّة وعاد الى وطنهِ وعلَّم عدَّة سنين في مدرسة الآباء الدومنيكيين فتخرج عليهِ كثيرون عُرفوا بآدابهم ومنشآتهم ووكل المرسلون اليهِ نظارة مطبعتهم واصلاح منشوراتها فقام بالامر احسن قيام واهتمَّ بطبع تآليف جمَّة لا تزال واسطة قلادتها. وقد اهتمَّ بالاعمال الرسوليَّة اهتمام العبد الصالح فخدم النفوس بالمواعظ والكتابة والتأليف وانشاء المدارس الى أن عهد اليهِ الكرسي الرسوليّ تدبير ابرشيَّة دمشق فلبَّى دعوتهُ مرغوماً. وآثاره العديدة في الفيحاء لا تزال تنطق بفضلهِ وهناك أُقيم لهُ نصف تمثال من الرخام في الدار الاسقفيَّة التي زانها بفضائلهِ وعلومهِ من السنة ١٨٧٨ الى تاريخ وفاتهِ في ٤ آب ١٨٩٠. وقد استوفى جناب الفيكنت فيليب نصرالله طرازي ذكر اعمالهِ في كتابهِ القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة الذي طبعهُ في

مطبعتنا سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفهِ المطوَّل . ومجموع آثارهِ العلميَّة في كل الفنون والمعارف العصريَّة تنيف على الثمانين تأليفاً او تعريباً او اصلاحاً وتنقيحاً. بينها قسم واسع في الآداب العربيَّة من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعريَّة ونثريَّة ولعلَّهُ اوَّل من زوَّد المدارس الكاثوليكيَّة بكتب تعليم منقَّحة . وتعريبهُ للاسفار المقدَّسة ينبئ بفضلهِ العميم. وامَّا آثارهُ بالسريانيَّة فتكاد لا تُحصى . ولهُ حتى يومنا عدَّة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها. وكان للسيد اقليميس داود مقامٌ جليل بين العلماء الاجانب يقدّرون قدرهُ في كل الابحاث الشرقيَّة وقد رثاهُ كثيرون بالمراثي النفيسة ومن اجودها قول الدكتور لويس صابونجي :

وترثي دمشقُ الشامِ فَقْدَ عزيزها ... مع الموصل الحدباء اذ قام مشهَدُ
سأبكي عليهِ ما تقطَّر مدمعي ... وراح يمامٌ في الاراك يغرّدُ
بكتهُ طروسٌ واليراعُ ونثرُهُ ... وناح عليهِ الشعر اذ بات يُنْشَدُ
بكتْهُ علوم الاوَّلين بأسرها ... بدمعٍ غزيرٍ سيلهُ لا يُجمَّدُ
وراح عليهِ المجدُ يبكي تأسُّفاً ... وقَلْبُ المعالي بالمرائر يَفسُدُ
وراح من السريان مجمعُ شرفةٍ ... يُقرُّ لهُ بالفضل في ما يجدِّدُ
ومجمعُ واتيكانَ يندب فَقْدَ مَنْ ... لديهِ تقاليد الطوائف توجَدُ

وهي طويلة منها قولهُ في قبر الفقيد :

عليك سلامُ الله ما ضاء فرقدٌ ... ودمتَ بقَطْرِ الغيث تُسقى وتُقصَدُ
سألتُ الهي ان يمنَّ بفضلهِ ... عليَّ بتقبيل الضريح فأحمَدُ
واغسل ذاك القبر بالدمع فرجةً ... لانَّ غليلي بالدموع يُبرَّدُ

وممن اشتهر بين كهنة السريان الخوري «يوسف معماد باشي» الماريني تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفة رحل الى اميركا سنة ١٨٨٠ وسطَّر اخبار رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد القريب والبعيد الى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٧٩

وكذلك عُرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس «ميخائيل دلَّال» تولى كتابة الاسرار للبطريرك جرجس شلحت زمناً طويلاً وكان شاعراً مجيداً . ومن آثارهِ روايات ادبيَّة كإحسان الانسان

والنفح العاطر في الفتى المهاجر والفتاة الخرساء. ولهُ ديوان شعر غير مطبوع فمن اقوالهِ الزهديَّة :

أرى الدنيا جاها لا يطولُ ... وزُخرفها برمَّتهِ يزولُ
فعزَّتها وبهجتها خيالٌ ... وزهرُ الحقل برهان دليلُ
فهذا الزهرُ عند الصبح يزهو ... ويفتك في المساء بهِ الذبولُ
فكيف الناس في لهو حيارى ... ورأسهم تُدور بهِ الشَّمولُ
ألا ليت الانامَ يَعون قولي ... ففي الاخرى لهم خيرٌ جزيلُ

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر :

حبرُنا لاوونُ مَن قدرًا سما ... وتعالى سؤددًا دون مثلْ
مَن حباهُ الله اوفى منحةٍ ... اذ رآهُ مستحقًا للنحَلْ
خلف المغبوط شمعونَ الصفا ... مَن مفاتيحَ السماوات اقتبلْ
فبنى نصرًا لحق الدين في ... كل حالٍ منه لا يحوي بدَلْ
وازاح الستر عمَّا قد فشا ... من ضلال الكفر في كل محلّ
إن أقُلْ فيهِ ختامًا قد غدا ... محوَرُ الدنيا عليهِ لا جَدَلْ

توفي القس ميخائيل دلال سنة ١٨٩٤

وقد جارى الاكليروسُ الكلدانيُّ اخوتَهم السريان في رفع لواء الآداب ألا ان همتهم كانت مصروفة الى لغتهم فانَّ مطبعتهم في الموصل عُنيت خصوصاً بنشر الآثار الكلدانية. على انَّ البطريرك «جرجس عبد يشوع خيَّاط الموصلي» كان يتقن اللغتين السريانيَّة والعربيَّة ولهُ في كلتيها مصنفات. ومن تآليفهِ العربيَّة مجموع بالنثر والنظم لافادة طلبة المدارس دعاهُ روضة الصبي . ولهُ فصول في التواريخ القدسيَّة عرَّبهُ من تاريخ بيليز (Belèze) وذيَّلهُ وطبعهُ في مطبعة الآباء الدومنيكان . توفي السيّد عبد يشوع سنة ١٨٩٩

وممن عُني من الكلدان بنشر الآثار العربية القس يعقوب نعمو نشر كتاباً جليلاً للبطريرك النسطوري ايليا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي في القرن الثالث عشر يُدعى التراجم السنيَّة للاعياد المارونية يحتوي عددًا من انفس الخطب الدينيَّة

وابلغها كلّها مسجعة يقرّ لها بالبلاغة كل من يسمعها . وقد نشرنا في المشرق خطباً له لم نجدها في هذا المجموع

امّا الروم الارثذكس فقد اشتهر في اكليروسهم بالآداب العربيّة السيد ﴿جراسيموس يارد﴾ مطران صيدنايا ومعلولا زحلة . كان مولدهُ في راشيا سنة ١٨٤٠ وبعد درسهِ في مدرسة طائفته في دمشق علّم في مدرسة حماة ثم أُرسل الى موسكو سنة ١٨٥٨ لتدبير اونطش ملّتهِ فيها فوجّهت اليهِ الدولة الروسيّة انظارها ودعتهُ الى تدريس اللغات الشرقيّة في مدارسها وقد ألّف هناك كتباً بالروسية طُبعت على نفقة الدولة منها تاريخ فوطيوس في نظر الروم . وفي السنة ١٨٨٣ عاد الى بلاد الشام وخدم الكرسي الانطاكي بنشاط حتى رُقي الى رتبة الاسقفية سنة ١٨٨٩ فدبّر ابرشيّتهُ عشر سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول سنة ١٨٩٩ . وممّا تركه من الآثار تعريب كتاب خلاص الخطأة ورواية اقوار بيلاطس وكراريس في الرتب والطقوس والاعياد الكنسية . وكان خطيباً مفوَّها

*

﴿البستانيّون﴾ نقدّم ذكرهم على بقيّة الادباء العالميين الذين اشتهروا في ترقية الآداب العربيّة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . وكان اشهرهم المعلم (بطرس البستاني) فانهُ وُلد في الدبيّة من اقليم الخرّوب سنة ١٨١٩ من عائلة مارونيّة وجيهة وفي صغرهِ تلقّى العلوم في مدرسة عين ورقة وهو يريد الانتظام في سلك الاكليروس ثم جنح الى البروتستانيّة واخذ عن مرسليها المعارف المستحدثة ودرس عليهم العبرانيّة وعلّم في مدرسة اعبيه لرسالتهم الاميركيّة واظهر من الاجتهاد في التحصيل والبراعة في التعليم ما حبّبهُ الى اصحاب تلك الرسالة كالدكتور عالي سميث والدكتور ڤان ديك فاستدعوهُ الى بيروت لموازرتهم في اعمال مطبعتهم فساعدهم في عدّة تآليف اخصّها ترجمة التوراة من العبرانيّة الى العربيّة وتولى مدّةً منصب الترجمة في قنصليّة اميركا ثم تفرّغ للتأليف ووضع عدداً من الكتب المدرسيّة في الصرف والنحو والحساب ثم باشر بقاموسهِ المطوّل المعروف بمحيط المحيط واختصره في قطر المحيط فنال من السلطان عبد العزيز الوسام المجيدي من الطبقة الثالثة ومبلغاً وافرًا من المال كجائزة على عمله .

ولمّا رأى الصحافة في سوريّة ضيقة النطاق عدل الى انشاء الصحف فحرَّر مع آله الجنان والجنّة والجنينة وكان الجنان مجلّةً تتضمَّن المباحث السياسيّة الحرّة والمقالات العلميّة والتاريخيّة والادبيّة ثم عهد الى ابنهِ سليم مواصلة هذا العمل وابتدأ اوّل دائرة علميّة ظهرت في اللغة العربيّة فابرز منها سبعة اجزاء قبل وفاته · وكان المعلم بطرس مع وفرة هذه الاعمال يتعاطى التدريس فأنشأ في بيروت مدرستهُ الوطنيّة التي نالت بهمّتهِ نجاحاً الى ان اضطرّتهُ اعباء الاشغال الى انتداب ابنهِ سليم الى ادارتها ثم أُقفلت بعد حين · وكانت وفاة المعلم بطرس فجأة في غرّة ايار سنة ١٨٨٣ وممن رثاهُ الشيخ خليل اليازجي فقال من قصيدة :

يا قُطْر دائرةِ المعارفِ والحجى ... ومحيطَ فضلٍ فاض في إمدادهِ
تبكي العلوم عليك واللغة التي ... بقريضها ترثيك في انشادهِ
فاذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ ... دون المحيط يزيد في إزبادهِ
يبكي الحسابُ عليك متَّخذًا لهُ ... دمعًا يسيل عليك من أعدادهِ
تبكي المدارس والجرائد حسرةً ... والشرق بين بلادهِ وعبادهِ

وفي السنة التالية ١٨٨٤ نشبت مخالب المنون في نجلهِ «سليم البستاني» وكان سليم يتقيَّل أباهُ في نشاطهِ وهمتهِ وآدابهِ وقد ساعدهُ في تحرير مجلّة الجنان فكتب فيها فصولًا واسعة وتولّى ادارة صحيفة الجنّة وانجز الجزء السابع من دائرة المعارف ونشر جزءَهُ الثامن · ولم يظهر من هذا التأليف بعد ذلك الّا ثلاثة اجزاء تولّى نشرها شقيقاهُ البستانيّان نجيب ونسيب ولاسيا ابن عمّهم سليمان النابغة الشهير المتوفّى حديثًا ولعلَّ الباقي لن يُنشَر ابدًا · وكان الاجدر بمؤلف هذه الدائرة ان يقسّم الشغل على جملة من الكتبة فيتولّى كلٌّ منهم تحرير القسم الخاصّ بهِ فانَّ ذلك كان أضمن لانجازها فضلًا عن كونهِ أشمل لموادّها واوفى بفوائدها فانَّ هذه الدائرة مع محاسنها بعيدة عن الدوائر الاوربيّة التي يتولّاها قومٌ من الاختصاصيين · ومن اكبر خللها انَّ موادّها الشرقيّة قليلة فان مؤلفيها نقلوا خمسةً او ستة من الكتب العربيّة الشائعة ولم يعنوا بالبحث عن كثير من المطالب التي تهمّنا من تاريخ بلادنا

ولسليم البستاني روايات قصصيّة نشر كثيرًا منهـا في الجنان وروايات تمثيليّة كرواية الاسكندر وقيس وليلى جرى تمثيلها في الجمعيّة السوريّة وكان احد اعضائها

المتازين . ونُشر ايضاً باسمهِ تاريخ فرنسة بمجلَّد كبير وانَّما الفضل في تأليفهِ لجناب الشيخ خطَّار الدحداح. توفي سليم البستاني في ١٣ ايلول ١٨٨٤ وكان مولدهُ في اعبيه في ٢٨ ك ١ سنة ١٨٤٨ وكان في العربيَّة احد المتخرّجين على الشيخ ناصيف اليازجي

وممن شرَّفوا الاسرة البستانيَّة بآدابهم دون ان تصيبهم في دينهم شائبةٌ كالمعلم بطرس وابنه سليم السيّدُ الجليل « بطرس البستاني » رئيس اساقفة صور وصيداء على الموارنة (١٨١٩-١٨٩٩) واحد تلامذة عين ورقة خلف عمَّهُ المطران عبدالله البستاني منشئ مدرسة مشموشة في تدبير كرسي صور وصيدا وكان متضلعاً بالعلوم الدينيَّة والفقهيَّة واشتهر بتعليم الحقوق والفرائض واتخذهُ مدَّة السيّد البطريرك بولس مسعد لكتابة اسرارهِ الى ان سامهُ اسقفاً سنة ١٨٦٦ واستصحبهُ الى رومية في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٧ احتفالاً بالتذكار المئوي لاستشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس وسنة ١٨٧٠ لحضور المجمع الواتيكاني. توفي في ٢ تشرين الثاني ١٨٩٩

وقد اشتهر من الاسرة البستانيَّة غير هؤلاء سيأتي ذكرهم في تاريخ آداب العربيَّة في القرن العشرين . فانهم اجمالاً قد حقَّقوا معنى اسمهم فأغنوا الآداب بما غلَّهُ بستانهم من الاثمار الجنيَّة

ومن مشاهير لبنان في الادب وفنون الكتابة « يوسف حبيب باخوس » الكسرواني الغزيري من الاسرة الباخوسيَّة الشائعة الفضل وُلد في ٥ ايار سنة ١٨٤٥ في غزير وفيها توفي سنة ١٨٨٢ في ريعان شبابهِ وقد ادّى للآداب العربيَّة مع قصر حياتهِ خدماً مشكورة. فانَّهُ بعد ان تلقَّن العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا قريباً من عرامون انقطع مدَّةً للتدريس في مدرسة عينطورا ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حتى انتدبتهُ حكومة دولة ايطالية الى تحرير جريدة عربيَّة في كالياري من اعمال سردينية فرضي بذلك وباشر بالعمل وانشأ جريدة « المستقل » وحرَّرها سنتين. ثم حرَّر جريدة البصير في باريس خدمةً للمصالح الافرنسيَّة وقد اصابت الجريدتان بهمّتهِ بعض النجاح لولا ان المرض احوجهُ الى مغادرة القلم للاهتمام بصحتهِ. فرجع الى وطنهِ وما نشب ان توفي. وقد نشر المشرق ترجمةً مطوَّلةً بقلم احد آلهِ الادباء نجيب افندي باخوس (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ١٥١و٢٩٧) وهناك عدَّة مقاطيع نثريَّة وشعريَّة تشهد لهُ بانسجام الكلام ورقَّة النظم والتفنن في الكتابة فعليك بها. وكذلك مرَّ لنا

وصفهُ للربيع في باريس (في المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٣٤٨) ولدمار پومپاي (٣ : ٤٦٢) وقصيدتهُ في حكمة النفس (٣: ٣٢٢) وليس في الاعادة افادة

وفي السنة ١٨٨٣ رُزئت الآداب باحد ابناء عائلة شريفة في بيروت المرحوم «سليم بن موسى بسترس» كان مولدهُ في بيروت في ٢٩ آب سنة ١٨٣٩ واقبل صغيرًا على درس الآداب العربية وبعض اللغات الاجنبيَّة وفي السنة ١٨٥٥ تجوَّل في انحاء اوربَّة وزار عواصمها. وقد وصف رحلتهُ في كتاب طبعهُ في المطبعة السوريَّة دعاهُ النزهة الشهية في الرحلة السليميَّة. ثم تعاطى بعد ذلك الاشغال التجاريَّة في الاسكندريَّة ثم انتقل الى انكلترة وسكن ليڤربول ولندن واتَّسعت هناك اشغالهُ وعُرف بفضله وسخاء يدهِ فتوفَّر عدد اصحابه بين وجوه البلاد واعيانها ونال من محاسن الامبراطور اسكندر الثاني التعطفات الفائقة وحاز الامتيازات الخاصّة وكذلك الدولة العثمانية منحتهُ اوسمتها العالية الشان. وكانت وفاتهُ في لندن في ٣ شباط سنة ١٨٨٣ لكنَّ جثتهُ نُقلت الى بيروت فدُفن في ضريح عائلتهِ وقد رثاهُ كثير من الادباء نثرًا ونظمًا بنخبة الاقوال التي جُمعت في كتاب خاصّ. فمن رقيق ما قيل عن لسان الفقيد عند نقل جثتهِ الى بيروت ابيات لالياس افندي نوفل:

لمَّا قضى السُّقمُ ان يسطو على بدني ... قد رقَّ حتى رأيتُ الروح تُثقلني
فقلتُ: لا تدفنوا جسمي بغربتهِ ... فالشرق اقربُ تربًا الى عدنِ
هناك فوق رباهُ خيرُ مَن تركتُ ... عيني وتحت ثراهُ خيرُ مُرتهنِ
قد جئتكم اثرًا يا جيرتي وانا ... م العينُ التي شخصت للاهل والوطنِ
فعنده مشهد نعشي فاندبوا اسفًا ... صباي او عند قبري فاذكروا زمني
اودعت جسمي لديكم في المات وكم ... اودعتكم في حياتي القلبَ في شجني
فاستعطفوا الله من اجلي فرحمتهُ ... هي الفناء لنفسي يوم يحشرني

وكان سليم دي بسترس شاعرًا بليغًا لهُ منظومات متعدّدة جمع فيها بين سلاسة الكلام ولطف المعاني. فممَّا استحسنّاهُ من نظمهِ قولهُ وفيهِ ما يدلُّ على ايمانهِ:

لا شيءَ غير نفوسنا يتخلَّدُ ... تلك البقيَّة غيرها لا يوجدُ
وسواؤها فوق البسيطة كلهُ ... يفنى وضمنَ ترابها يتوسَّدُ

روحُ إله الكون ارسلها الى جسد الفنا نورًا بهِ يتوقدُ
فتقود ذاك الجسمَ في طرق الهُدى وترى لهُ الحقَّ المبين وترشدُ
حتى اذا كملَتْ مواعيدٌ لها نادى بها عودي اليَّ فتصعدُ
وتُفارق الجسم الذي سُجنَتْ بهِ بحياتهِ والى السعادة تقصدُ
حتى اذا تمَّ المعادُ وقد أتى يومٌ بهِ كلُّ الخلائق تُحشَدُ
تعطي الى ربّ العباد حسابها في محفل فيهِ الملائكُ تشهدُ
في ساعةٍ يا هولها من ساعةٍ ان لم تكن فيهِ الفضائل تعضدُ
وتبيت مع طغمات اجنادِ العلا تجثو الى العرش المنير وتسجدُ
وتشاهدُ المجد المشعشعَ نورهُ وتسبّح الربَّ العظيم وتحمدُ

ولهُ تهنئة في عام جديد :

اتى العام الجديدُ يزيد عامًا بتاريخ المحبَّة والودادِ
على قدر السنين اليك جدى تحيَّات السليم على بعادِ
اسرُّ بكلّ عامٍ حيثُ فيهِ محبَّتنا تدومُ على التمادِ
وان كنتُ البعيد فانَّ قلبي على طول المدى بين الايادي
اوكلهُ ينوبُ اليوم عني بتقديم التحيَّات الجدادِ

﴿ المعلّم ابراهيم سركيس ﴾ هو اخو الوطني الشهير خليل افندي سركيس صاحب مطبعة الآداب ومنشئ جريدة لسان الحال كان مولدهُ في اعبيه سنة ١٨٣٤ من عائلة مارونيَّة الَّا انهُ درس على المرسلين الامريكان فجنح الى مذهبهم وصار احد شيوخ الكنيسة الانجيليَّة في بيروت وعلّم في احدى مدارسها. ثم اشتغل عدَّة سنين في مطبعة الامريكان فأحكم صناعة الطباعة وتولّى تصحيح المطبوعات ومبيع الكتب الى ان توفي في ١٠ نيسان سنة ١٨٨٥ : وكان ذكيّ الفؤاد محبًا للعلوم محسنًا للكتابة وقد نفع مواطنيهِ بعدَّة مصنَّفات تأليفًا وتعريبًا اخصها الدرّ النظيم في التاريخ القديم والدرَّة اليتيمة في الامثال القديمة وصوت النفير في اعمال اسكندر الكبير والاجوبة الوافية في علم الجغرافية واوضح الاقوال في متلف الصحة والصيف والمال وتحفة الاخوَين الى طلبة اللغتين (عربي وانكليزي). ولهُ تآليف اخرى دينيَّة

وكان ينظم ايضاً فمن منظوماته ترانيم روحيَّة في مجموع اغاني البروتستانت . هـذه ترنيمة منها في الحرب الروحية:

١ هلمَّ جميعًا قريبًا بعيدْ فها صوت بوقٍ لاجل القتالْ
جنودُ الاعادي تراها تريدْ فهاتوا سلاحًا لذاك النزالْ

قرار

مرتّبين نحن مرتّبين سيوفكم احملوا هاجمين
هوذا الحربُ شديد طويل سيروا بقوّات ربّ اسرائيل

٢ عدوّي امامي بصفّ القتالْ فأثبتُ لا عن طريقي أحيدْ
ونعمتُنا قوّتي ذو الجلالْ فسيروا بإيمان عزمٍ وطيدْ . . .

وممَّا نظمهُ فنشره تحت رسمهِ :

وان نُقض البيتُ الذي انا ساكنٌ فلي في السما بيتٌ من الله قد بُني
ونفسيَ تحيا عند فاديَّ دائمًا وان يكن الجسمُ الترابيُّ قد فني

﴿اسكندر ابكاريوس﴾ وتوفي في هذه السنة ١٨٨٥ في ٢٣ ك ١ كاتب آخر اصاب بعض الشهرة في اوربَّة فضلًا عن الشرق بمنشوراتهِ العربية اعني بهِ اسكندر اغا ابكاريوس وكان ابوهُ يعقوب بن ابكار ارمنيًا غريغوريًا ذا شأن يسكن بيروت فلمَّا مات أرَّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٤٥ بقوله :

مضى الى الله من طابت سريرتهُ بالله وهو بعفو الله مصحوبُ
فقُلْ لمن جاء بالتاريخ يطلبهُ قد صار في حضن ابراهيم يعقوبُ

ونشأ ابناهُ اسكندر ويوحنا على حبّ الآداب منذ حداثتهما وجال اسكندر في انحاء اوربّة ثمَّ عاد الى بيروت واشتغل بالتأليف ثم دخل مصر وخدم اصحابها ومدحهم فاجازوهُ بتقليدهِ عدَّة مناصب. وتوفي اسكندر في اواخر سنة ١٨٨٥ في بيروت وكان اتى الى وطنهِ طلبًا للعلاج من مرض السَّحج. ولهُ مصنَّفات مفيدة انبأ في تأليفها بحسن ذوقهِ وكثرة مطالعتهِ منها كتابهُ «نهاية الارب في اخبار العرب» طبعهُ اوَّلًا في مرسيلية سنة ١٨٥٢ ثم زاد عليهِ وجدَّد طبعهُ في بيروت في المطبعة الوطنيَّة سنة ١٨٦٧ . وألَّف سنة ١٨٥٨ كتاب روضة الادب في طبقات شعراء

العرب قرّظـهُ كثيرون من الادباء منهم الشيخ ابو حسن الكستي حيث قال من ابيات :

لله روضةُ آداب لقـد جمعَتْ   اوراقُها غرَّ الأخبار والسيرِ
ناهيك من طبقاتٍ شاد محكمَها   اسكندرٌ فاحتوت من مبدع الاثرِ

ولاسكندر ابكاريوس ديوان شعر لم يزل مخطوطاً وكتـاب ديوان الدواوين في اجود المتقدّمين والمتأخرين وكتاب نزهـة النفوس وزينة الطروس . ولـهُ ترجمة ابراهيم باشا دعاهـا المناقب الابراهيميَّة والمآثر الخديويَّة وكلُّها مسجَّعة يتخلَّلهـا الشعر في آخرها قائمة تآليفهِ . ومثلها ايضاً المآثر الخديويَّة ووزراء الحكومـة المصريَّة نشرها في اعداد الجنان سنة ١٨٧٤ وكتاب التحفة الغرَّاء في محاسن تونس الخضراء . ولهُ تاريخ مخطوط في المكتبة الخديويَّة(٥ : ١٧١) قدَّمهُ لمصطفى فاضل باشا وسمَّاهُ نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان . ومن شعرهِ قولهُ يهنئ الخديوي سعيد باشا لمَّا زار بيروت سنة ١٨٥٩ :

شرَّفتَنا فتزيَّنتْ اقطارنا   وزهت معالمها وطاب الموْرِدُ
وتنوَّرت بيروت حتى اصبحتْ   من نور مجدك كوكباً يتوقَّدُ

وقال يمدح ابراهيم باشا :

همامٌ كان في الدنيا فريداً   وركناً في المهمَّات العظامِ
ولا زالت وقائعهُ المواضي   مخلَّدةً على طول الدوامِ
وقائع لو رآها الطفلُ يوماً   لشاب لهولهـا قبل الفطامِ

وقال في محمَّد توفيق باشا اذ كان ولي العهد :

يا من بهِ آمالنا تتعلقُ   ونفوسنا للقائهِ تتشوَّقُ
فيك الفضائل واللطائف والتقى   والمكرمات وكل حسنٍ يُرمَقُ
لم تجتمع فيك المحاسن انمـا   منك المحاسنُ كلُّها تتفرَّقُ
تاهت بكم مصر السعيدة عزَّةً   وغدا جبين العصر فيكم يشرقُ
لا زلت للقصَّاد احسن كعبةٍ   وطريقُ رزقٍ بابهُ لا يُغلَقُ

واسلم ودم في غبطةٍ وسعادةٍ وتُدام مأمولًا وانت موفَّقُ

امَّا «يوحنا ابكاريوس» اخو اسكندر فانَّهُ عاش بعده الى سنة ١٨٨٩ وتوفي في سوق الغرب في لبنان وقد جارى اخاهُ اسكندر بتآليفهِ منها كتاب قطف الزهور من تاريخ الدهور طُبع غير مرَّة في المطبعة الامركيَّة وقد تأسفنا لكون مؤلفه ضمَّنهُ بعض الفصول التي تحطُّ من شأن الكنيسة . ولهُ كتاب نزهة الخواطر جمع فيهِ عدَّة اخبار ومقاطيع ادبيَّة وقصص شائقة فطبعه سنة ١٨٧٧ . ومن آثارهِ معجم انكليزي عربي مطوَّل اختصرهُ لطلبة المدارس وقد عرَّب ايضاً للاميركان بعض كتبهم الدينيَّة

«اديب اسحق» كان من الطائفة الارمنية الكاثوليكية دمشقي الاصل وُلد في ٢١ ك٢ سنة ١٨٥٦ في الفيحاء وتعلَّم في مدرسة مرسليها اللعازريين اللغتين الفرنسويَّة والعربية ثم أُغرم بالكتابة والانشاء ونظم الشعر منذ ريع شبابهِ وقدم بيروت ودرس في مدرستنا القديمة في حيّ الصيفي ثم اجتمع بقوم من شبَّانها العصريين فنزع منزعهم واشتغل بالسياسة والتأليف ثم انتظم في سلك جمعيَّة انشأها الماسون سنة ١٨٧٣ وكان المترجَم من اخصّ اعضائها العاملين وقد الغتها الحكومة مدَّةً لتطرُّف اصحابها وطَعنهم في الحكومة والدين كمألوف عادتهم . ثم تولَّى تحرير جريدة التقدُّم فضمَّنها فصولًا ثوريَّة دحضتها جريدة البشير . ثم تنقَّل بعد ذلك فسافر الى فرنسة ثم عاد الى مصر وكتب في عدَّة جرائد وانشأ جريدة مصر ولمَّا حدثت الثورة العرابيـة انكفأ الى بيروت وسكنها مدَّة ثم بارحها الى مصر وحرَّر في جرائدها الى ان أُصيب بداء السلّ فاقفل راجعاً الى سواحل الشام ولم يلبث أن توفي في قرية الحدث قريباً من بيروت في ١٢ حزيران سنة ١٨٨٥ وهو في عزّ شبابهِ ودُفن دفناً مدنياً . وكان اديب اسحاق سلس القلم سريع الخاطر ذلق اللسان الَّا ان مجاهرتهُ بمعاداة الدين واتباعهُ للتعاليم الماسونية اظلما عقلهُ وافقداهُ اصالة الرأي وسداد الفكر في امور كثيرة . وكان انشاؤهُ عصرياً يتشبَّه فيهِ بانشاء كتبة الفرنج وها نحن نذكر من نثرهِ فقرة كتبها في «الجزويت» تفكهةً للقرَّاء وبياناً لما اقرَّ بهِ من صفاتهم وهو الدُّ اعدائهم

«ما ادراك وما رهبانيَّة الجزويت ? طائفة من اهل الكهنوت على مذهب الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية آلاف او يزيدون (اليسوعيون اليوم ثمانية عشر الفاً) . . . وهم اهل العلم والسياسة (كذا) والذكاء والاجتهاد والهمَّة والفضل والثبات والبأس لا يعارضهم في ذلك معـارض ولا

يُدْرَك شأوهم فيهِ. يُنشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكشفون النوامض ويستخرجون أسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض واصلين بياض النهار وسواد الليل سعياً في تعليم الجهلاء وتهذيب المتوحّشين وتمدين الاقطار وجمع آثار المعارف »

ثم شوَّه الكاتب هذه المحامد بما نقلهُ من تُهم اعداء الجزويت فجعلها على لسانهم مع كونها مضادَّة تماماً للفقرة السابقة فروى عن اولئك الخصوم ان الجزويت «يجيزون الكذب ويتسامحون في السرقة ويحللون القتل» الى غير ذلك من الترّهات التي تُضحك الثكلى وابطلها الكاتب من حيث لا يدري بنسبتها الى اعداء الدين فقال:

« وذلك بعض ما يدَّعيهِ اعداء الجزويت وما اعداؤهم بقليل فان فرقة البروتستانت وهي الوف الوف وجماعة الماسون واهل حرّيّة الضمير اي الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء لو تمثَّل لهم الجزويتي في الماء لما وردوهُ وان كانوا ظماء !!! »

وكأنَّ بالكاتب احسَّ ما في نقلهِ مثل هذه السفاسف من العار فالقى التبعة على القائلين كأنَّ الناقل لا يحتاج الى التروّي في صحة ما ينقلهُ لاسيما بعد مدحهِ للجزويت واقرارهِ بما عرفهُ فيهم من «الفضل والهمَّة والثبات وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين» فقال يبرّئ نفسهُ مما نقل جزافاً:

«وانَّا لنبرأ من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضهِ ولا تبعة علينا في الحكاية نحن نقلهُ وليس على الناقل من سبيل (كذا)»

ولاديب اسحاق شعر حسن نختار منهُ قولهُ في وصف المرأة:

حَسْبَ المرأةَ قومٌ آفةً ... مَن يدانيها من الناس هلكْ
ورآها غيرهم أُمنيَّةً ... ملكَ النعمةَ فيها مَن ملكْ
فتمنَّى معشرٌ لو نُبذتْ ... وظلام الليل مشتدُّ الحَلَكْ
وتمنَّى غيرهم لو جُعلت ... في جبين الليث او قلب الفلكْ
وصوابُ القولِ لا يجهلهُ ... حاكمٌ في مسلك الحق سلكْ
انَّما المرأة مِرآةٌ بها ... كلُّ ما تنظرهُ منك ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتها ... واذ أصلحتها فهي ملكْ

وقد جمع الاديب جرجس افندي نحّاس منتخبات من انشاء الاديب فطبعها

بكتاب دعاهُ الدرر واعاد فيها النظر اخو المترجَم عوني بك اسحق . والمترجم غير ذلك من التآليف لاسيما روايات عرّبها او صنَّفها كاندروماك ورواية البازيسية الحسناء.

﴿الياس صالح﴾ توفي ايضاً في سنة ١٨٨٥ في ١٥ ايلول . وهو الياس بن موسى بن سمعان صالح ولد في ٢٦ ك ٢ ١٨٣٩ في اللاذقية من أسرة وجيهة من طائفة الروم الارثوذكس وبعد دروسهِ مبادئ العلوم في وطنهِ تمكَّن بكدِّهِ وذكاء طبعهِ وثباتهِ من التاليف ونظم الشعر وخدم عدَّة سنين كترجمان القنصلية الاميركيَّة وكعضو في محكمة الدولة التركيَّة . وسافر الى مصر ومدح حضرة الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ بقصيدة مطلعها :

البِشرُ في قطر مصرٍ فاح عاطرهُ والبُمن قد نوَّرت فيهِ ازاهرهُ

يقول فيها :

ربُّ المكارم اسماعيلُ مَن شرُفت بهِ المعالي وزانتها مفاخرهُ
مولى عليُّ اثيلُ المجدِ باذخهُ شديدُ عزمٍ سديد الرأي باهرهُ
منيفُ فضلٍ وريفُ العدل ناشرهُ كثير حلم غزير الجود زاخرهُ
همومُ كل كئيبٍ فهو فارجها وكرُّ كل كسيرٍ فهو جابرهُ
ركابهُ السعدُ بالاقبالِ يخدمها وجيشهُ الله أنَّى سار ناصرهُ

كانت وفاة الياس صالح في وطنهِ وأبقى من بعدهِ آثارًا منها نظم المزامير عُني نجلهُ رفيق افندي بطبعهِ ولهُ تاريخ مطوَّل لمدينة اللاذقية وطنهِ لم يُطبع وعرَّب عدَّة تآليف تاريخيَّة من الافرنسيَّة ولهُ ديوان شعر . وكان متقنًا للغة التركية فعرَّب بعض تآليفها كالدستور الهمايوني وقوانين الدولة

وكان المرحوم الياس صالح تقيًا متعبدًا للعذراء وقد نظم في مديحها عدَّة اناشيد نشرت في ديوانهِ (ص ١٣٤—١٤٤) كقولهِ :

كلّ من في مدح مريمْ قد تغنى . وترنَّمْ
من خطوب الدهر يسلمْ آمنًا كل المعاطب

زاد في الدنيا بلائي وحنى ظهري شقائي

بكِ علَّقتُ رجائي يا رجا اهل المتاعبْ

انت في كلّ بليَّة ملتجى كل البريَّة
من دعاكِ يا تقيَّة فهو لا يرتدُّ خائبْ

في الخطايا ضاع عمري وغلا جهلي وشرّي
لكِ قد سلَّمتُ امري فاقبلي من جاء تائبْ

ولالياس المذكور سميٌّ آخر عُرف مثلهُ بالياس صالح من ملّتهِ ولعلَّهُ من قرابتهِ اشتهر بعدهُ بقليل. ولد في بيروت سنة ١٨٦٩ وقيل ١٨٧٠ وتلقَّى العلوم في الكليَّة الاميركانية ونبغ في العربية الَّا ان الموت لم يسمح لهُ بخدمة الآداب زمناً طويلاً فقصفته المنية غصناً رطباً في ٢ حزيران سنة ١٨٩٥ وكان سافر الى مصر فكتب في جريدة المقطَّم ولهُ قصائد كثيرة وكان سلس النظم مبتكر المعاني يقول الشعر عفواً وكان حرّ الافكار يجاري في ذلك بعض المحدثين. ولهُ قصيدة في الحرّيَّة مزج فيها الغثَّ بالسمين. ومن اقوالهِ الزهديَّة الحسنة ما ورد لهُ في جملة موشَّح:

يا الهي من ذنوبي والخطا ملءُ الدلوُ لعقد الكُرَبِ
وفد الشيب بفَوْدي وخطا واحاطت بي دعاوي الكَرَبِ
يا مليكي في يدي قد سُقطا وانا بعدُ انا لم أتُبِ
أنا في دم فادي الأنّا ارتجي تطهير كل الدنسِ
فهو عوني كلَّما الخطبُ طما وادلهمّ الهمُّ وسط الحندسِ

ومن ظريف قولهِ لغزٌ في اسمهِ (الياس صالح):

أفصحْ لنا يا صاحبي ولك منَّا المنَنُ
ما اسم فتى تفسيرهُ قطعُ الرجاء حسَنُ

ولهُ في ذمّ النحو متفكّهاً:

ما ذا الذي يهمّني أن قامَ زيدٌ او قعدْ
او ان ذهبتُ ماشياً او راكباً نحو البلدْ

او كان زيدٌ مبتدًا او فاعلًا سدّ المَسَدّ
او ان يكُنْ ذا الامُ يبنى م او يَكُنْ هذا يُجَدّ
تَصالح الفعلانِ او تنازعا طول الابدْ
في النحو لا تَقْهرُني الّا تفاصيل العدَدْ
وأصلُ التفضيل كم قد شذّ فيهِ وشرَدْ
وغيرُ هذي عُقَدٌ تبًّا لحاتيك العُقَدْ
ترى بها قواعدًا بدون معنى وزَبَدْ
مختومةٌ جميعُها يقِسْ عليهِ ما ورَدْ

وقال يصف سفينةً سافر عليها :

تلك السفينة بسم الله مجراها على دموعيَ مسراها ومرساها
تجري وفي قلبها النيرانُ موقدةٌ مثلي كأنَّ هوى الاوطان اشجاها
سكرى تميد بمن فيها فتُسكرهم وهمًا فكيف اذا ذاقوا حميّاها
وليس بدعٌ اذا سارت بنا مرحًا فتلك جاريةٌ يهتزُّ عطفاها
هيفاء لكنّها بالقار قد خُضبت كالخَوْد يُخضَب بالحنّاء كفّاها
سلطانَةُ البحر اذ ترسو يحيط بها من القواربِ جندٌ من رعاياها
وان سرَتْ نشرتْ أعلامها وشدا صوت البخار لها والموج حيّاها
طورًا تُرى في قرار اليمّ غائصةً وتارةً فوق هام السُّحبِ تلقاها
لم انسَ ليلة بتنا والرفاقُ بها نرى النجوم ولو شئنا مسَسْناها
وحولنا الماء من كل الجهات ولا شيءٌ سوى الماء يغشانا ونغشاها

﴿انطون صقّال﴾ هو ايضًا احد رجال النهضة الادبية التي حصلت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولد في ٣ آذار سنة ١٨٢٤ وتوفي في الشهباء في ٨ كانون الاول سنة ١٨٨٥ . اقبل على الآداب صغيرًا وتعلّم اللغات الشرقيّة والاوربيّة في مدرسة عين ورقة ثم في حلب ومالطة . وخدم في هذه الجزيرة المعارف زمنًا طويلًا ثم رافق الجنود الانكليزيّة في حرب القريم بصفة ترجمان اوّل سنة ١٨٥٤ . ولهُ مراسلات نثريّة ومنظومات شعريّة ومقالات ادبيّة تنوّه بفضلهِ ووفرة اطلاعهِ

على دقائق اللغة . ولهُ ديوان شعر اكثرهُ حِكَم لم يُطبع . وقد نشر منهُ شيئاً نجلهُ الاديب ميخائيل افندي صقال في كتابهِ السَّمَر في سكَّان الزهرة والقمر وهو على شكل رواية فلسفية ضمَّنهُ رؤيا خيالية شخَّص فيها والدهُ بعد وفاته نازلاً من مقامهِ في الزُّهَرة ليُعلمهُ ما يجري في العالم الآخر وقد ادَّعى فيها الكاتب بعض المدَّعيات الغريبة التي تبعد عن التصديق او قُل انَّها تمويهٌ وتلفيق لولا كونها من اضغاث الاحلام . ومما روى في كتابهِ لوالدهِ من الشعر قصيدتهُ العينية ومنها :

تـدورُ بيَ الأسواءُ لم أدرِ ما أُغني ... وما لي إسعافٌ بذي الدار من عينِ (١
ودهري وقد انفقتُ دينارَ حظِّهِ ... يطالبني بالاصل منهُ وبالعَينِ (٢
فيا أيُّها الـدهر الخؤونُ ألا ارتدعْ ... على انني ما بعتُك العَينَ بالعينِ (٣
فعين الهوى دمٌ وآخرُهُ دمٌ ... ومعظمهُ ليلٌ فما فيهِ من عينِ (٤
لعمري هم الاعيانُ بالعينِ تُخضَعُ ... جُثياً على عينٍ (٥ اذلَّاء للعَينِ (٦
وفيِّينَ في المكيال والعينُ (٧ شأنهم ... يجودونَ بالارواح فضلاً عن العينِ (٨
يروُّون في حقل الاماني بذورَها ... بتَسكاب دمع سال كالماء من عينِ (٩

ولهُ قولهُ :

كم اراعي النذلَ حلماً ... وهو مشتدُّ الخصامْ
وأَلين القول لطفاً ... وهو فظٌّ في الكلامْ
جاز من جازاك يا هم قلبي ... بقطعٍ وانصرامْ
واعتزلْ من خان عهداً ... واخلُ من سوء اتهامْ

﴿نوفل الطرابلسي﴾ هو نوفل نعمة الله نوفل ولد في طرابلس الشام سنة ١٨١٢ من اسرة وجيهة . ولما ترعرع رافق والدهُ في خدمة محمد علي باشا الى مصر فدرس على اساتذتها ثم عاد الى الشام سنة ١٨٢٨ وبعد ثماني سنين سنة ٢٩ حزيران ١٨٣٦ قتل

---

١) واحد الاعيان للاخوة من ابٍ وامٍ واحدة
٢) الربا ٣) اي حاضرًا بحاضر
٤) الشمس او شعاعها ٥) نقرة الركبة
٦) النظر ٧) الميل في الميزان
٨) الدينار ٩) ينبوع الماء

والدهُ ظلماً ابراهيمُ باشا وكان خُدع بوشاية اعدائهِ ثم عرف غلطهُ فقدَّم نوفل ابن المرحوم وقلَّده عدَّة مناصب في بيروت وطرابلس الى ان استقال من الخدمة وتعيَّن كترجمان لقنصليَّتي المانية واميركا في وطنهِ . وقضى بقيَّة عمرهِ في التأليف الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٨٧ . ولهُ تآليف حسنة تشهد لهُ بسعة علومهِ وتنقيبهِ . طُبع منها كتاب زبدة الصحائف في اصول المعارف وسوسنَّة سليمان في اصول العقائد والاديان وصنَّاجة الطرب في تقدُّمات العرب وهو اعظمها فائدة . ونشر عدَّة مقالات في جرائد بيروت ومجلَّاتها لاسيما الجنان . وقد عرَّب عن التركية كتاب قوانين المجالس البلديَّة وكتاباً في اصل ومعتقدات الأمَّة الشركسيَّة وكتاب حقوق الامم وكتاب دستور الدولة العلية في جزئين نال عليهِ جزاء من الدولة

ومن آثارهِ المخطوطة «اخبار تاريخية» وهي مجموعة مفيدة من تاريخ جودت باشا التركي ومن كتاب تاريخ بربر لالياس صدفه ومن مطالعات كثيرة منها نسخة في مكتبة الكلية الاميركانية يسعى اليوم بنشرها وتذييلها جناب الاستاذ اسد افندي رستم في مجلَّة الكليَّة

ومن انسباء نوفل نعمة الله المذكور «سليم دي نوفل» ولد في طرابلس سنة ١٨٢٨ وبعد ان احرز جانباً من مبادئ اللغة والعلوم في وطنهِ تعيَّن وكيلاً لشركة البواخر الروسية ثم ترك الوكالة وسافر الى اوربَّة وعاين التمدُّن العصري في انكلترة وفرنسة . وبعد عودته الى مسقط رأسهِ اكبَّ على الدرس والمطالعة ونقل الى العربية رواية المركيز دي فونتانج فطبعها سنة ١٨٦٠ وبقي على ذلك مدَّة الى ان انتدبتهُ الدولة الروسية باشارة قنصلها في بيروت الى تدريس العربية في كلية بطرسبورج فشخص اليها مع اهلهِ واقام فيها الى سنة وفاتهِ في خريف سنة ١٩٠٢ بعد ان حصل في عاصمة الروس على عدَّة امتيازات نالها بفضلهِ وسعة معارفهِ ومصنَّفاتهِ حتى نُظم في جملة مستشاري الدولة وكان يعرف لغات متعدِّدة يكتب فيها ويتكلم بفصاحة ولاسيما الفرنسويَّة . ومن مصنفاتهِ بالفرنسويَّة سيرة محمَّد صاحب الشريعة الاسلامية وغير ذلك . وكان ينظم في العربية ومن شعرهِ رثاؤه لوطنيهِ وصديقهِ سليم دي بسترس السابق ذكرهُ فقال عند نقل رفاتهِ الى وطنهِ ليدفن في ضريح اسرتهِ :

العبدُ وافى يا سليمُ الى ما   هذا التنائي عن الديار الى ما

ذكر ترجمته (ج١ ص٥٨—٦٥) ولد ابرهيم في دير القمر في ٩ نيسان ١٨٢٣ وجرى صغيرًا على آثار والده وبرع في العربيَّة ودخل ديوان الكتابة في لبنان ثم سافر الى الاستانة وتوظَّف في جملة عمَّال الدولة وامتاز هناك في العلوم الشرعيَّة وتقلَّد منصب الترجمة بنظارة الخارجيَّة مكان والدهِ ثمَّ جاء مع فؤاد باشا سنة ١٨٦١ الى سوريَّة ترجمانًا ونائب رئاسة المجلس الذي فوق العادة. ولاسبابٍ نُفي الى جزيرة مِدِلّي (متلين) على اثر ذلك . وتزوَّج بيونانيَّة من سكَّانها فولد له بطرس قائم مقام زحلة سابقًا سنة ١٨٦٦ . ثم عاد ابراهيم الى الاستانة فصار عضوًا في مجلس المعارف فاقترح عليهِ تأليف معجم عربي وتركي. ومن ظريف ما مُدح بهِ ابراهيم بك قول الشيخ ناصيف اليازجي فيهِ لمَّا رحل الى القسطنطينية ليستلم مأموريَّتهُ :

خلتِ الديارُ فلا كرامةَ عندها ... تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ للمُعتفي
هيهاتَ انَّ ابن الكرامة حلَّ في ... دار الخلافة بالمقام الاشرفِ
سبحان ذي العرش المجيد فقد بدت ... في شخص ابراهيمَ صورةُ يوسفِ
أصلى بنار فراقهِ قلبي ولا ... بَردٌ هناك ولا سلامَ فتنطفي
ذاك الكريمُ ابن الكرام ومَن لهُ ... الذكر الشهيرُ ومن لهُ اللطف الخفي
ورث الكرامة عن ابيهِ وجدّهِ ... لكنَّهُ بتليدها لا يكتفي
شهدت لهُ الاتراك بالفضل الذي ... شهدت بهِ الاعراب دون تكلُّفِ
قد نال ما هو اهلُ ما هو فوقهُ ... فانظر لأيها الثناء وأنصفِ

ثم عاد ابراهيم كرامة الى وطنهِ سنة ١٨٨٥ واعتزل الاشغال وكانت وفاتهُ في بيروت سنة ١٨٨٨ . فقال يؤرخ ضريحهُ جناب الڤيكنت فيليب دي طرازي :

مثوًى غدا في حماهُ الآنَ مضطجعًا ... مَن كان في قومهِ من اكبر العمدِ
سليلُ بيتٍ رفيع الشأن مشتهرٍ ... في الشعر والنثر والتدبير والرشدِ
بطلعهِ عَلَمٌ قد زانهُ عمَلٌ ... برأيهِ غُرةٌ في جبهة الاسدِ
بنو كرامة قد ناحوا عليهِ كما ... عليه ناحت ديار العرب من كمدِ
مضى واحرفُ تاريخٍ لنا رقت ... حُيِّيتَ يا قبرَ ابراهيمَ للابدِ (١٨٨٨)

وكان ابراهيم بك كرامة مغرمًا بالآداب يتداول الرسائل مع مشاهير عصرهِ

كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل الدلّال وكان ينظم النظم الحسن ولهُ ديوان لم يطبع . فمن قولهِ بيتان في تاريخ ظهور جريدة السلام في الاستانة سنة (١٣٠٢-١٨٨٤) :

نُشرت صحيفتنا السلامُ ونشرُها ... قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضنَّ بالخبر الصحيح مؤرخٌ ... يتلو حوادثهُ السلامُ عليكمُ

ويروى لهُ في فتاة لبست ثوباً وردياً :

وردّية الخد بالوردي قد خطرت ... تميس تيهاً وتثني القدَّ إعجابا
لم يكفِ قامتها الهيفاء ما فعلت ... حتى اكتست من دم الطلّاب اثوابا

﴿ الكونت رشيد الدحداح ﴾ وفي هذه المدة انطفأ سراج حياة احد وجهاء اللبنانيين في فرنسة . اعني الكونت رشيد الدحداح . وليس هو اول من امتاز بين المشايخ الدّحادحة بذكاء عقله وآدابهِ في القرن التاسع عشر . فان تاريخ لبنان ذكر منهم كثيرين نالوا شهرةً في دواوين الكتّاب كالشيخ سلّوم الدحداح واخيهِ الشيخ ناصيف كاتبَي الامير يوسف الشهابي في جهات طرابلس ثم عاملَي الامير بشير . وكالشيخ منصور الدحداح ابن سلّوم مدبّر الامور في لبنان مدةً (توفي سنة ١٨٦١) . وكالشيخ امين الدحداح رئيس الكتبة عند الامير حيدر وقد ألّف تآليف ادبيةً منها رسائل وحكم ومراثٍ . وكالشيخ يوسف ابنهِ من شعراء زمانهِ توفي قبل والدهِ سنة ١٨٥٠ وغيرهم من فرسان القلم

الّا ان الشيخ رُشَيد فاق الجميع . ولد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان ثم درس في عين ورقة . وفي سنة ١٨٣٨ اختارهُ الامير امين الشهابي ابن الامير بشير كاتباً لاسرارهِ . ثم خدم لبنان في مناصب شتى لولا انهُ وجد في وطنهِ من سوء المعاملات واسباب العداء ما حملهُ الى ان يتغرّب الى البلاد فانتقل الى مرسيلية سنة ١٨٤٥ في صحبة الشيخ مرعي الدحداح الذي كان عاد الى سورية بعد فتحهِ هناك محلًّا تجارياً . فرافقهُ الشيخ رشيد واقترن بابنتهِ وشاركهُ في الشغل الى السنة ١٨٥٢ حيث فتح محلًّا تجارياً لحسابهِ مع اخيهِ سلّوم . لكنهُ بعد حين انقطع الى خدمة العلم والآداب معرضاً عن التجارة فأنشأ جريدة برجيس باريس وحظي لدى الحكومة

الفرنسويّة واعيانها. ثم أتسعت شهرتهُ بين الادباء واتّصل بباي تونس لمّا حضر الى باريس سنة ١٨٦٢ فمدحهُ بلاميّتهِ التي نشرناها في المشرق(٥[١٩٠٢]: ١٥٥) وعارض فيها لاميّة كعب بن زهير فاجازهُ عليها الباي واتّخذهُ كترجمانهِ الخاصّ وقلّدهُ الامور الخطيرة في دولتهِ

ثم عاد الكونت رشيد الى باريس وابتنى فيها قصرًا بديعاً واقتنى قرية دينار في مقاطعة بِرطانية فاجال فيها يد العمارة وشيّد فيها دارًا فخيمة سكنها مع اهلهِ ولم يزل في آخر حياتهِ يُعنى بالمطالعة والتأليف الى يوم وفاته في ٥ ايار سنة ١٨٨٩ .

وللكونت رُشيد من الآثار الادبيّة ما اكسبهُ اسماً طيباً في الشرق والغرب معاً . فمن ذلك انّهُ سعى بنشر معجم السيّد جرمانوس فرحات في مرسيلية سنة ١٨٤٩ بعد ان رتّبهُ وهذّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ . ثم طبع فيها ايضاً سنة ١٨٥٥ شرحين مستوفيين على ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني وللسيّد عبد الغني النابلسي . وهما الشرحان اللذان اعاد طبعهما المسمّى محمّد السيوطي في المطبعة الخيريّة في مصر سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وساكتاً عن اسم الكونت وانّما اشار اليه اشارة خفيفة لئلّا يُعرف متولّي العمل فدعاهُ « رشيد بن غالب المجتبي . وكان الكونت اوّل من نشر كتاب فقه اللغة الذي اعدنا بعد ذلك طبعهُ . ولهُ مقالات شتّى سياسيّة طبع بعضها على حدةٍ منها كتاب التمثال السياسي مع بيان احوال فرنسة في عهد نابوليون . ولهُ مجموعان احدهما يشتمل على اشعار حكميّة جناها من كتب العرب يُدعى «طرب المسامع في الكلام الجامع » والثاني يتضمّن مقالات ادبيّة وفوائد لغويّة يُعرف بقمطرة طوامير طُبع في فينّة سنة ١٨٨٠ . ولهُ غير ذلك ممّا لم يزل مخطوطاً ونتمنّى نشرهُ كمقالة واسعة في فنّ المناظرة دعاها « ترويح البال في القام والمال » ولاسيما تاريخهُ الكبير الذي دعاهُ «السيّار المُشرق في بوار المَشرق » وكان الكونت ينظم الشعر الجيّد كما يُستدلّ عليهِ من قطرتهِ ومن لاميّتهِ التي ذكرناها . وممّا انشدهُ في مدح نابوليون الثالث سنة ١٨٥١ اذ كان في اوج عزّتهِ اذ لم تعرف غير سجاياهُ الطيبة قولهُ من قصيدة :

الله أكبرُ مُعطٍ من يشاء فما ... كلُّ المحاسنِ والاحسان في رَجُلِ
ونس ذا من علوّ الشعر اذ ظهرت ... للعين انوارهُ كالشمس في الحَمَلِ

فيهِ المجالُ وسيعٌ للمقال لذا | قد عاد بسطُ كلامي ضيّق الحِيَلِ
ذو همّةٍ لم يُثبّط عزمها خطرٌ | ولم يكن لصعابٍ قطُّ بالوَكلِ
ولم يضعضعهُ هولُ الخطب آونةً | ولم يَضقْ صدرهُ في حادثٍ جَلَلِ
وبالنواصي قد اقتاد الذكاءُ لهُ | شهبَ الرئاسة فانقادت على عجلِ
وفي السياسة كم ابدت براعتهُ | حذقاً بهِ عادت الحُذّاقُ في فشلِ

وختمها بقولهِ :

ابقاكمُ الله يا فخر الورى فلكاً | للسِلْمِ والأمن والاقبال والجَذَلِ

وبعد سنتين لموت الكونت رشيد (١٨٩٠) فُجعت الطائفة المارونيّة بوفاة شقيقهِ السيّد «نعمة الله الدحداح» مطران دمشق الذي اشتهر بفضائلهِ الاسقفيّة اكثر منهُ بآثار قلمهِ . وبهمّتهِ نال من افضال الكرسي الرسولي تجديد المدرسة المارونيّة في رومية (١

«اسعد طراد» هو اسعد بن ميخائيل طراد من أسرة شائعة الفضل في هذه الاصقاع من نخبة شعراء سوريّة . ولد في بيروت سنة ١٨٣٥ وتخرّج في حداثتهِ في مدرسة اعبيه الامركانيّة . ثمّ تردّد على الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ واجتمع بافضل اساتذة العربيّة في عهدهِ حتى أتقن العلوم اللغويّة ونظم الشعر في شرخ الشباب فطُبع عليهِ وكان يقولهُ بديهاً . خدم عدّة سنين الدولة العليّة بنشاط ثمّ انتقل الى مصر سنة ١٨٧٢ وتعاطى في انحائها التجارة الى وفاتهِ سنة ١٨٩١ . ولهُ شعر كثير متفرّق جُمع معظمهُ في ديوان بعد وفاتهِ بهمّة بعض انسبائهِ فطبع سنة ١٨٩٩ في الاسكندريّة . ولهُ غير ذلك من الآثار منها مقالات ادبيّة نشرها في الجنان . ومن شعرهِ الذي لم نجده في ديوانهِ قولهُ في موت بعض الكرام :

يا ارحمَ الناس قلباً عند نائبةٍ | هلّا رحمتَ عويل الصارخ الوجلِ
دارت عليك من الاقدار وا اسفاً | كأسٌ فلتَ بها كالشارب الثملِ
هذا الشرابُ الذي لا بدَّ منهُ لنا | وليس تمنعُ منهُ كثرةُ الحيلِ

---

١) اقتطفنا هذا الفصل من ترجمة مطوّلة للشيخ الفاضل والكاتب المحقّق سليم خطّار الدحداح اثبتها في المشرق تحت العنوان «الكونت رشيد الدحداح واسرته» (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٢٨٥ ; ٤٥٦ ; ٤٨٩)

وكان بيتهُ اشبه بمنتدى لعلماء وطنهِ يجتمع فيهِ الشعراء والادباء فمدحهُ بعضهم بقصائد غرّاء. ولنصر الله كتاب في الادب دعاهُ منهاج العلم وكتاب في فلسفة يسمّى اثمار التدقيق في اصول التحقيق طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٨ (ص ٨٩) توفي نصر الله سنة ١٨٨٢

اما « جبرائيل » فكان مولدهُ في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ ونشأ على آداب والدهِ ودرس في مدارس المرسلين في عين طورا وحلب. وكان مغرماً بالعلوم العصريّة فاحرز منها حصّة حسنة وانكبّ على الفنون العربية ودرس آثارها نثرًا ونظماً فصار من اوسع اهل وطنهِ معرفةً بآداب العرب. وسافر غير مرّة الى الاستانة وتعلّم فيها التركيّة وتجوّل في الاقطار حتى بلغ اسبانية والبورتغال وبلاد الجزائر وحطّ عصا التسيار في باريس فحرّر مدّة صحيفة « الصدى » لسان حال السياسة الفرنسويّة وصار ترجماناً لوزارة المعارف وتعرّف في منصبهِ بكثيرين من اهل الوجاهة القادمين الى باريس. ثم استدعاهُ الوزير خير الدين باشا لمّا قُلّد منصب الوزارة الى دار السلطنة لينشئ فيها صحيفة السلام لكنّ تلك الجريدة لم تلبث ان تُلغى بعد استقالة خير الدين باشا فطلبهُ المكتب العلمي في ڤيانّا ليدرّس العربية في كلّيتها ففعل مدّة سنتين. وصنّف هناك بعض المصنّفات منها رسالة في ملخّص التاريخ العام ورسالات لغويّة. ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٨٤ بعد تغيّبهِ عنهُ نحو عشرين سنة. فبقي مدّة يتعاطى الآداب. وهناك اجتمعنا بهِ سنة ١٨٨٧ ونقلنا بعض مخطوطات مكتبتهِ. وما كنّا لنظنّ انّ هذه المكتبة ستُباع يوماً ويقع في يدنا كثير من آثارها. وكأنّ صاحب الترجمة لاختلاطهِ باهل السياسة في اوربّة عرف ما تقتضيهِ بلادهُ من الاصلاحات ففرط منهُ بعض اقوال نُقلت الى ذوي الامر فأُلقي في الحبس وبقي هناك الى يوم وفاتهِ. وقيل انّهُ قُتل مسموماً في اليوم الذي جاء الامر باطلاقهِ والله اعلم. وكان بين جبرائيل الدلّال وبعض مشاهير العصر وشعرائه مراسلات ومساجلات. ولهُ قدود غناء وكان بارعاً باصول الموسيقى. وقد جمع الاديب البارع قسطاكي افندي الحمصي ما وجدهُ من آثارهِ الادبية في كتاب دعاهُ السحر الحلال في شعر الدلّال وصفناهُ في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٨٥٩) واقتطفنا بعض جناهُ. ولهُ فيهِ قصائد غرّاء مدح فيها علية زمانهِ فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك ايران منها قولهُ في مدح السلم والعدل :

فالسلمُ اوفى واقياً ولثروة البلدانِ اوفرْ
والعدلُ ان عمَّ الحِما لكَ شاد علياها وعمَّرْ
والباقياتُ الصالحا تُ على مرور الدهر تُذكرْ

ومن طيّب نثرهِ ما روي له هناك من جواب الى صديق :

«كتبتُ اعزَّك الله وقد وصلني طرسُك الذي فاق الدرَّ النضيد ببهجتهِ ، وازرى على رخيم التغريد بلهجتهِ ، واني لأحقُّ بابتدائك بما ابتدأتني بهِ من الصلة تفضُّلاً ، ولكن قُدِّر لك على السبق وان تكن في كل شيء اوّلاً ، فلساني عاطر بشكرك ، وقلبي عامر بذكرك ، غبتَ او حضرتَ مررتَ او أقمت . فوالله لم اذكر أيام اللقاء ولذَّتها الاّ وطارت نفسي شعاعاً ، ولا تخيَّلتُ ساعات الوداع وكربها الاّ وزدني الشوقُ التياعاً . . فان تأملتُ قصرَ مدَّة أُلفتنا هاج بي الشوق آلاماً ، وان تذكَّرتُ حميم صحبتنا زادني التذكار هياماً ، واذا فكَّرتُ في فرقتنا قلت ما كان اللقاء الاّ مناماً»

﴿سليم بك تقلا﴾ وكأنَّ تلك السنة ١٨٩٢ كانت مشئومة على الآداب العربية فتوفي في اواسط تموز رجل لبناني نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً نريد بهِ سليم بك تقلا . ولد المذكور سنة ١٨٤٩ في كفرشيما من قرى سواحل بيروت وكان رومياً ملكياً كاثوليكياً فاستنشق منذ نعومة اظفاره ريح الآداب التي نمَّ شذاها في مسقط رأسهِ من الحديقة اليازجيَّة . فدرس في صغرهِ في مكتب قريتهِ ثم دخل مدرسة اعبيه الامريكانيَّة لكنَّ حوادث السنة ١٨٦٠ المشئومة اضطرَّتهُ الى ان ينزل الى بيروت فاكمل دروسهُ في المدرسة الوطنيَّة على المعلم بطرس البستاني وابنهِ سليم . وكان في كل تقلّباتهِ مثالاً لاقرانهِ يسبقهم بذكائهِ ورغبتهِ في احراز العلوم . ولمَّا أُنشئت سنة ١٨٦٥ المدرسة البطريركيَّة في بيروت انتدبهُ اصحابها الى تدريس العربيَّة فيها فكان رصيفاً للشيخ ناصيف اليازجيّ فيلقي عليهِ مشاكلهُ اللغويَّة حتى رسخت قدمهُ في العلوم اللسانيَّة وامكنهُ وضع كتاب مدرسي في الصرف والنحو دعاه «مدخل الطلّاب» . فاتخذته المدرسة دستوراً للتعليم وزادت ثقة الرؤساء بهِ فجعلوهُ رأس اساتذتهم ووكيل اعمالهم . ثم اجتذبتهُ مصر لما رأى في ربوعها من الحريَّة وفي امرائها من الاريحيَّة والتنشيط فأمّها ورفع الى خديويها اسماعيل باشا قصيدة رنانة مهَّدت لهُ سبيل النجاح فنال الامتياز بانشاء جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ وهي التي لا تزال الى اليوم احدى جرائد مصر اليوميَّة الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياتهِ

نهضته دورًا مهمًا مع ما صادفته في سيرها من العوائق لاسيما سنة ١٨٨٢ وقت الحوادث العرابية الآن عزم محررها لم يُغلب بتلك العوارض بل زاد نشاطًا وعانى اعمال الصحافة الى وفاته فتوفي في قريـة بيت مري سنة ١٨٩٢ وكان قصد لبنـان تغييرًا للهواء وطلبًا للشفاء من المٍ اصابه في القلب فلم يمهلهُ أجلهُ زمنًا طويلًا ونُقلت جثتـهُ الى موطنهِ باكرام. وكان اسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس ارباب الامر من دولتهِ فنال منهم ومن الدول الاجنبيَّة عدَّة رُتب وامتيازات شرفيَّة. وهو قد ابقى من آثار قلمهِ —ما خلا فصولهُ ومقالاتهِ المتعدِّدة في الاهرام— مجموعًا فيهِ مقاطيع من نظمهِ ونثرهِ. فمن حسن شعرهِ قولهُ يصف اساطيل حربيَّة:

تلك الأساطيلُ فوق الغَمْرِ سابحةٌ ... والغمرُ منها كـسهـلٍ وهي كالقُلَلِ
دانت لهيبتهـا الانواءُ خاضعةً ... فحيثما قصدتْ حلَّت بلا مَهَلِ
خاضت عبابَ بحـار الارض آمنةً ... عَصْفَ الرياحِ وقصفَ الرَّمْيِ بالكللِ
اذا شكتْ سفُنُ الخصمِ العنيد ظما ... نُزَّالها اوردتها الماءَ للـدَّقَلِ
وان تشامخَ حصنٌ دكَّ عن أُسُسٍ ... ولو تطـاولَ مرفوعًا الى زُحلِ
خاجا الجنُّ ثمَّ الانسُ من بشرٍ ... والنَّسْر في الجوِّ مثل الحوت في الوشلِ
هذي قوى المـاء فوق الماء ناشرةً ... بند الجلال فصفْ ما تبتغي وقُلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك ممَّا لم يُطبع كرسائل ونُبذ تاريخيَّة وروايات معرَّبة منها رواية مِتريدات ورواية ايوب البارّ. وهذهِ رسالة كتبها في تهنئة:

السيّد السنـد اطال الله بقـاءَهُ. لا ادري اي الثلثة اهنئ أإياك ام الرتبة ام نفسي؟ امَّا انت فبتـاييك وان كُنتَ فوق ما نلتَ. وامَّا الرتبة فبتشرُّفها لأنَّها دون من سمت اليهِ. وامَّا انا فلاني اوَّل مُخلص لك ووُدّك فتهنئتي بما أفتخر بهِ لك. ويا حبَّذا لو كان لي مداد برقي ويراع كهربائي أفيك بهِ حقَّك من سروري ولعلَّ ما بين قلبينا يقوم هذا المقام عني فأقول:

فان أشكُكْ أراجعْ فالدليل معي ... وان تشككْ فراجعْ فالدليلُ معكْ

ومن ظريف قوله في من عذلهُ على التدخين:

عذلَ التدخينَ قومٌ قد رأوا ... بيدي سيكارةً اعشقُها
قـال: دَعْها فهي سمٌّ ناقعٌ ... قلت: لا والله لا اعتقُها
ان تكن سمًّا فـاني محرقٌ ... شرَّها بالنـار اذ أحرقُها

وعليهِ فاعــذلوا او فاعذروا فلي الحالين لا أُطلقها
إنْ حلالًا او حرامًا اشرجا فانا الصبُّ الذي يعشقُها

وقام من بعد سليم بك شقيقهُ «بشاره باشا تقلا» المتوفي سنة ١٩٠١ وسنذكره في جملة أدباء القرن العشرين

القانوني «نقولا نقَّاش» هو نقولا بن الياس نقاش اخو المرحوم مارون نقاش الذي سبق ذكرهُ (في المشرق ١١ [١٩٠٩]: ٣٨٢) وهناك اشرنا الى اصل العائلة من صيدا وانتقالها الى بيروت . وكان مولد المترجم في هذه المدينة سنة ١٨٢٥ وجرى على آثار اخيهِ في طلب العلوم ودرس اللغات وساعدهُ في انشاء الروايات التمثيليَّة . ثم تعاطى التجارة من السنة ١٨٥٩ الى السنة ١٨٦٨ فانتدبتهُ الحكومة الى خدمتها كعضو مجلس الادارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكبَّ على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العليَّة . وتخرَّج في العلوم الشرعيَّة على مشائخ العلماء اخصُّهم الشيخ يوسف الاسير فاحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضوًا دائمًا لمحكمة بيروت التجاريَّة واشتغل وتنشَّط بالتأليف وعرَّب عن التركيَّة عدَّة كتب قانونيَّة واضاف اليها الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحليَّة بمثابة الترجمة الرسميَّة يُرجع اليها في حلّ المشاكل . ونمت شهرة المؤلف بذلك حتى وقع عليهِ الاختيار سنة ١٨٧٨ كمبعوث بيروت الى الاستانة في الندوة الدستوريَّة لولا انَّ ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدَّة الى وطنهِ وانشأ سنة ١٨٨٠ جريدة المصباح الكاثوليكيَّة فنالت بتدبيرهِ ومقالاتهِ شهرة واسعة طول حياتهِ . وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئهِ حتى انطفأ تمامًا . وكان المرحوم نقولا نقَّاش شديد التمسُّك بالدين مجاهرًا بايمانهِ كما تشهد لهُ بعض تآليفهِ ككتاب تكريم القديسين ومجموع صلوات تقويَّة . ولهُ من الكتب الادبية خطب في مواضيع شتى سياسيَّة واجتماعيَّة . ولهُ ديوان شعر طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٨٧٩ ضمَّنهُ كثيرًا من المعاني الحسنة والاوصاف العصريَّة فمن ذلك قولهُ من قصيدة طويلة ارَّخ فيها وصول ماء نهر الكلب الى بيروت سنة ١٨٧٥ :

يا اهل بيروت بشرى قد صحَّ فينا الرجاءُ
هذا هو الماءُ جارٍ فلترْوَ منهُ الظماءُ

ماءٌ لذيذٌ شهيٌّ رِدُوهُ فيهِ الهناء
بيروت ضاهت دمشقًا وزال عنها العناء
فقل لمن عيّرونا وقلّةُ الماء داء
تعالَوا الآن تلقوا ماء وفيهِ النماء
سقيًا لبيروت ارّخ في ثغرنا حلَّ ماءُ (١٨٧٥)

ومن اوصافهِ تعديدهُ لعجائب العصر:

الله اكبرُ هذا عصرُ تجديدِ عصرُ المعارف لا بل عصرُ تمجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الاكوان باسمةٌ تثني على اهلهِ الغُرِّ الصناديدِ
ذيّاك ينطق في تسبيح خالقهِ وذاك يلهجُ في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير الى العليا بخفّتهِ وذاك يخرقُ اجبال الجلاميدِ
ترى السفائنَ اعلامًا مدرَّعةً إن تصدم الحصنَ ألقى بالمقاليدِ
ما البيضُ ما السُمرُ إن ألقت مدافعها كُرَاتِها الحُمْرَ من أفواهها السُّودِ
كنا نخافُ من الأفلاك صاعقةً أضحت من البرّ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ اخبارُنا كالبرق مسرعةً تكادُ تسبق فكرًا غيرَ مولودِ
اضحت قوافلنا والنار تحملها تسيرُ كالطير لا كالعيس في البيدِ
واللهِ ما فعل قُوّات البخار سوى ضربٍ من السحر لكن للخير محمودِ
هي الطبيعةُ جلَّ الله مبدعُها الى الوجود بدت من عمق مفقودِ
كلٌّ يحاولُ منها كشفَ معجزةٍ فكلُّ مَن جدّ يلقى جلَّ مقصودِ

ومن محاسن نظمهِ قولهُ في لبنان ومقاطعاتهِ بعد حوادث السنة ١٨٦٠:

لله درّك يا حمى لبنان اذ اصبحتَ مغتنم الرضا الشاهاني
نُشرت معارفهُ الجليلة اذ غدا يروي حديثًا عن بني نبهانِ
وبقاعهُ ذاك العزيزُ مقامهُ اضحى عزيزًا اخصبَ الوديانِ
وبمتنهِ وبغربهِ حلَّ المنى والجُرد اضحى ساحلًا لأمانِ
وبشُوفهِ يشفى العليلُ تيمّنًا غزباهُ قُلْ بالخير يلتقيانِ
قد عُدْتَ يا عرقوبُهُ عمّا مضى وغدوتَ معروفًا بصدقِ لسانِ
وكذا المناصف أنصفت لمّا صفت في خدمةٍ تحدى الى الأوطانِ

وبكسروانَ ترى الامانَ موطَّدًا　　من سيفِ كسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُوَيطع كالقطيع مطاوعاً　　وكذاك قاطعهُ بوصلٍ دانِ
وجُبَيلُهُ وجبالهُ وسهولهُ　　ووعورُهُ حاكت رياض البانِ
وبزاويتهِ (كذا) قد بُني نعمَ البنا　　هل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
تحمى بسيفٍ باترٍ بَترونُهُ　　وكذا غدت أميونهُ بأمانِ
نادى حسامُ العدلِ فيهِ هاتفاً　　ألقى « بشرَّي» كلَّ من عاداني
بجنوبهِ وشمالهِ تلقى الهنا　　وبشرقهِ وبغربهِ هنَّانِ
قم أيُّها الشيخُ القديمُ زمانهُ　　وانظرْ هضابَكَ بهجة الاكوانِ
نسجَ الربيعُ بنحو هامك خوذةً　　كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانِ
هامٌ تكلّلهُ الثلوجُ أكلَّةً　　بيضاء تكني عن جليل معاني
والخصبُ في أكنافهِ ووسطهِ　　قُل جنَّةٌ تردانُ بالافنانِ
حتى الصخورُ غدت رياضاً أثمرت　　من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
ومناهل يحيي القلوبَ ورودُها　　وعيونهُ تروي ظما الظمآنِ
هو جنّة في الارض تحكي للسما　　والخلق ترتع في رياضِ امانِ

ولهُ قصيدة طويلة تنيف على ١٤٠ بيتاً دعاها التوبة وضمَّنها المعاني الزهديَّة. وقد روينا لهُ في المشرق (٥[١٩٠٢]: ٦٣١) نشيدًا نظمهُ لجمعيَّة مار منصور. كانت وفاة نقولا نقَّاش في ٤ كانون الاوَّل سنة ١٨٩٤ فأبنهُ مصقع الخطباء. ورثاهُ جلُّ الشعراء فجُمعت اقوالهم في كرَّاسٍ مخصوص. وقد ورث اولادهُ من بعدهِ آدابهُ فعُرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف ولهُ بعض الآثار الادبيَّة. والقانوني جان صاحب كتاب مغني المتداعين عن المحامين. ومن الاسرة عينها اشتهر «سليم بن خليل» المتوفى في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرّر العصر الجديد ولهُ تاريخ المسألة المصريَّة سمَّاهُ «مصر للمصريين» وكتب عدَّة فصول ومقالات وروايات طُبعت في بيروت ومصر. ونضيف الى هؤلاء «جرجس بن حبيب» المتوفى في ١٧ تشرين الاوَّل سنة ١٩٠٧ وكان من ادباء طائفتهِ لهُ بعض المصنَّفات في تاريخ العرب اوقفنا عليها وهي لم تُطبع. وسليم وجرجس ابنا اخوي نقولا نقَّاش

«يوسف الشلفون» كان احد انصار النهضة الادبيَّة في الفصل الثاني من القرن

التاسع عشر . وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون كان جدّهُ حاكماً على ساحل لبنان من قِبَل الامير بشير الشهابي الكبير . اما حفيده يوسف فكان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ درس في مكاتب بيروت مبادئ العربيّة واللغات الاجنبيّة واشتغل مدّة في المطبعة السوريّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ بصفة مرتّب حروف ومصحّح مطبوعات . وفي اثر حوادث سنة ١٨٦٠ استدعاهُ فؤاد باشا معتمد الدولة العليّة لترتيب ونظارة المحرّرات الرسميّة التي كانت تُطبع في التركيّة والفرنسويّة . وبعد ان تقرّر نظام جبل لبنان انشأ على حسابهِ مطبعةً المعروفة بالمطبعة العموميّة سنة ١٨٦١ ونشر فيها عدّة مطبوعات عدّدناها في المشرق (٣ : ١٠٠١ = ١٠٠٣) وكان يوسف الشلفون ذا همّة عظيمة فانتدبهُ اوّل متصرّفي لبنان المرحوم داود لتنظيم مطبعة في مركز المتصرّفيّة فقام المندوب بهذه المهمّة القيام الحسن . ثم صرف عنايتهِ الى انشاء الجرائد فنشر منها اربعاً وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح واخيرًا التقدّم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة الجيدين كالقس لويس صابونجي والخوري يوسف الدبس واديب اسحاق . ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعتهُ في خدمة الطائفة المارونية الى ان انفصل عنها وانشأ المطبعة الكليّة كما فصّلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٥٠١) وقد اضرّ بالمترجم تقلّبهُ في الاشغال وميلهُ الى ذوي المبادئ الحرّة . وكان احد اعضاء الجمعيّة العلميّة السوريّة وفي مطبعتهِ نُشرت اعمالها في السنتين ١٨٦٨-١٨٦٩ . وكان حسن الكتابة ولهُ نظم جمعهُ في ديوان ودعاهُ انيس الجليس وطبع قسماً منهُ في مطبعتهِ الكليّة سنة ١٨٧٤ . فمن نظمهِ قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض ابياتها :

ضاءت بشمس سعودك الايّامُ وزهت بطلعة مجدك الاعوامُ
وسما بذاتك سفحُ لبنانَ الذي حسدَتْهُ مصرُ بعزّهِ والشامُ
فكأنّهُ فلكٌ وانت بأفقهِ بدرٌ له دون البدورِ تمامُ
اقطارهُ بالعدلِ منك استأمنت ورعت بها الآسادُ والاغنامُ
يا ايّها المولى الذي عن وصفهِ وثنائهِ قد كلَّتِ الاقلامُ
قلّدتَ قوماً تحت امرك منّةً لم تحصِ واجبَ شكرها الارقامُ
ونسختَ آيات المظالمِ بعدما قامت على ساقٍ بها الاقدامُ

ونصبتَ يا داودُ احكاماً جا ظهرَ اليقينُ وزالتِ الاوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميل مخلَّدًا هو في الحديث بداءةٌ وختامُ

وقال مهنئاً احد الرهبان اليسوعيين في عيدهِ فافتتح كلامهُ بهذه الابيات :

المرء يُعرفُ في جميل خصالهِ وبعزّهِ عند مقالهِ وفعالهِ
والشهمُ مَن نال العُلى في جدّهِ حتى غدا الراقونَ دون منالهِ
ويشيد صرحَ الخير في طلب العُلى كي يدرك الافلاك في اعمالهِ
فيرى اتقاء الله خيرًا يرتجى يوماً ويَشفي قلبهُ بزُلالهِ
ويميل عن كل الانام تعففاً ويرى بحبّ الله راحةَ بالهِ

ولهُ قصائد في اماثل الرجال وكبار الامراء الذين قدموا بيروت ومدح امبراطور النمسا ووليَّ عهد المانية وانكلترة وسموّ الخديوي اسماعيل باشا فاستحق بذلك بعض الامتيازات الشرفية لكنهُ توفي خاملًا السنة ١٨٩٥

﴿سليم جدي﴾ وفي السنة ١٨٩٥ عينها انتقل في ربيع عمرهِ شابٌ اديب قصفتهُ المنون غصناً يافعاً نريد بهِ سليم بن نصرالله جدي من أسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت . كان مولدهُ نحو السنة ١٨٧٠ وتخرَّج في الآداب والعلوم في كلّيتنا . وقد عرفناهُ حق المعرفة اذ كنا ندرّسهُ العربية وكان في مدرستنا مع المرحوم نجيب حبيقه صاحب الفارس الاسود فعهدناهما طالبين يتلهّبان شوقاً الى خدمة الاوطان فيجريان مذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان ولكليهما مآثر نثرية وشعرية لدينا منها اشياء متفرقة والبعض منها قد نُشر بالطبع كعدّة قصائد وروايات. وكأنَّ دار الآخرة حسدت الوطن على فضلها فاشربتها كأس المنون المرّة عاجلًا . الا ان نجيباً عاش بعد قرينهِ عشر سنوات وسيأتي ذكرهُ مع ادباء القرن العشرين . ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صحّ فيهِ فكأنهُ سبق ورثى نفسهُ بقولهِ :

لك بين الانام ديوانُ شعرٍ بمعانيهِ حرَّك الجلمودا
تلك بانت للعصر مبتكراتٍ ومن المجد ألبستك برودا
لو درى الموت انَّ ذلك درٌّ للمعاني نظمتَ منهُ عقودا
ما اصابت سهامهُ لك قلباً كان قبل اللسان ينشي القصيدا

﴿شاكر شقير﴾ وفي خريف السنة التالية خسرت أُسرة كريمة من الروم الاورثذكس كاتباً آخر من ابناء الوطن وهو شاكر مغامس شقير عُرف في بلاد الشام مدةً بتفننهِ بالكتابة ونظم الشعر تولّى التدريس في عدّة مدارس وطنية وساعد المرحوم بطرس البستاني في بعض فصول دائرة المعارف وكتب في مجلّة الجنان وادار مجلّة ديوان الفكاهة (١٨٨٦–١٨٨٩). ثم انتقل الى مصر وانشأ فيها مجلّة الكنانة في نيسان سنة ١٨٩٥ فاتت بموت محرّرها بعد سنتها الاولى (١٨٩٦). توفي في وطنهِ الشويفات وللمذكور عدّة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرّقة في كثير من المجلّات. وقد روينا عنهُ قصة ظريفة في المشرق (٩ [١٩٠٦]: ٥٧١–٥٧٥) عنوانها الطواف بالقربان الاقدس. ولهُ كتاب مصباح الافكار في نظم الاشعار طُبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ومنتخبات الاشعار طُبع سنة ١٨٧٦ وعُني بتكرار طبع ديوان ابي العلاء المعرّي دون ان يزيد عليهِ شيئاً يُذكر من المحسّنات. ولشاكر اخٌ اسمهُ فارس ترك ايضاً بعض المؤلفات وسنذكرهُ في تاريخ آداب القرن العشرين . ومن حسن شعر شاكر قولهُ من رثاء في سليم دي بسترس دعاهُ «حقيقة الاسف» وقد تفنّن فيهِ كثيراً:

فتلهّبٌ وتلهّفٌ وتأسّفٌ ... وتأفّفٌ وتحسّرٌ وتحرّقُ
كبدٌ تذوب وانفسٌ تشكو العنا ... اذنٌ تطنّ واعينٌ تتدفّقُ

ثم انتقل الى بحر آخر وقافية أُخرى فقال:

سليمُ الفؤادِ لهُ طلعةٌ ... تحيي الشموسَ وتزري القمرْ
وذو هيبةٍ كأسودِ الشرى ... وأنسٍ كانسِ الغزال الاغرّ
تخرُّ الذقونُ لهُ سجّداً ... تسرُّ العيونُ بهِ اذ حضرْ
عليُّ المكان جليُّ البيانِ ... طليُّ اللسانِ مليُّ البصرْ
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنان ... رقيُّ الزمانِ بقيُّ الاثرْ

وممّا قالهُ سنة ١٨٦٩ في مدح الجمعيّة السوريّة:

وزهرة روضٍ كلّما طال وقتها ... تزيد غوّاً بالجمالِ مقلّدا
بها افتخرت بيروت حتى تقدّمت ... على كلّ مصرٍ وهي تشبهُ فرقدا
مؤلّفة من كل صاحبِ غيرةٍ ... ذوات بنَوا للخير بيتاً مشيّدا

كواكب سعدٍ يسطعُ اليوم نورهم — ويهدي الذي في الجهل ضلَّ الى الهدى
وقد ألبسوا بيروت حلّةَ سؤددٍ — تتيه بها اذ اصبحَتْ منبع الندى
فكلٌّ لسانٍ في ثناهم لاهجٌ — يصوغ بهِ لفظًا لدرٍّ منضَّدا
وكلُّ جنانٍ حمدُهم فيهِ راسخٌ — وكل مديحٍ في سواهم تفنَّدا
فلا زال مسعاهم بذلك ناجحًا — ونالوا المنى ما الطير في الغصن غرَّدا

ومن نظم شاكر قولهُ من قصيدة في رثاء نقولا نقَّاش :

من كان بالامس نقَّاش الصحاف هدًى — يُنسيك حسَّانَ او يزري بسحبانِ
من كل نثرٍ انيق الوصف مندمجٍ — وكل شعرٍ رشيق النظم طنَّانِ
كم حرَّر اللفظ والمعنى تصوّرهُ — بما استرقَّ لهُ احرارَ تبيانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرَةٍ — وان جرى لا يجارى بين اقرانِ

وختمها بقولهِ :

مضى الى الله حيث الدارُ خالدة — مستوفيًا أجرَ اعمالٍ وايمانِ
لا يبرح العفوُ فيهِ فوق مضجعةٍ — تحت الاكلَّةِ من آسٍ وريحانِ

﴿ امين شميِّل ﴾ اسرة شُميِّل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما. يقال ان اصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر. وكان مولد امين بن ابراهيم شميِّل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقَّى مبادئ العلوم واللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان في بيروت فامتاز بين اقرانهِ. ثم سار الى رومية في بعض شؤون طائفتهِ فاصاب فيها نجاحًا. ثم رحل الى انكلترة وتعاطى فيها التجارة فاتَّسعت اشغالهُ وفتح محلًّا في الاسكندرية فلم يزل في تقدُّم ونجاح الى ان دار دولاب الدهر فاباد ثروتهُ. الَّا انَّ تلك الاحوال المشؤومة لم تفلَّ شباة عزمهِ. فصفَّى اشغالهُ وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فنَّ المحاماة فبرَّز فيهِ واشتغل بالآداب وانشأ مجلَّة الحقوق فكانت باكورة المجلَّات الشرعية. ونشر في تلك الاثناء بعض التآليف القانونية كالمباحث القضائية ونظام الحكومة الانكليزية والتآليف السياسية الدقيقة النظر اخصها كتابهُ الوافي في المسئلة الشرقية طبعهُ في مطبعة الاهرام سنة ١٨٧٩ وهو كتاب ضخم في جزئين ضمَّنهُ ملخَّص تواريخ العرب من اوَّل الاسلام

الى زماننا (ص٥٤٦) وكان وضع قبلاً رواية سياسية دعاها الزفاف السياسي . وكان ضليعاً بالآداب حسن الكتابة نثراً ونظماً ويضمّن تآليفهُ المعاني الفلسفيّة والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد لهُ بعض مصنّفاتهِ كبستان النزهات في فن المخلوقات الذي لم يُطبع وكالمبتكر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة الى الموت انجز تأليفهُ في ليفربول سنة ١٨٦٧ فطبعهُ في المطبعة السورية في بيروت . وكان لامين شميّل اولاد نجباء تهذَّبوا كلّهم في كليّتنا البيروتية الا انّ يد المنون اغتالت سنة ١٨٨٥ اثنين منهم في وقت واحد فتوفي ارثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر وكان كلاهما من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سلّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً اليماً على والدهما اضعف قواهُ وهدّ ركن حياتهِ . لكنهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى لبى دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاول منها بعد وفاة اخيهِ اسعد ببضعة اشهر في لبنان

ولامين الشميّل اخوان آخران ضارعاهُ عقلاً وذكاء الواحد منهما ملحم كان ايضاً عالماً وشارك اخاهُ في اعمالهِ التجاريّة وآدابهِ توفي في ١٧ شباط سنة ١٨٨٥ اي سنة وفاة نجلَي امين فقال الشيخ خليل اليازجي مؤرخاً وفاتهُ :

يا مُلحماً جرحتْ سهامُ مصابهِ ... منّا القلوبَ جراحةً لا تُلحمُ
اسكرتَ عند البَين آل شميّلٍ ... بشَمولِ حزنٍ ليس يرشفها الفمُ
للمجد والعليا عليك مناحةٌ ... ولكلّ فنٍّ في المعارفِ مأتمُ
غادرتَ مجدكَ واستويتَ من العُلى ... أرّخ لدى المجد الذي هو اعظمُ (١٨٨٥)

ولد مُلحم في ٥ نيسان سنة ١٨٢٦ وتقلّب في مناصب التعليم فالتجارة فالسياسة حتى ادركتهُ الوفاة . ومارس الطبّ مدّة على الطريقة الاختباريّة القديمة . ومن آثارهِ الادبية ارجوزة وضعها في علم الجبر والمقابلة ولهُ مقدّمة طويلة على علم الحساب وكان شاعراً مجيداً لهُ عدّة قصائد منها واحدة مدح فيها الخديوي اسماعيل باشا ورثى كريمتهُ زينب هانم برثاة افتتحها بقولهِ :

بوسعُ القلبِ صاحب الحزم صبرا ... يومَ بينٍ يجرّعُ الصبَّ صبرا
وحكيمٌ من يزدري بحياةٍ ... كلّ يومٍ تزداد بالطول قِصرا

وفي آخر عمرهِ دخل ملحم حكومة لبنان وخدم وطنه الى سنة وفاتهِ

اما الاخ الآخر فهو الدكتور شبلي شُميِّل الشهير بكتاباتهِ المتوفى بعد الحرب وسنذكرهُ في تاريخ الآداب العربية في القرن العشرين وكان امين رجلًا ديّناً على خلاف اخيهِ الدكتور ومن حسن قولهِ في الخالق سبحانهُ وتعالى :

هو المهيمنُ والاكوانُ صاغرةٌ ... تجثو لقدرتهِ العليا وترتعدُ
هو العزيزُ هو الباقي بقوّتهِ ... هو الرحيمُ هو المحيي هو الصمَدُ
يا مُبدعَ الكلِّ هل في ذاك من امدٍ ... يُنهى لديك وماذا يا ترى الامدُ
انتَ الكريمُ وتُعطي ما تشاء كما ... تشاء من بحر جودٍ نبعهُ الزَبدُ
نفختَ في منخرَي هذا المركّب من ... طينٍ فأصبحَ ذا نفسٍ بها البَدَدُ
هل نالت العُجمُ نفساً لا تموت كما ... نلنا والّا فما البرهانُ والسنَدُ
النفسُ من عالم الارواح لا عَرَضٌ ... يفنى ولا كائنٌ ينحلُّ او جسدُ
فارحب بها مَلَكاً من فضل واهبها ... تحلّ بها مُلكاً كرسيُّهُ الابدُ
وهبتَها لك تمييزاً وقد ظهرتْ ... نوراً فكن مؤمناً ويلٌ لمن جحدوا

ولامين شميّل قصائد متفرّقة لم تجمع نُشرت في مجلّات شتى كقصيدة كنز المنى في المقتطف (١٨٨٥ ص ٩٨) وكقصيدتهُ الشرعيّة في الجنان (١٨٨٥ ص ٢٢٨) وغير ذلك ممّا اخذتهُ يد الضياع

﴿حنّا بك اسعد الصعب﴾ من اسرة المشايخ الموارنة ابي الصعب الشهيرين بنواحي البترون. كان ابوهُ سرعسكر الامير بشير الشهابي الكبير فنشأ صغيراً على التقى وحبّ الآداب فاتخذهُ الامير في خدمتهِ فتعلّم العلوم اللسانيّة وبرع في الخطّ العربي حتى ضُرب المثل في خطهِ البديع. ولمّا سار الامير بشير الى مالطة اختار المترجم بصفة كاتب لاسرارهِ فرافقهُ الى تلك الجزيرة ثم الى الاستانة العليّة وانتهز ثمّ الفرصة ليتعلّم عدّة لغات كالايطاليّة والفرنسويّة والتركيّة ودرس الفنون العصريّة حتى اصاب لهُ شهرةً واسعة. ولمّا عاد الى وطنهِ انتدبتهُ الحكومة الى خدمتها فخدمها في عدّة مناصب جليلة مدّة اربعين سنة وكان اوّل من حاز لقب البك بين نصارى لبنان وبرّ الشام. توفي في اواسط سنة ١٨٩٦. ولحنا بك الصعب رسالات وشروح لم تُطبع وله

شعر كثير تفنَّن فيهِ واجاد وقد جمعهُ في ديوان واسع طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٣ وفي صدره صورة ناظمهِ. وقد ختمهُ بقصائد تركيَّة تشهد على براعتهِ في اللغة العثمانيَّة. وفي شعرهِ منظومات متعدّدة تفيد تاريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٩٠ فمن ذلك قولهُ مهنئاً دولة رستم باشا عند قدومهِ الى لبنان سنة ١٨٧٣ بقصيدة هذا مطلعها:

ما بالُ لبنانَ يُبدي النَّوْرَ أنوارا ... هل وجهُ رُستمَ اهدى النُّور انوارا
او تلك ألطافهُ الحسناء مذ لمعتْ ... ازاحتِ الشمسَ للتنوير استارا

الى ان قال:

حُيّيتَ لبنانُ كنْ باللهِ مُعتصماً ... وكُن شكوراً بحمد الله مكثارا
ها قد أتى السرُّ والإقبال يُسعدهُ ... والضرُّ غاب مع العنقاء قد طارا
ضاءت مشارقنا لاحت بيارقنا ... طابت حدائقنا عَرْفاً وأثمارا
جادت محابرنا زادت مخابرنا ... ناغت منابرنا سجعاً وأشعارا
حسَّنْتَنا سَنَناً كمَّلْتَنا سُنَناً ... نوَّلتنا مِنَناً شيَّدت امصارا
مكّنتَ بحرِسنا طيَّبت أرؤسنا ... خوَّلت أنفسنا بالخلدِ أخدارا
لا زالَ يا علَمٌ تجثو لك أُمَمٌ ... سيفٌ كذا قلمٌ ملّكت احرارا

وكان قال سابقاً لما تعين داود باشا اوَّل متصرّف نصراني على لبنان:

لنا البُشرى لقد نلنا انتصارا ... وفزنا في سرور لن يبارى
مليكُنا قد حبا لبنان قدراً ... وخوَّلهُ مقاماً واقتدارا
بوالٍ من بني عيسى وزيرٍ ... وهذا الفخرُ وافانا ابتكارا
شدا باليمن تاريخ بفخرٍ ... وزيرٌ جاء نصراً للنصارى (١٨٦٢)

ولهُ من قصيدة يوبّخ فيها الخاطئ ويستدعيهِ الى التوبة.

ألا أرفقْ بنفسٍ انَّ كل نفائسٍ ... لديها بذي الدنيا اخسُّ الخسيسةِ
أأنت عدوّ النفس ام انت خدنها ... فمن شيمة الاخوان صونُ الخدينةِ
اراك بلا الاشفاق تبغي عذابها ... وترمقها شذراً بعينٍ غضوبةِ

فلو شامتِ الاعداء ما انت فاعلٌ لرقَّت لها رُحمًا وأيَّة رقَّةِ
أتجهلُ ما للنفس من هول موقفٍ امام العلي الديَّانِ في كل رهبةِ
وفيهِ لإعلان الخفايا مظاهرٌ على مشهد الابصار من كل حدقةِ
مصاحفُها مفتوحةٌ اذ تُرى بها ذنوبٌ ولم يُترَك بها قدرُ ذرَّةِ
فذرْها ولا تعبأ بظلٍّ عبورُهُ يكونُ كطرْفِ العين في كل سرعةِ

ولحنًا بك عدَّة اناشيد تقويَّة في السيد المسيح والبتول الطاهرة نقلنا منها سابقًا بعض شذرات. ومما لم نجدهُ في ديوانهِ زجليَّةٌ في سبت عازر :

لمَّا توفي عازرُ فورًا بلحدٍ بادروا
جثمانهُ مذ غادروا في جوف رمس قد غدا

اللازمة

يا عازرُ ربُّ الفدا وافاك لا تخشَ الردى
والموتُ ولَّى مذ بدا مولًى قديرٌ مُزبدا

وختمها بقولهِ :

فقام من جوف الضريحْ في صوتهِ العالي بصيحْ
انت العلي انتَ المسيحْ مستوجبٌ ان تُعبَدا

﴿الشيخ نجيب الحدَّاد﴾ ولد في بيروت في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧ ورحل صغيرًا الى الاسكندريَّة فتلقَّى في مدارسها العلوم. ولمَّا حدثت الثورة العرابيَّة عاد الى بيروت فأتمَّ بها دروسهُ في المدرسة البطريركيَّة وكان رضع صغيرًا افاويق الادب في قرابة الشيوخ اليازجي وامهُ كريمة الشيخ ناصيف فعاش مدَّة في معيَّة اخوالهِ الكرام. ولمَّا سكنت الامور في القطر المصري كرَّ راجعًا اليهِ وعكف على الكتابة في عدَّة جرائد انشأها وكان رئيس تحريرها او احد كتبتها الاولين كلسان العرب وانيس الجليس والسلام. الَّا ان الاسقام لم تزل تنتابهُ حتى هصرت غصن حياتهِ رطبًا قبل بلوغهِ الكهولة فمات في مصر في ٩ شباط سنة ١٨٩٩ . وكان نجيب الحدَّاد متضلعًا بالكتابة يجمع في انشائهِ بين متانة العبارة وسهولتها. ولهُ المقالات السياسيَّة الحسنة. واشتهر بانشاء الروايات او تعريبها. وقد لقي بعضها اقبالًا ونجاحًا كرواية السيد للشاعر

كرنيل الفرنسوي من تعريبهِ ورواية البخيل ورواية المهدي ورواية الوجاء بعد الياس ورواية ثارات العرب . وكان شعرهُ اجود من نثرهِ حذا فيهِ حذو الشعراء العصريين . من ذلك قصيدتهُ في ذمّ القمار التي رويناها سابقاً في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٧٣) . ومن شعرهِ الطيّب قولهُ في وصف السكك الحديدية وقطاراتها :

تخلَّ عن التشبيب بالبيضِ والسُّمرِ ودَع عنك تشبيه المحاسن بالبدرِ
وعُجْ بي الى طُرق الحديدِ ووصفها الـ ـجديد ودَع ما مرَّ من قِدَم الدهرِ
ففيها يروقُ الوصفُ وهو حقائق وفيها يحقُّ النعت لا مذهبُ الشعرِ
وعنها يصحُّ القول ان قيل بارقٌ يشقُّ الفلا لا عن جواد ولا مُهرِ
فطيرٌ بلا جُنحٍ وطودٌ بلا بقا وبرقٌ بلا جوٍّ وهادٍ بلا فكرِ
بلى هي طيرٌ والبخار جناحهُ وطودٌ اذا شبهتَ بالطود ما يسري
وبرقٌ ولكنَّ الدخانَ سحابُهُ وهادٍ لهُ لبٌّ توقَّدَ عن جمرِ
يسير فما يدري لسرعة سيرهِ أيجري اديم الارض ام فوقها يجري
وللريح حوليهِ حفيفٌ كأنه حفيفُ جناح الصقر حنَّ الى الوكرِ
اذا سار ثارت فوقهُ راية من الد خان لتنبي انهُ ملك القفرِ
تمزّقها الارياح حنقاً كأنَّها تحاول في تمزيقها الأخذ بالثأرِ
لعمرُك ما هذا جادي البلاد بل هو القائد الحادي الى العزّ والنصرِ

واحسن من ذلك قصيدتهُ الغرّاء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رُزِئ الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لاسيما النساء الشريفات فماتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد ان اتّقدت اسلاك آلتها الكهربائية وامتدَّ اليهم لهيب النار :

سوقُ برّ تُباعُ فيها اللُّهى بيـ ـعاً ويُشرى الثواب فيها شراء
زيَّنتها بيض الايادي وايدي م البيض من محسنٍ ومن حسناء
أنفسٌ تبتغي السماء فما أمسينَ الّا وقد بلغنَ السماء
ادركت ما تروم من جنَّة م الخلد ولكن كان الطريق صلاء
من رأى قبلها جحيماً يؤدّي لنعيمٍ ابناءهُ الشهداء
او رأى محسناً يجودُ على النا سِ فيلقي نار الحريق جزاء
أترى كان ذاك مطهرَ من ما توا فيمحو عن النفوس الخطاء

ام هو الدهر لا يزالُ مسيئًا لكريمٍ ومكرمًا مَن اساء
يا ربوعًا كانت معاهد احسا نٍ وحسنٍ فاصبحت قفراء
وديارًا كانت منازل ايناسٍ فاضحت بلاقعًا وخلاء
وكرامًا كانوا مناهل جودٍ لفقيرٍ فاصبحوا فقراء
أُمراءُ نادى النّدى قاطعوهُ ابدًا لهم ولبّوا نِداء
وحسانٌ قد جُدْنَ برًّا كأنّ م البحرَ ثوبٌ يزيدهنّ جلاء
ساحةٌ تُنبتُ المكارمَ والرأ فةَ والمجد والندى والاخاء
فناءٌ بها تباري رجالًا ورجال بها تباري النساء
اوجهٌ يشرق السَّنا من محيّا ها فتزداد بالجميل سناء
رحن يزهون بالبياض فما امـسَين إلّا كوالحًا سوداء
رِمَمًا لم تدع بها النار إلّا رَسْمَ جسمٍ واعظمًا جرداء
نقمةٌ صبَّها القضاءُ على الا مِ برارِ حتمًا ومن يردُّ القضاء
رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزّى الباكين والثّماء

﴿سليمان الصوله﴾ هو سليمان بن ابراهيم الصوله الرومي الملكي الكاثوليكي. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨١٤ وفيها قضى اوَّل سني حياتهِ ولمَّا ترعرع انتقل مع والديهِ الى مصر ونشأ فيها وتلقَّن العلوم في مدارسها وكان يتردَّد على اساتذة الازهر فاخذ عنهم العلوم العربيَّة ونظم الشعر وقد اخبر عن نفسهِ انهُ في أيام الشباب كان يعارض قصائد ابي فراس الحمداني ويخمّس قصائد الحِلّي ويشطّر منظومات المتنبي. وقد ألَّف كتابًا سمّاهُ حصن الوجود في عقائد اليهود وتآليف أُخرى راحت حرقًا او غرقًا في حوادث سنة ١٨٦٠. وتقلَّد سليمان الصوله المناصب في الدواوين المصريَّة وصحب ابراهيم باشا لمَّا جاء لفتح الشام ثم استقرَّ بعد ذلك في دمشق وتقدَّم في خدمة الدولة العليَّة وتقرَّب من الامير عبد القادر الجزائري وبفضلهِ نجا من الموت في فتنة السنة ١٨٦٠ المشؤومة. ولمَّا كانت السنة ١٨٨٤ عاد الى مصر وفيها اقام الى وفاتهِ في ١٤ آيار سنة ١٨٩٩ عن ٨٥ سنة. ولهُ ديوان واسع في ٣٨٢ صفحة طبعه في مصر سنة ١٨٩٤ واعتذر في مقدَّمتهِ انهُ «برضٌ من عدّ ومجموعٌ صغيرٌ بقي من ديوان كبيرٍ، غادرتهُ اللصوص، بين محروق ومقصوص»، فقال وهو بهِ يتعزَّى: اذا ما كان لي ابل

فمزي ... ثم اضاف اليهِ ما جدَّ عليهِ من النظم فطبعهُ مفصَّلاً القليل المقبول على الكثير المرذول. والحق يقال انَّ شعرهُ رائق منسجم ومواضيعهُ مبتكرة اقرب الى المنظومات العصريّة. ومن شعرهِ ما قالهُ ارتجالًا فمدح يوحنا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنهِ فاحبَّ البحري ان يسمع نظمهُ:

امرتَ لك الامرُ المطاع بأن ترى ... فرائد شعري وهي اغزرُ من شَعْري
فوا خجلي من فقد درٍّ أصوغهُ ... لديك وكلُّ الدرّ بعض حصى البحرِ

ومن مدحهِ قصيدة طويلة قالها في فقيد القطر المصري الوزير بطرس باشا غالي منها:

رجلٌ وحسبُك انهُ الرجل الذي ... نجتِ البلادُ بهِ من الإقلالِ
احيا الندى وامات بالكمد العدى ... ونفى الصَّدى بسماحهِ الهطّالِ
تبدو الغيوبُ لدى لواحظ حذقهِ ... غرراً مجرَّدةً من الإشكالِ
وتناولت منهُ المجالس حكمةً ... سادت على الماضي بها والتالي
نظر العزيزُ بهِ فطانةَ يوسفٍ ... فأحلَّهُ منهُ المحلَّ العالي
وامدَّهُ بالرتبة العظمى التي ... ما نالها قَبلٌ من الاقيالِ
فافاد مجد القبط مجداً ثانياً ... متعرّفاً اثبرهِ المتعالي
والناسُ حول ندى يمينهِ أرَّخت ... نيلُ الهناء يمينُ بطرس غالي

ولهُ عدةُ مراثي حسنة قالها في ابنهِ ابراهيم المتوفَّى في سنة ١٨٨٣ وابنته السيدة ليلى. فمما قالهُ في ليلى:

يا ليلةً غادرتْ ليلى بلا نفَس ... وغادرتني أقاسي حرَّ انفاسي
لولاك لم يدجُ نورالشمس في بصري ... ولا تبطَّن جوفَ اللحد نبراسي
ولاجفا الراحُ راحي والكرى بصري ... وصار دمعي سُلاَفي والجوى كاسي
اين التي كنتُ ان غابت اقولُ لها ... ما قالهُ شاعرٌ من آل عباسِ:
ما اقبح الناس في عيني واسمجهم ... اذا نظرتُ ولم القاكِ في الناسِ
قالوا: نسيتَ بها ابراهيم قلت لهم: ... لاعشتُ ان كنت يا ناسُ لهُ ناسِ
ولا رستْ بين ارباب العلى قدمي ... ان كان غيرهما في خاطري راسي

وقد روينا لهُ في المشرق(٧[١٩٠٤] : ٤٣٢)ابياتاً قالها في مريم السيدة البتول. ولهُ قصيدة اخرى في مدحها نجت من حريق الشام على منوال عجيب وفيها يقول مستغيثاً من داء اصابهُ :

ايا بابَ النجاةِ وسلسبيلَ الـحياةِ وسورَ ربّاتِ الخدورِ
خذي بيدي الشقية واحضنيني ونجّيني من الخطر الخطيرِ
وداوي علّتي أعدي حبوري لأحضَ بالسرور عن السريرِ
فاني بين اشواك المنايا أعذّب في الاصائلِ والبكورِ
أيُكسَر خاطري يا امَّ ربي لديكِ وانت جابرةُ الكسيرِ ؟
ويبلغني الجحيمُ وانتِ غوثي وادخلُ في الظلامِ وانت نوري؟
أجيريني اجيريني والّا فدلّيني لمن اشكو اموري
وهل يرضى حنوُّكِ بافتقاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تبارك مَنْ بنورك جلَّ قدرًا عن التشبيه أخجل كلَّ نورِ
واعطاكِ الشفاعةَ يا سماء تحيّرها خلّاق البدورِ
سأبذلُ في امتداحك كل جهدي لعلَّ اللهُ يسمحُ عن قصوري
ويغفر لي ويصفح عن ذنوبي ويصلح عند خاتمتي اموري

وبسليمان الصوله قد خُتم القرن التاسع عشر الذي اخذنا على نفسنا تاريخ ادبائهِ . على انهُ في هذه الحقبة الاخيرة قد اشتهر غير الذين ذكرناهم ممّن لم يبلغوا شأوهم او لم نحظ بآثارهم

ومنهم بطل لبنان «يوسف بك كرم» الذي ولد سنة ١٨٢٤ في اهدن من اسرة كريمة وتخرّج في مدرسة عينطورا وتولّى في لبنان بعض المناصب الى ان حدثت بينهُ وبين متصرّف الجبل داود باشا تلك المنازعات المشئومة التي انتهت بسفر يوسف بك الى اوربة ثم الى الاستانة حتى قضى آخر عمرهِ في نابولي وفيها توفي معتزلاً عن الاشغال السياسية منقطعاً الى خدمة ربهِ في اوائل نيسان من السنة ١٨٨٩ . وقد ذكرناهُ هنا لما كان عليه من الاقتدار في الكتابة وقد نشر في العربيَّة والفرنسويَّة عدَّة مقالات سياسيَّة طُبع بعضها مفردًا . وكان ينظم الشعر العربي . قيل انهُ في ريعان شبابهِ نظم كتاب سفر نشيد الاناشيد . ولهُ قصائد روى بعضها صاحب الجوائب

كقصيدتهِ في راشد باشا التي يقول فيها :

ذا راشد البرَّين وجهُ مدينة م البحرين ولأهُ العزيز على الورى
يكفي العبادَ بودّهِ وبجدهِ فبندِهِ وجهُ الزمان تعطّرا
اضحت لهيبتهِ القلوبُ كبيرةً والخطب في الامر الكبيرِ تصغّرا

وقد اثبتنا لهُ في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٤٩٧) قصيدة ارسلها الى صديقهِ الاديب يوسف حبيب باخوس

ومنهم الدكتور «سليم بك الجريديني» المتوفَّى سنة ١٨٨٥ واخوهُ (اسكندر الجريديني) وكان كلاهما من انصار الآداب انشأا مقالات علميَّة وادبية نشراها في اعمال الجمعيَّة السوريَّة وفي بعض المجلَّات

ومنهم «الحاج يوسف فرنسيس» الـذي نشأ في حاصبيـا وتوطَّن القليعة في مرجعيون وكان عالمًا بامور الخيل كما يدلُّ عليهِ كتابهُ سراج الليل في سروج الخيل . كانت وفاتهُ سنة ١٨٩٢ . ولهُ شعرٌ

ومنهم ايضاً «سليم دياب» احد محرّري مجلَّـة الجنان نشر فيهـا عدَّة فصول تاريخيَّة وقصائد توفي سنة ١٨٩٥

ومنهم الاستاذ «فرنسيس شمعون» من تلامذة المدرسة الامركانيَّة في اعبيه كان راسخ القدم في العلوم العربية متضلّعًا بالرياضيَّات ولـهُ مؤلف لطيف في الحساب ونشر ديوان الفارض في بيروت . توفي في ١١ شباط سنة ١٨٩٩

ومنهم «حنين بن نعمة الله الخوري» من اعضاء الجمعية السورية لهُ في نشرتها عدَّة مقالات وعرَّب تأليف الوزير كيزو الفرنسويّ في التمدُّن الاوربّي . لا نعلم سنة وفاتهِ

المستشرقون الاوربيون في ختام القرن التاسع عشر

قامت الدروس الشرقيَّة على ساق في ختام القرن التاسع عشر في الاصقاع الاوربية فانَّ الدول كلها بفضل السلام السائد في بلادها استنهضت همم ذويها لدرس لغات الشرق والبحث عن آثارهِ . وكان للغة العربية حظٌّ اوفى من سواها لوفرة كنوزهـا واتّساع نطاقها

(الفرنسويون) بعد ان فقدت فرنسة فئة من كبار مستشرقيها وخمد نوعاً نشاطها المألوف بسبب رزايا الحرب عادت الى سباقها في حلبة الآداب . على أنَّ درس الآثار الشرقية غلب شيئاً على الدروس اللغويَّة . وها نحن نذكر بالتلخيص اسماء بعض الذين استحقُّوا شكر الادباء بما خلَّفوهُ من ثمار قرائحهم على حسب تاريخ الوفيات كما فعلنا سابقاً

فقدت مصر في ١٨ كانون الثاني من السنة ١٨٨١ إمام علمائها بالعاديَّات المصريَّة «اوغست ادورد ماريت» (A. E. Mariette) بعد أن اعدَّهُ لمواجهة ربّهِ احد آباء جمعيَّتنا . كان مولده في ١١ شباط سنة ١٨٢١ وقدم مصر سنة ١٨٥٠ فقضى ثمَّ ثلاثين سنة توالت فيها اكتشافاتهُ العجيبة كهيكل سيرابيس العظيم ومدافن سقَّارة وهو اوَّل منشئ للمتحف المصري ولهُ في كل ذلك تآليف جعلتهُ في مقدَّمة علماء زمانهِ وكان يُحسن العربيَّة ويعرف آثارها وقد عرَّب كتابهُ تاريخ قدماء المصريين الشيخُ عبدالله ابو السعود توفي ماريت في بولاق

وفي ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٢ توفي في باريس اثريٌّ آخر فرنساوي «هنري دي لونپاريه» (H. de Longpérier) عن ٦٦ سنةً خدم فيها العلوم الاثريَّة لاسيما النقود الشرقية فكتب فيها الكتابات الجليلة وقد جُمعت آثارهُ في عدَّة مجلَّدات . وممَّا يفيد تواريخ هذه البلاد خصوصاً كتابهُ في نقود ملوك العجم في دولتي بني ارشك وبني ساسان . ولهُ كتاب آخر في نقود ومسكوكات دول الاسلام في المغرب والاندلس . وكان المذكور مع علمهِ كثير التحمُّس في الدين

واشهر منها في العلوم الشرقية «فرنسوا لونرمان» (Fr. Lenormant) ابن شارل لونرمان السابق ذكرهُ . ولد في ١٧ ك ٢ سنة ١٨٣٧ وتوفي في باريس في ٩ ك ١ سنة ١٨٨٣ وقد احبَّ الشرق منذ شبابهِ فتجوَّل في بلاد اليونان ومصر والشام وكتب في ما عاينهُ المقالات الواسعة . وقد اشتهر خصوصاً بالعلوم الاثريَّة والتاريخ . ومؤلفاتهُ تُنيف على خمسين مجلَّداً نخصُّ منها كتابهُ الشهير تاريخ امم الشرق القديمة في تسعة مجلَّدات . وكان عالماً بآثار العرب القدماء كما تدلُّ عليهِ كتبهُ . وكان لونرمان كثير الدين يدافع عنهُ دفاع المؤمن الصادق

ومَمّن عُني خصوصاً بدرس العربية الاستاذ «شربونو» (J. Aug. Cherbonneau) ولد سنة ١٨١٣ وتوفي سنة ١٨٨٢ في باريس. درس على المستشرقَين دي ساسي وكوسان دي برسڤال ثم انتدبتهُ الدولة الفرنسويَّة لتنظيم مدارسها العربية في الجزائر فاهتمَّ بالامر اهتماماً عظيماً وعلم في قسطنطينة مدَّة وكان ينشّط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم وقد صنف لذلك عدَّة كتب مدرسيَّة للقراءة وتعليم الاصول والتكلُّم ولهُ معجم كبير عربي وفرنساوي ونشر في المجلة الاسيويَّة مقالات متعدّدة في شعراء العرب وكتبتهم ونقل الى الفرنسويَّة عدَّة تآليف قديمة منها رِحَل وتواريخ وقصص كرحلة العبدري وتاريخ ابن حمَّاد. وكان مغرماً خصوصاً بتاريخ المغرب والجزائر لهُ في ذلك عدَّة آثار وفي آخر حياتهِ استدعتهُ الحكومة لتدريس العربية في مكتب لغاتها الشرقية الحيَّة في باريس

وكان يعلّم في ذلك المكتب مستشرق آخر اختطفتهُ المنون في ١٣ ك ١ سنة ١٨٨٩ وهو «پاڤه دي كورتيل» (Pavet de Courteille) المولود في باريس في ٢٣ حزيران ١٨٢١ لكنهُ برَّز في درس اللغة التركية فاحيا كثيراً من آثارها المدفونة. واشتغل بترجمة كتاب مروج الذهب للمسعودي بمعيَّة بربيه دي مينار (Barbier de Meynard) المتوفى في العشر الاول من القرن العشرين. ومن تصانيفهِ كتاب بالفرنسويَّة في صفة احوال البلاد العثمانية

وفي السنة التالية لوفاة شربونو توفي رجل هُمام متضلّع بمعرفة العربية المسيو «شرل دِفرامري» (Ch. Defrémery) وُلد في ٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٢٢ وتوفي في ١٩ آب سنة ١٨٨٣ درس العربية على كوسان دي برسڤال والفارسية على العلامة دي كاترمار وبرع في اللغتين فاختارتهُ دولتهُ ليعلّم في مدرستها العليا. ولهُ عدَّة تآليف اخصُّها تواريخ الدول الاسلامية في خوارزم وتركستان وما وراء النهر وتاريخ الاسماعيليين وهو اوَّل من نشر رحلة ابن بطوطة وترجمها الى الفرنسويَّة وساعدهُ في عملهِ المستشرق الايطالي «بنيامين سَنغيناتي» (B. Sanguinetti) الذي كان استوطن فرنسة منذ سنة ١٨٣١. ومن غريب الاتّفاق انَّ الرصيفين توفيا في السنة عينها. وكان سنغيناتي اعدَّ للطبع عدَّة تآليف عربية كتراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة وتراجم الصفدي المسمَّى الوافي بالوفيات وبعض الكتب الطبّية وكلها لم تُطبع. ومما نشرهُ في المجلة الاسيويَّة

الفرنسوية سنة ١٨٥٩ كتاب فيهِ رسوم قديمة تُدعى «احكام العتيقة» لطائفة مسيحية زعم انها طائفة الموارنة

وخسرت الدروس العربية في فرنسة عالمًا آخر كانوا يبنون عليهِ اما لا طيّبة في خدمة الشرقيّات وهو «ستانسلاس غويار» (Stan. Guyard) ولد سنة ١٨٤٦ ومات منتحرًا سنة ١٨٨٤ . تعلّم عدة لغات شرقية كالسنسكريتيّة والفارسية والاشورية وقد نشر فيها كلّها مصنفات عديدة الّا انهُ خصّ قسماً كبيرًا من حياتهِ القصيرة في العربية فألّف فيها تآليف جليلة اخصّها كتاباتهُ عن الباطنية والاسماعيلية المعروفين بالحشّاشين ولهُ تأليف جليل في الاعاريض العربية واشتغل بتاريخ الطبري مدّةً . وكانت غلبت عليهِ السوداء فحملتهُ على قتل نفسهِ

واشتهر بين الفرنسويين غير هؤلاء ممّن لا يسعنا الافاضة في ذكرهم «مرسال دوڤيك» (M. Devic) المتوفى سنة ١٨٨٦ نشر في العربية كتاباً قديماً يُدعى عجائب الهند نقلهُ الى الفرنسويّة . وقد ألحق معجم ليتره (Littré) بجدول للالفاظ الفرنسويّة المستعارة من اللغات الشرقية وبالخصوص من العربية . و«ريشار بوشه» (R. Boucher) المولود سنة ١٨٤٣ والمتوفى في تشرين الاول من السنة ١٨٨٦ نشر قسماً كبيرًا من ديوان الفرزدق عن نسخة آيا صوفيا ونقلهُ الى الفرنسوية . وقد اتمّ نشر هذا الديوان جناب الاديب البقاري نزيل كلّيتنا الدكتور يوسف هال (Dr J. Hell) المولود في ١١ حزيران ١٨٧٥

ومنهم «ارنست رِنان» (E. Renan) المتوفى في ٢ ت ١ سنة ١٨٩٢ اشتهر خصوصاً بمعاداتهِ للدين . امّا ما عُرف لهُ من التآليف الشرقية فتاريخ اللغات السامية في جزءين وكتابهُ عن ابن رُشد بالفرنسويّة . وتجوّل مدّة في سوريّة فنشر آثار سواحلها في كتابهِ بعثة فينيقية . لكن في تآليفهِ المذكورة الغثّ والسمين كما بيّنهُ قوم من العلماء

ومنهم الدكتور «لوكلار» (Dr Leclerc) المتوفى سنة ١٨٩٣ وهو الذي نقل الى الفرنسويّة مفردات ابن بيطار وكتب تاريخ الطبّ في الشرق نقلًا عن ابن ابي اصيبعة وغيرهِ من كتبة العرب في اربعة اجزاء .

ومنهم «غستاف دوغا» (G. Dugat) احد معلمي مكتب اللغات الشرقية في باريس . ولد سنة ١٨٢٤ وتوفي في ٢٦ أيار ١٨٩٤ . لهُ تاريخ المستشرقين الاوربيين

فلم يطبع منهُ الا قسمين وصنَّف مقالات في جغرافية بلاد الاسلام

ومنهم الاستاذ «جوزف درنبورغ» (J. Derenbourg) الموسوي المتوفى في ٢٩ تموز سنة ١٨٥٩ كان مولدهُ في ميانس في ٢١ آب ١٨١١ نشر رسائل لغويَّة لابي الوليد بن جناح واشتغل مع غيره من الموسويين في طبع الاسفار المقدَّسة لرّبي سعديا الفيّومي · وقام من بعدهِ ابنهُ هرتويك (Hartwig Derenbourg) ففاق على ابيهِ في العلوم العربيَّة ونشر كثيرًا من آثارها وسنذكرهُ في تاريخ الآداب العربية في القرن العشرين

«ومنهم العلامة هنري سوڤار» (H. Sauvaire) المتولي القنصلية لدولتهِ في بلادنا لهُ تآليف شرقية جليلة · منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمَّد بن شاكر ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل الى الفرنسويَّة الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لشهاب الدين المقدسي · وغير ذلك مما يشهد لهُ بطول الباع في العلوم الشرقية · توفي في أيار من السنة ١٨٩٦

ومنهم ايضاً القانوني «جان برجس» (J. J. Bargès) الكاهن الفرنسوي الذي علَّم العربية في مرسيلية واشتغل في باريس في جريدة البرجيس وترجم تاريخ بني زيَّان للتنيمي وتاريخ بني جلَّاب للسيد حاج محمَّد الادريسي ونشر منتخبات من كتب عربية نادرة كالفيض المديد من اخبار النيل السعيد للمنوفي · وابرز بالطبع سفر الزبور ونشيد الاناشيد لرّبي يافث بن علي البصري وميمر ساويرس بن المقفَّع في القديس مرقس الانجيلي ولد في ٢٧ شباط ١٨١٠ في نيسان وتوفي سنة ١٨٩٦

ومنهم العلامة الشهير «شرل شيفر» (Ch. Schefer) توفي في ٣ آذار ١٨٩٧ كان تجوَّل في حداثتهِ في الشرق وتولَّى شؤون الدولة الفرنسويَّة في الشام والعجم وبرع في الفارسيَّة وقد نشر بالعربية وصف الشام لابي الحسن علي الهروي · وترأس مدَّة سنين عديدة مكتب اللغات الشرقية في باريس فخدم الشرق خدماً مذكورة ولهُ منشورات فارسية جليلة كان مولدهُ في باريس في ١٦ ت ٢ ١٨٢٠

وللكتاب السياسي الشهير «برتلمي سنت هيلار» (Barthélemy St Hilaire) تآليف في اديان الشرق فكتب عن دين بوذا الهندي (١٨٥٩) وعن محمَّد والقرآن (١٨٦٥) كان مولدهُ في ١٩ آب ١٨٠٥ توفي في باريس في ٢٤ ت ٢ ١٨٩٥

ونضيف الى هؤلاء الافرنسيين سبعة من آباء رهبانيّتنا خدموا الدين والآداب العربية معاً في هذه البلاد اوّلهم الاب « بطرس مرتين » (P. Martin) المولود في سابوديا سنة ١٨٢٥ والمتوفى في شامبري في ١٥ ايلول سنة ١٨٨٠ اشتغل مدّة عشرين سنة لتأليف تاريخ واسع في لبنان. وكتابهُ فريد في جنسهِ لم يزل عندنا مخطوطاً في عشرة مجلّدات ضخمة وانما طُبع منه بعض الاقسام القليلة في مطبعتنا الكاثوليكيَّة معرَّبة بقلم المرحوم رشيد الشرتوني . ولهُ مقالات واسعة في حوادث السنة ١٨٦٠ وبعض كتب روحية كشهر قلب يسوع ورسالة الصلاة ورسائل شتَّى

والثاني جول بلِنْ (J. Blin) المتوفى كهلًا في القاهرة في ٨ حزيران ١٨٩١ صنَّف للاوربيّين غراماطيقاً عربيّاً ونشر الحان الكنيسة القبطيَّة

والثالث الاب « لويس كساڤاريوس ابوجي » (L. X. Abougit) ولد في مدينة پوي (Le Puy) وقصد سوريَّة بصفة مرسل سنة ١٨٤٩ فأتقن العربية حتى امكنهُ ان يحرّر الدثير ويصنف الكتب في العربية او ينقلها اليها من اللغات الاوربية. وقد بلغت تآليفهُ وتعريباتهُ الخمسة عشر منها كتب دينيَّة وجدلية كالشهر الملاكي وكردودهِ على المقتطف وتزييفهِ لبعض مزاعم البروتستانت وكتراجم بعض القديسين ومنها مدرسيَّة كمختصر الجغرافية وغرماطيقين عربيّ شرحهُ بالفرنسويَّة وفرنساوي شرحهُ بالعربية . توفي الاب ابوجي في ١٦ تموز ١٨٩٥ في غزير وكان مولدهُ سنة ١٨١٩

والرابع هو الاب « فيلبُّوس كوش » (Ph. Cuche) ولد في مقاطعة فرَنش كونته سنة ١٨١٨ وتوفي في بكفيا في ٢٧ آب ١٨٩٥ بعد ان خدم الرسالة خمسين سنة بصفة رئيس مدارس واديرة وكمدير للمطبعة. لهُ قاموس عربي فرنسوي اصاب شهرة بين المستشرقين وهو المعجم الذي جدَّد طبعهُ الاب حنا بلُو (J. B. Belot) المترجم في المشرق (٧ : ١١٤٤) واضاف اليهِ اضافات عديدة وسمّاه القلائد الدريَّة

والخامس هو الاب « يوسف روز » (J. Roze) جاء الى سوريَّة قبل كهنوتهِ فتعلم اللغة العربية حتى برع فيها. وكان احد المشتغلين بترجمة التوراة. ومن آثارهِ مكالمات عربية وفرنسويَّة في جزءين ولهُ سبعة مجلّدات مواعظ مخطوطة انشأ بعضها ونقل بعضها الآخر عن اللغات الاوربية ولهُ معجم عربي فرنسوي لم يُطبع. توفي الاب روز في ١٠ اذار سنة ١٨٩٦ في بيروت ومولدهُ سنة ١٨٣٤

وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٧ توفي في زحلة الاب «يوسف هوري» (J. Heury) المولود في اڤنيون سنة ١٨٢٤ جاء كمرسل الى سورية سنة ١٨٥١ واشتغل فيها بالتعليم والتبشير. له قاموس فرنسوي عربيّ تكرَّر مرارًا طبعهُ ارواجه

وكان اشتهر قبل هؤلاء الاب «يوسف ڤان هام» (J. Van Ham) الهولندي المولود سنة ١٨١٣ والمتوفى في ١٣ آب سنة ١٨٨٩ في تمنايل لهُ عدَّة تآليف في الآثار الفلسطينيَّة. وكتب مقالات ولمعة في الاسفار المقدَّسة وتاريخ الاصلاح الموهوم ولهُ ردود مختلفة على النشرة الاسبوعية ومزاعم البروتستانت في بيروت طُبعت في مطبعتنا

(الالمانيون والنمساويون) كانوا بعد الفرنسويين ابعد همَّةً من سواهم في تعزيز الدروس الشرقية. نال منهم بعض الشهرة «غليوم سپيتَّا بك» (G. Spitta Bey) في مصر فنشر بالالمانية كتاباً في لهجة المصريين ولغتهم الدارجة واضاف اليها مقاطيع وقصصاً لدرسها ومن منشوراتهِ كتابٌ في ابي الحسن الاشعريّ ومذهبهِ. توفي في ٦ ايلول سنة ١٨٨٣ في مقاطعة ڤستفاليه

ومنهم الاستاذ «فليشر» (H. L. Fleischer) المولود في ٢١ شباط سنة ١٨٠١ والمتوفى في ١٠ شباط سنة ١٨٨٨ درس اللغات الشرقيَّة في باريس على دي ساسي وكوسَّان دي برسڤال ثم خلف المستشرق روزنمولّر في تعليمهِ في ليبسيك. فكان في المانية احد ائمة الدروس الشرقية مدَّة خمسين سنة مجارياً لفريتاغ ولفلوغل وكان يكاتب ادباء سوريَّة وينشر رسائلهم وقد ألَّف نحو مائة تأليف في كل الفنون الشرقية لآسيا العربيَّة ومن منشوراتهِ تفسير القرآن للبيضاوي والمفصَّل للزمخشري وكتاب الف ليلة وليلة مع الاستاذ هابشت (Habicht) ورسالة هرمس في زجر النفس وتاريخ ابي الفداء في الجاهليَّة مع ترجمتهِ اللاتينيَّة وتآليف متعددة في نحو العربية

ومنهم الاستاذ «غوستاف ڤيل» (G. Weil) ولد في سولزبورغ في ٢٥ نيسان سنة ١٨٠٨ وتوفي في فريبورغ برسغاو سنة ١٨٨٩ في ٢٩ آب. درَّس التاريخ الشرقي في كلية هيدلبرغ وكتب تواريخ الدول الاسلاميَّة العامَّة والخاصَّة وكلها مطوَّلة تُعَدّ

من انفس التواريخ واضبطها لاسيا تاريخ الخلفاء في ثلاثة مجلّدات وتاريخ العباسيين في مصر في مجلّدين

وفي تلك السنة توفي البارون «الفرد فون كريمر» (B^on Alf. Kremer) الذي وُلد في ١٣ أيار ثيناً سنة ١٨٢٨ ومات بقربها ٢٧ ك١ ١٨٨٩ تجوّل في مصر والشام وعلّم العربية في حاضرة بلادهِ . الى ان أُرسل الى مصر بصفة قنصل لدولتهِ . ثم تعيَّن قنصلاً لها في بيروت سنة ١٨٧٠ حتى عهدت اليهِ حكومتهُ وزارة الخارجية ووزارات غيرها الى سنة وفاتهِ . لهُ كتب متعدّدة في آداب العرب وتواريخهم واشعارهم وجغرافيّتهم وقد نشر من ذلك نحو عشرين كتاباً منها كتاب الاستبصار في عجائب الامصار وكتاب المغازي للواقدي وكتاب الاحكام السلطانيّة للماوردي والقصيدة الحميريّة ومقالات واسعة في شعراء الاسلام كابي العلاء المعرّي وابي نوّاس وعبد الغني النابلسي

وجارى السابقين في فضلهم هنري تورِبكه (H. Thorbecke) المولود في مَيْنْهَن في ١٤ آذار سنة ١٨٣٧ . برز بين اقرانهِ في معرفة الآداب العربية وعلّمها سنين طويلة في كليّتي هيدلبرغ وهال توفي في مانهيم في ٣ ك ٢ سنة ١٨٩٠ ومن مآثرهِ نشرهُ لكتاب الملاحن لابن دريد ودرّة الغوّاص للحريري والرسالة التامّة في كلام العامّة لميخائيل صبّاغ . وكان مثّل للطبع المفضّليات فنشر من قصائدها قسماً فقط

ومن مشاهير المستشرقين الالمان «حنا غلدمَيْستر» (Joh. Gildmeister) المولود في ٢٠ تموز ١٨١٢ والمتوفَّى في بُنّ (Bonn) في ١١ آذار ١٨٩٠ كان احد المنشئين للمجلّة الاسيويّة الالمانيّة وعلّم اللغات الشرقية في مدارس بلادهِ . نشر بالعربية رحلة الادريسي الى الشام وما ورد في كتب العرب عن الهند ثمّ وصف الاناجيل العربية المنقولة عن السريانيّة

وفي السنة ١٨٩١ في ٢٢ ك ١ فقدت المانية احد كبار اساتذتها المستشرقين وهو العلّامة «پول دي لاغرد» (P. de Lagarde) المولود في برلين في ٢ ت ٢ سنة ١٨٢٧ . اشتغل بهمّة قعساء مدّة نيف وثلاثين سنة في الآثار النصرانية القديمة والاسفار المقدّسة وعلم في كلّيات وطنهِ وتآليفهُ كلّها تُعرب عن سعة فضلهِ وكان يُحسن اللغات الشرقية كالسريانيّة والعبرانيّة والقبطيّة والعربية لهُ في كلّها آثار طيّبة . وممّا نشر

في العربية نسخ قديمة من الاناجيل ومن المزامير ومن قوانين الرسل ومن بعض التآليف الابوكريفا ونسخة من غراماطيق قديم عربي ولاتيني للراهب بترو دي ألكالا الفرنسيسي . توفي في غوتنغن

وفي ١٩ ك ١ السنة ١٨٩٣ توفي الدكتور «لويس سپرنغر» (Al.Sprenger) الذي ولد في معاملة التيرول في ٣ ايلول سنة ١٨١٣ وكان رحل الى لندن ودخل في خدمة الانكليز فسار الى الهند وتولّى ادارة مدرسة دهلي سنة ١٨٤٣ واشتغل في مطبعة كلكوتًا فنشر فيها تآليف خطيرة منها كتاب اصطلاحات الصوفيّة لعبد الرزّاق السمرقندي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وتاريخ الغزنويّة للعتبي وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وكتاب الاتقان في علم القرآن للسيوطي وكتاب حدود الفاكهي . ثم رجع الى وطنهِ وعلّم اللغات الشرقية في برلين ثم انقطع الى التأليف في هيدلبرغ . ومن تآليفهِ سيرة مطوّلة لمحمّد نبيّ الاسلام كتبها في ثلاثة مجلّدات وكتاب في تعليم محمّد

وغلب كلَّ هؤلاء مع نشاطهم الغريب كاتبٌ المساني اخر أنشبت فيهِ المنون مخاليبها سنة ١٨٩٩ في ٨ شباط العلّامة هنري فرديناند وستنفيلد (H. F. Wüsten-feld) المولود في مُنْدن من اعمال هانوفر في ٣١ تموز سنة ١٨٠٨ . درس اللغات الشرقية على اكبر اساتذة وطنهِ ثم جُعل استاذًا للعربية في غوطا . وتآليفهُ العربية عبارة عن مكتبة واسعة تنيف عن مائتي تأليف بين صغير وكبير وقد ادّى للعلوم الشرقيّة خدماً لا تُنسى بما نشرهُ من المصنّفات القديمة كطبقات الحفّاظ للذهبي وتراجم ابن خلكان وقائمة تواريخ العرب وتصانيف اطبّائهم وكتاب الاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحمويّ ومعجم ما استعجم للبكري وسيرة الرسول لابن هشام وتهذيب الاسماء للنووي وكتاب الالباب في تهذيب الانساب لابي سعد السمعاني وكتاب المشترك وضعاً لياقوت وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد لهُ واخبار قبط مصر للمقريزي وكتاب المعارف لابن قتيبة وتاريخ مدينة الرسول للسمهوديّ وتواريخ مكّة في ثلثة مجلّدات وتاريخ الخلفاء الفاطميّين وجدول مؤرخي العرب على ترتيب ازمنتهم وكتب عديدة غيرها مع تذييلات وحواش وفهارس تدهش العقل بوفرتها . احيا الله لنا امثالهُ كثيرين

وتوفي بعده باشهر الاستاذ « شرل كسپاري » (Ch. Caspari) ولد في المانية في ٨ شباط ١٨١٤ وتوفي في عاصمة اسوج كريستانيا في ١١ نيسان ١٨٩٢ كان موسويّ النحلة ثمّ عدل الى البروتستانية . له غراماطيق عربي مدرسي كتبهُ باللاتينيَّة ثمَّ نُقل الى الالمانيَّة والانكليزيَّة والفرنسويَّة وتكرَّرت طبعاتهُ مع اضافات شتى . وطبع في ليبسيك سنة ١٨٣٨ كتاب تعليم المتعلّم لبرهان الدين الزرنوجي ونقلهُ الى اللاتينيَّة وذيَّلهُ بالحواشي

ومنهم « فردريك مولر » (Fr. Müller) ولد في بلاد بوهيمية في ٥ اذار ١٨٣٢ واشتهر في ابحاثهِ عن اللغات الساميَّة والعلاقات بين لهجاتها المختلفة ولهُ شرح على لغز قابس علَّم زمناً طويلاً اللغة العربيَّة في كلية ڤينا وفيها كانت وفاتهُ في ٢٤ ايار ١٨٩٨

وفي سنة وفاة وستنفيلد توفي في ٢٥ حزيران ١٨٩٩ في ليبسيك مستشرق آخر « البر سوسين » (Al. Socin) كان مولدهُ في بال (Bâle) في ١٨ ت ١ ١٨٤٤ انقطع الى الدروس الشرقيَّة فاصبح احد علمائها المتازين وانتدب الى تعليمها في جامعتيْ توبنغن وليبسيك وألّف غراماطيقاً عربيّاً في الالمانية ودرس لهجات مرّاكش واهل البادية . ولهُ مجموعة امثال عربية ونشر ديوان علقمة الفحل

(الهولنديون) عُرف الهولنديُّون بانصبابهم على اللغات الشرقيَّة ولآسيا العربية . وممن اشتهر بينهم في آخر القرن التاسع عشر پول دي يونغ (Paul de Jong) احد معلمي كليَّة اوترخت ولد سنة ١٨٣٢ وتوفي في ٢٥ ك ٢ سنة ١٨٩٠ اشتغل مع العلّامة دي غوي (de Goeje) في وصف مخطوطات كلية ليدن ونشر كتاب المشتبه لابن القيسراني وكتاب لطائف المعارف للثعالبي وفصولاً شتى لبعض مؤرّخي العرب

وزاد على السابق شهرةً الهولندي رَينهَرت دوزي (R. Dozy) الذي ولد وتوفي في ليدن (كان مولدهُ في ٢١ شباط ١٨٢٠ ووفاتهُ في ٢٩ نيسان ١٨٨٣) . أولع منذ حداثتهِ بحبّ الشرق والعلوم الشرقيَّة وتعمَّق في درس العربية حتى دُعي الى تدريسها في كليَّة بلدهِ ومنشوراتهُ العربية عديدة نفيسة منها كتابهُ في ملابس العرب بالفرنسويَّة

الشرقيَّة على مشاهير المستشرقين. وفي سنة ١٨٢٩ استدعتهُ الدولة الروسية للتعليم في كلية خركوف ثم في مكتبها الاسيويّ في بطرسبورج وتولى نظارة مكتبتها الشرقيَّة ومتحفها الامبراطوري. توفي في بطرسبورج في ٣١ أيارَ سنة ١٨٨١ بعد ان اغنى العلم بتآليفهِ لاسيما في تواريخ الشرق العجمي والشرق الاسلامي كتاريخ القفقاز والخزَر والكرج واتَّسع في وصف الآثار الشرقيَّة كالنقود العربية والمخطوطات الاسلاميَّة فانَّ مآثرهُ تُربي على ١٥٠ عدداً

ومنهم المعلم « گرگاس » (W.O. Guirgass) كان مولدهُ في روسية نحو السنة ١٨٣٥ ودرس اللغات الشرقية في بطرسبورج ثم في باريس ثم قصد الشرق فسكن سنتين بتيَف في جوار بيروت. ولما عاد الى روسية قُلّد منصب التعليم في حاضرتها فاقبل عليهِ الدارسون وكان من جملتهم العلّامة البارون ڤون روزن الذي نشرنا في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ١٧١) خلاصة ترجمتهِ. توفي المعلم گرگاس السنة ١٨٨٨ . لهُ مؤلفات مفيدة منها كتاب حقوق النصارى في البلاد الاسلامية ومنتخبات عربية ومعجم عربي روسيّ. ونشر كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري وتاريخ الآداب العربية طبعهُ بالروسية على الحجر

وتوفي في ليتوانية الاستاذ « اسكندر تشوسكو » (Al. Chodzko) كان مضلعاً باللغات الشرقية ولاسيا الفارسيَّة. لهُ رحلة الى جهات العجم وكتب عن الاسلام ومنشئهِ وعن القرآن. ولد في ١١ تموز ١٨٠٤ وتوفي في ٢٠ كـ١ ١٨٩١

(**الايطاليون**) وممن اسفتْ على فقدهِ ايطالية من المستشرقين الاستاذ « ميشال اماري » (M. Amari) وُلد في پالرمة في ٧ تموز سنة ١٨٠٦ وتوفي في ١٦ تموز ١٨٨٩ تعلّم اللغات الشرقية في باريس وفي رومية وخصّ نفسهُ بالعربية وبآدابها وتاريخها في بلادهِ . فكتب تاريخ المسلمين في صقلّية ونشر رحلة ابن جبير الى تلك الجزيرة وصنّف تأليفهُ الذي دعاهُ بالمكتبة الصقلّية فعزَّزها بالكتابات والمعاهدات التجاريَّة المبرمة بين العرب والايطاليين وغير ذلك ممَّا اوجب لهُ شكر المستشرقين عموماً واهل بلاده خصوصاً

(**الاسبانيون**) وفقدت اسبانية في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر ثلاثة من

اساتذتها المستشرقين «جوزه دي لرخندي» (J.de Lerchundi) مؤلف معجم عربي اسباني ومجموع منتخبات عربية و«فرنسوا كساڤيه سيمونت» (Fr.X.Simonet) استاذ العربية في غرناطة الذي نشر تاريخ النصارى المستعربين (Mozarabes) في الاندلس وألف بعض كتب مدرسيّة عربية ونشر اعمال مجمع طليطلة عن نسخة عربية قديمة ولهُ مقالات متعدّدة عن العرب نشرها في المجلّات الاسبانية. وقد اجتمعنا بهِ في مؤتمر لندن ١٨٩١ فاخذنا العجب من سعة علمه. توفي في غرناطة في ٨ تموز سنة ١٨٩٧ . أمّا الثالث فهو استاذ العربية في مدريد العلامة «بسكوال كيأنغوس» (Don Pasc. Gayangos y Arce) المولود في اشبيلية سنة ١٨٠٩ قدم لندن وصنّف فيها تآليف مختلفة اشتهر منها تاريخهُ للدول الاسلامية في اسبانية وترجمتهُ الانكليزيّة لتاريخ المقّري نفح الطيب في مجلدين ضخمين ووصف آثار قصر الحمراء وكتاباتها. توفي في لندن سنة ١٨٩٧ . وكان هؤلاء اخذوا عن مستشرقين سبقاهم عهداً «لافوانتي القنطري» (Lafuente y Alcantara) المولود في جهات مالقة سنة ١٨٢٧ والمتوفى سنة ١٨٥٦ : كتب تاريخ غرناطة ونشر كتاباتها العربيّة. والثاني «امادوردي لوس ريوس» (Don José Amador de Los Rios) ولد في نواحي قرطبة سنة ١٨١٨ وتوفي في اشبيلية سنة ١٨٧٨ . علّم العربيــة في مجريط ثم صــار مديراً لكليّتها ونشر آثار قرطبة واشبيلية

(اسوج ودنيمرك) واشتهر في اسوج «هولمبو» (Chr.A.Holmboe) المولود في ١٩ آذار ١٨٩٦ والمتوفّى في كريستيانيا في ٢ نيسان سنة ١٨٨٢ صار استاذاً في عاصمة بلادهِ كرستيانية بعد ان تخرّج في باريس على دي ساسي وكوسان دي پرسڤال واشتهر خصوصاً بالعلوم الكتابيّة واللغات الهنديّة. وقــد ترجم الى الالمانيّة كتاب كليلة ودمنة ونشر عدّة مقالات عن الاسلام في الهند

وفي ١٨٩٨ رُزئت دنيمرك بموت مستشرقها الشهير «اوغست مِهرن» (A.F. van Mehren) ولد سنة ١٨٢٢ في ٦ نيسان واخذ العربيــة عن فلَيشر وعلّم في كوبنهاك اللغات الشرقية نحو ٥٠ سنة. ألّف كتاباً في بيان اللغة العربية ونشر كتاب عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقيّ ومجموعة من تآليف الرئيس ابن سينا نشرها ونقلها الى الفرنسويّة

امَّا (الاميركيون) فلا نعرف منهم احدًا اشتهر بالعلوم العربية الّا نزيل بيروت الدكتور ﴿ كرنيليوس فان ديك ﴾ (Van Dick) المولود في ولاية نيويرك سنة ١٨١٨ والمتوفَّى في بيروت في ١٣ ت٢ سنة ١٨٩٦ . قدم الى سوريَّة بصفة مرسل بروتستاني سنة ١٨٤٠ فصار الى آخر نسمة حياتهِ قطب الرسالة الاميركيَّة في هذه البلاد وقد نشر سيرتهُ الدكتور اسكندر افندي نقولا البارودي في المطبعة العثمانية فنحيل القرَّاء الى تفاصيلها . وفي آخرها جدول تآليفهِ البالغة نحو ٣٠ كتابًا في العلوم العصريَّة كالرياضيَّات والآثار الجويَّة والطبّ والجغرافية ولهُ كتاب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء ونقل الى العربية الكتاب المقدَّس دون الكتب الثانويَّة ساعدهُ في نقلهِ الشيخ ناصيف اليازجي وألَّف عدَّة كتب جدليَّة ردَّ عليها الاب ڤان هام اليسوعي وغيرهُ من آباء جمعيتنا فأفحموهُ

وهنا نختم كلامنا عن الآداب العربية في القرن التاسع عشر وسنضيف اليهِ ان شاء الله جزءًا آخر في احوال الآداب في القرن العشرين

زيادات واصلاحات

الصفحة ٤ س١٣ وص ٨ س٧ وص ١٨ س ٢٠ « الشيخ الطهطاوي » والصواب «الطحطاوي» نسبة الى مدينة طحطا المصريَّة

ص١٥ س١ «وأسعد كتاب» ص «ولأسعد كتاب»

ص ٢٨ ورد في رأس هذه الصفحة غلطًا « الاداب العربيـة في الربع الاوَّل من القرن العشرين » والصواب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » . وورد ايضًا بالغلط في الكراس التابع (ص ٦٥—٧٩) في رؤوس الصفحات المفردة «الآداب العربية من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ » والصواب من السنة ١٨٨٠ الى ١٩٠٠

ص٦١ س ٥٧ «الالمانيُّون» يضاف اليهم في هذا العقد السابع ﴿ مرقس جوزف مولّر ﴾ (Marcus Jos. Müller) ولد في كُمبتن في ٣ حزيران ١٨٠٩ وتوفي في مونيخ في ٢٤ آذار ١٨٧٤ اشتغل بالفلسفة العربية فنشر لابي الوليد بن رُشد مقالات

شتى ثم نقلها الى الالمانيَّة . وله ايضاً تآليف في تاريخ العرب وكتب في تاريخ غرناطة ونشر للسان الدين ابن الخطيب مقالتهُ في الطاعون التي عنوانها « مقنعة السائل عن المرض الهائل »

ص ٦٢ س ٦ «الكيسيس بولديراف» له ايضاً كتاب في اصول اللغة العربية في اللغة الروسيَّة

— س ١٤ «برغرين» توفي قبل هذه الحقبة نحو السنة ١٨٥٠

ص ٦٧ س ٧ « المطابع والمطبوعات » نشرت المجلة الفلسطينيَّة الالمانيَّة (ZDPV, XII, p. 124-128) قائمة الجرائد العربيـة التي كانت تطبع في الشام والجزيرة والعراق سنة ١٨٨٩

ص ٧٢ س ٤ « مطبوعات مصر » للمرحوم الاستاذ الالماني مرتين هرتمان كتاب حسن في الانكليزيَّة خصَّهُ بمطبوعات مصر في اواخر القرن التاسع عشر (MARTIN HARTMANN : The Arabic Press of Egypt, *London, Luzac 1899*)

ص ١٠٧ س ٣–١٤ « ولاحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم» هذه الابيات تأخرت بالغلط وحقُّها ان تقدَّم للصفحة السابقـة فانها قيلت في الشيخ ابرهيم الحيدري المترجم هناك

ومما فاتنا ذكرهُ العلّامـة الانكليزي والمستشرق الكبير «ادورد وليم لان» (Edw. W. Lane) الذي أدى خدماً مذكورة ومشكورة للآداب العربية اخصُّها معجمهُ الكبير العربي الانكليزي الذي دعاه « مَدُّ القاموس » جمع فيهِ باصطلاحات مختصرة كل ما جاء في معاجم العرب وكتبهم اللغويَّة فنشر منهُ ستـة مجلَّدات (١٨٦٠–١٨٧٦) ولمَّا مات ألحق بهِ حفيدهُ «لان بول» بقيَّة مسوَّداتهِ بثلثة مجلَّدات . ومما نشرهُ كتاب الف ليلة وليلة نقلهُ الى الانكليزيَّة . وله كتاب واسع في مصر واخلاق اهلها طبعهُ سنة ١٨٣٦ وكتب عن احوال الشرق العربي في القرون الوسطى . ولد «لان» في هَرتفُرد في ١٧ ايلول ١٨٠١ وتوفي في وارتنغ في ١٠ آب ١٨٧٦

تمَّ بحولهِ تعالى

فهرس

اعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

الادباء المسلمون

الادباء النصارى

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربية

فهرس اسماء المستشرقين بالافرنسية

Table

des Orientalistes mentionnés dans la 2e partie de l'ouvrage.

فهرس

اعلام الامكنة المذكورة في هذا الجزء

فهرس

لمواد الجزء الثاني

من الآداب العربية في القرن التاسع عشر

الفصل الاول في الآداب العربيَّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

الصفحة

الفصل الثاني في الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر